اللغة العربية

مجلّة فصليّة محكّمة
تعنى بالقضايا الثقافيّة
والعلميّة للّغة العربيّة

العدد 69 2025
المجلس الأعلى للغة العربية

اللّغة العربيّة

مجلّة فصليّة مُحكّمة تُعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة

معامل التّأثير (ارسيف / Arcif) (0,821) لسنة 2024.

صُنّفت مجلّة اللّغة العربيّة على المستوى العربيّ ضمن الفئة العليا (Q1)

العدد التّاسع والسّتُّون

المجلّد: 27 العدد: 01 الثّلاثي الأوّل السّنة: 2025

ر.د.م.م	EISSN	الإيداع القانوني
1112.3575	6545-2600	7/ 2002

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ

المدير المسؤول

أ.د. صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

رئيس التّحرير

أ. د. عبد المجيد سالمي

نائب رئيس التّحرير

أ. حنيسة كاسحي

المدقّق اللغويّ

أ. حسن بهلول

من الجزائر	من خارج الجزائر
أ. د. صالح بلعيد	أ. د. ضياء غني العبودي. العراق
أ. د. أحمد عزوز	أ. د. عمار الفريحات. الأردن
أ. د. طاهر ميلة	أ. د. عامر صلال راهي العارضي. العراق
أ. د. طاهر لوصيف	أ. د. بلاوي رسول. إيران
أ. د. آمنة بلعلى	أ. د. أحمد علي علي لقم. سلطنة عمان
أ. د. مهدية بن عيسى	أ. د. سالمة العمامي، ليبيا
أ. د. حياة أم السعد	أ. د. أحمد الإمام. إنكلترا
أ. د. الجوهر مودر	أ. د. خليفة بوجادي. دبي
أ. د. جويدة معبود	أ. د. محمود السيد. مصر
د. الياس نايت قاسي	أ. د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي. العراق
د. تجاني حبشي	أ. د. محمد سعيد حسين مرعي الجابوري. العراق
د. حسينة عليان	أ. د. محمد الخضر عبد الباقي. نيجريا
د. وحيد بوعزيز	أ. د. هناء محمد خلف الشلول. الأردن
د. يحي بن بهون حاج امحمد	أ. د. نعمان بو قرة. السعودية
د. سعيد بومعيزة	أ. د. علي عبد الأمير عباس الخميس. العراق
د. حميد علاوي	أ. د. نورة صبيان بخيت الجهني. جدّة
د. موسى جمال	أ. د. أنيسة سادات هاشمي. إيران
د. فتيحة لعلاوي	أ. د. خالد توكال. الإمارات العربية
د. هشام خالدي	د. خالد الطاهر. الإمارات العربية
د. عارف غربي	
د. صالح تقابجي	
د. المبارك رعاش	
د. طيب بودربالة	
د. جميلة راجح	
د. حلومة بوسعادة	
د. محمد زوقاي	
د. عبد الرحمن خربوش	
د. نعيمة زواخ	

شروط النّشر

- ✓ تنشـر المجلّـة المقـالات الرّصـينة، ذات العلاقـة بقضـايا اللّغـة العربيّـة ومجالاتها؛
- ✓ تُكتب المقالات باللّغة العربيّة، وتلحق بملخّصين أحدهما باللّغة العربيّة وآخرهما باللّغة الإنكليزيّة؛
- ✓ تخضع المقالات للمنهجيّة العلميّة الأكاديميّة، وتهمّش آليًّا في آخر المقالة؛
- ✓ تخضع المقالات للتّحكيم العلميّ؛
- ✓ يلتزم صاحب المقالة بالتّعديل في الآجال المحدّدة، إن طُلِبَ منه ذلك؛
- ✓ تُكتب المقالة بخطّ (Simplified Arabic) ببنط 14 في المتن و12 في الهوامش، وترسل على البريد الإلكتروني للمجلّة الموضّح أدناه؛
- ✓ يكون حجم المقالة بين 3000 و5000 كلمة؛
- ✓ ألاّ تكون المقالة قد نشرت من قبل، ولا مستلّة من مذكّرة أو أطروحة جامعيّة؛
- ✓ يتسلّم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذي نشرت فيه مقالته؛
- ✓ تُرفق المقالة بسيرة علميّة موجزة عن الباحث؛
- ✓ لا تعبّر المقالات المنشورة بالضّرورة عن رأي المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

للاتّصال

abdelmadjid.salmi51@gmail.com

asjp.cerist.dz

الهاتف: 79 72 48 23 (213) 00 **الفاكس:** 62 72 48 23 (213) 00

للمراسلة: مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة

52، شارع فرنكلين روزفلت- الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد- الجزائر.

محتويات العدد

العناوين	الصّفحة
كلمة رئيس التّحرير أ. د. عبد المجيد سالمي	7
دراســـات لغويّـــة	
أشكال التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللّغة العربيّة من خلال المعجم التّاريخيّ: نحو نظريّة جديدة لتفسير تغيّر المعنى في العربيّة. د. ياسين بوراس	24-9
المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة-الشّارقة-تحدّيات ورهانات. د. خير الدّين هبّال	42-25
تأسيس الاختلاف في دراسة السّياسة اللُّغويّة بالوطن العربي "دراسة وصفيّة لكتاب: «السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة» للدّكتور صالح بلعيد". د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة	68-43
حوسبة اللّغة العربيّة وتطبيقاتها في ظلّ معطيات الذّكاء الاصطناعي الواقع والمأمول. أ.د. وهيبة جراح	88-69
مواقع التّواصل الاجتماعيّ التّفاعليّة وترقيّة اللّغة العربيّة -الفايسبوك (facebook) أنموذجا- د. ورديّة ڤلاز	108-89
الزّمن في النّص القرآنيّ-نماذج مختارة-مقاربة عرفانيّة- ط.د. بوزيدي حدّة أ.د. لحمادي فطومة	126-109

أثر السّياق في تحديد معاني الخبر والطّلب في كلام العرب " كتاب الصّاحبي لابن فارس" نموذجًا. **أ. ربيعة شلقي** **أ. مفتاح بن عروس**	150-127
نحو مقاربة صوتيّة لتعليم الصّرف في مرحلة التّعليم المتوسّط (الفعل الأجوف نموذجا). **ط.د. راشدي حميدة**	176-151
دراســـات أدبيّـــة	
سلطة اللّغة في الخطاب النّقدي عند محمّد بنيس. **د. هشام باروق** **أ. فوزية بوالقندول**	196-177
السّرد في المجموعة القصصيّة الكيس الأسود لحسام أبو العلا. **د. هرمة فاطمة**	210-197
الكيتش في شعر العصر العثمانيّ (التّوجيه البلاغيّ-أنموذجًا). **د. محمد بن راضي بن نجا الشريف**	254-211
دراســـات نقديّـــة ثقافيـــة	
الصّحراء في الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الواقعيّ والعجائبيّ. **د. عفاف صيفي** **د. عمر عاشور**	272-255

افتتاحيّة العـدد

رئيس التّحرير

أ. د. عبد المجيد سالمي

اللّغة هي مفتاح المعرفة، ذلك بأنّ المعرفة إنّما تكون بالإدراك العقليّ الذي لا يمكن أن يتمّ إلاّ بواسطة اللّغة؛ التي هي أداة للإرسال والاستقبال معًا. فبدون اللّغة لا يمكن لأحد أن يعبّرَ تعبيرًا راقيًا واضحًا مفهومًا لدى المثقّفين؛ كما لا يمكن لأحد أن يفهم الرّسالة المبثوثة، في معظم أطوار التّواصل وأرقاه إلاّ بواسطة هذه الأداة اللّغويّة العجيبة.

نُلَقَّن باللّغة الشّهادةَ في آخر اللّحظات من حياتنا، تبليغ الرّسالاتِ النّبوية بها، إعلان الإيمان بها، ونُسْأل بها عن أعمالنا في آخرتنا، بها نُعلن الحرب وبها نَنشُد السّلْم. وبها نعبّر عن أجمل العواطف وأرقّ المشاعر حين نحبّ أو نعطف. وبها نأتي كلّ شيء. وبدونها لا نستطيع أن نأتيَ شيئاً ذا بال. فليس وراءَ وجود اللّغة إلاّ الصّمتُ، والبَكَم، والعَدَم. وإذن، فبدون لغة ناهضة، راقية طيّعة، فتيّة، ذات قابليّة للتّعامل مع المفاهيم الحضاريّة والتّكنولوجيّة الجديدة لا يجوز أن توجد أمّة ناهضة. فكلّ أمّة ناهضة، وراءها حتمًا لغة ناهضة. وإذن فما من نهضة، إلاّ وأساسها اللّغة. اللّغة التي هي أداة التّفكير في مستوياه الأرقى، ووسيلة التّعبير في صُوَرِهِ العُلَى.

واللّغة لغات: راقية، وبدائية منحطّة، وبينهما دون، أو فوق ذلك. مثلها مثل الأمم درجات: متطوّرة ومتخلّفة. ولا يجوز للّغة إلا أن تكون مِرآة حقيقيّةً للمستوى الحضاريّ الذي بلغه الناطقون بها؛ فهي مِرآتُهُم المجلوَّةُ التي فيها ينعكسون، ووجهُهُم النّاضِر، أو الشّاحب، الذي به يَبْدون. وليس ينبغي أن

يكون هناك رُكَامٌ معرفيٌّ ذو درجات راقية من العلميّة، ما لم يكن قُبِضَ له ركامُ معرفيّ عبر اللّغة، باللّغة، وانطلاقاً من اللّغة.

وهذه مجلّة (اللّغة العربيّة) نَزْدَفّها في عددها التّاسع والسّتين (69) محمّلةً مقالاتُها وأبحاثها في طبَق لغويّ يستشرف ترقيّة العربيّة المعاصرة، والخوض في قضاياها العويصة، وتقنيّاتها الطّيّعة والعصيّة، والأخذ بها من نحو الشّعر الذي لا يمكن للأمم المتحضّرة العظيمة أن تستغنيَ عنه على كلّ حال، إلى نحو التّكنولوجيا التي لا يمكن للأمم أن تتطوّر إلاّ بها. وتهدف في مجملها إلى تناوُل القضايا اللّغويّة التّقنيّة الخالصة: فنبحث في تطوير مصطلحاتها وفي تيسير نحوها، وفي تبسيط كتابة إملائها، وتقديم مقاربات علميّة وحلول إجرائيّة تُفضي في النّهاية إلى زيادة القيمة العلميّة التي تحملها العربيّة.

أشكال التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللّغة العربيّة من خلال المعجم التّاريخيّ: نحو نظريّة جديدة لتفسير تغيُّر المعنى في العربيّة

Forms of Semantic Development of Arabic Words through the Historical Dictionary: Towards a New Theory for Explaining Meaning Change in Arabic

د. ياسين بوراس♥

المعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-027-001-001 DOI

تاريخ الاستلام: 15-12-2024 تاريخ القبـول: 21-12-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يعدّ التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ أحد مظاهر تطوّر اللّغة في الحياة الاجتماعيّة للإنسان، وهو إن كان يعكس في مضمونه قدرة اللّغة على مواكبة مستجدّات العصر، إلا أنّه يعكس كذلك في مضمونه قدرة الإنسان على التّعبير عن مستجدّات الحياة في كلّ عصر، ولهذا جاء هذا المقال ليَعْرِض لموضوع التّطوّر الدّلالي للألفاظ في اللغة العربيّة من خلال المعجم التّاريخيّ، باعتباره أحد المدوّنات اللّغويّة التي يمكن اعتمادها في إثبات أسبقية المعاني بعضها على بعض، لمعرفة الأصل والفرع من هذه المعاني، أو ما الذي يمثّل أصلا وما الذي يمثّل فرعا لإثبات صحّة هذا التّطوّر، وهذا بعد أن كان يُعْتَمَد على كتب فقه اللّغة أو المعاجم القديمة في إثبات هذه الظّاهرة بالنّسبة للّغة العربيّة. وموضوع التّطور الدّلاليّ للألفاظ قديم حديث، ولكنّه مع المعجم التّاريخيّ يصير فيه الموضوع مستجدا، لأن لهذا المعجم دورا بارزا في تبيان الكثير من جوانب حياة اللغة أو الألفاظ في اللغة العربية.

كلمات مفتاحيّة: أشكال؛ التّطوّر الدّلاليّ؛ الألفاظ؛ اللّغة العربيّة؛ المعجم التّاريخيّ.

♥ جامعة محمّد بوضياف بالمسيلة.

البريد الإلكتروني: yassine.bouras@univ-msila.dz، (المؤلّف المرسل).

Abstract: The semantic development of words is one of the manifestations of linguistic evolution in the social life of humans. While it reflects the language's ability to keep pace with contemporary advancements, it also demonstrates humanity's capacity to express Life developments in every era. This article addresses the topic of semantic development of words in the Arabic language through the historical dictionary, as it serves as a linguistic corpus that can be relied upon to establish the precedence of certain meanings over others. This helps determine the origins and derivatives of these meanings, identifying what represents the root and what represents the branch, thus validating this development. Previously, this phenomenon in Arabic relied on works of philology or classical dictionaries. The subject of semantic development of words is both ancient and modern, but with the historical dictionary, it takes on a renewed dimension. This dictionary plays a prominent role in elucidating many aspects of the life of language and its vocabulary in Arabic.

Keywords: forms; semantic development; words; Arabic language; historical dictionary.

1. مقدّمة: كثيرا ما سمعنا عن التَّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في العربيّة أو غيرها من اللغات السّاميّة، وربما قرأنا شيئا عن هذا التّطوّر أو التّغيّر وأسبابه؛ وحتّى بعض مظاهره في كتب فقه اللّغة: كالمجاز، والاستعارة، والانتقال من العام إلى الخاصّ أو العكس، وغيرها من أشكال هذا التّطوّر أو مظاهره، ولكنّ البحث في طريقة انتقال هذه الألفاظ أو تغيرها الدّلاليّ عبر مختلف العصور التّاريخيّة للّغة لم يكن من خلال البحث في الحياة الاجتماعيّة للنّاطقين بالعربيّة أو غيرها من اللغات السّامية، أبدا لم يكن أو يكاد يكون معدوما، رغم محاولة بعض الدّراسات في فقه اللغة، ربط أسباب هذا التّغير في العربيّة مثلا بعامل الدّين

في العصر الإسلاميّ، أو تطور الحياة السياسيّة أو الاقتصاديّة للمجتمع العربيّ فيما بعده من العصور، إلا أنّ هذا التّفسير يبقى يخفي خلفه الكثير من الحقائق التي تتعلقّ باللغة، وطريقة انتقال ألفاظها من معنى إلى آخر، وذلك لأنّ المعجم الكفيل برصد هذا التّطوّر، الذي لم يكن موجودا أو على الأقل لم يكن متحقّقا بالشّكل الذي ينبغي أن يكون عليه هذا المعجم، بما يمكن من وضع مسح شامل أو كليّ لجميع ألفاظ اللغة وتتبع تطور دلالتها عبر مختلف العصور التّاريخيّة؛ ومن ثمة محاولة إيجاد تفسير منطقيّ لطريقة تطوّر دلالة هذه الألفاظ، أمّا والمعجم التّاريخيّ للغة العربيّة قد صار حاضرا بين أيدينا فقد صار من الممكن البحث في طريقة تغير دلالة هذه الألفاظ مع إيجاد تفسير منطقيّ لأسباب هذا التّغيّر، تبعا لمختلف المراحل التي تمرّ بها اللّغة، بما يمكن من الإجابة عن السّؤال الذي من الممكن أن يطرح في ذهن كلّ قارئ عربيّ لظاهرة التّطوّر، وهو: **كيف تتطوّر دلالة الألفاظ في اللّغة العربيّة؟ ولماذا؟**

2. مفهوم التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ: لا يختلف اثنان في أنّ التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ هو انتقال اللفظ من معنى إلى آخر سواء بفارق زمنيّ بين المعنيّين أم من دون فارق، ولكن ما يمكن اعتباره بمثابة تطوّر حقيقيّ للألفاظ هو ذلك التطوّر الذي يكون مقترنا بزمن، لأنه يعكس حقيقة انتقال اللفظ من عصر إلى آخر وبمعنى مختلف، أمّا والعصر واحد والمعنى مختلف فهذا يمكن عدّه عند علماء اللغة بمثابة استعمال تدعو إليه الحاجة وليس تطوّرا، وإن كان يخفي خلفه نوعا من التّطوّر في الاستعمال؛ لأنّه لا يمكن تسمية الأشياء دفعة واحدة بلفظ واحد متّحد مبنى ومختلف معنى. ومن هذا المنطلق الذي يعدّ فيه التّطوّر الدّلاليّ هو ذلك التّطوّر الذي يحصل في معنى اللّفظ من زمن إلى آخر دون تقدير حقيقيّ لهذا الزمن عند علماء اللّغة، فإنّ التّغيّر الدّلالي هو "في غالب أحواله مقيد بالزّمان والمكان، فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة

وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطوّر دلالي لحق جميع اللغات الإنسانيّة في صورة واحدة ووقت واحد". (وافي، 1944، ص317). وإذا أخذنا بهذا المبدأ فإننا ننكر التّغيّر الدّلاليّ الحاصل في عصر واحد ومكان واحد على رأي على عبد الواحد وافي؛ بل يمكن اعتبار هذا التّغير الحاصل في زمن واحد، بمثابة مشترك لفظيّ لا غير، مع العلم أنّ التّطوّر الدّلاليّ هو انتقال للفظ من معنى إلى آخر دون شروط تُذكر، لأنّ ما يشترط في التّطوّر هو تغير الدّلالة لا أكثر، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار التّطوّر الدّلالي هو كلّ تغيّر في الدّلالة بغضّ النّظر عن المكان والزّمان، وإن كان التّغير الحاصل في الزّمان والمكان يعكس حقيقة هذا التّطوّر؛ بشكل أوضح في كثير من الأحيان لتغيّر الحياة السّياسية أو الاقتصاديّة أو الاجتماعية للنّاطقين باللغة.

3. أسباب التّطور/ التّغيّر الدّلالي للألفاظ في اللّغة العربيّة: كثيرا ما ارتبطت أسباب التّغيّر الدّلاليّ أو ما يسمّى عند علماء فقه اللغة بالتّطوّر بعوامل دينيّة أو سياسيّة أو اقتصاديّة يعرفها المجتمع في مرحلة من مراحل تطوّر اللّغة، بل وفي بعض الأحيان بعامل الجوار الذي يكاد يكون في عصرنا الحالي أحد أسباب التّأثير المباشر في اللّغة، ولكن نظرة فاحصة إلى أسباب هذا التّطوّر أو التّغير تجعلنا نعتبر هذه الأسباب ثانويّة؛ لأن الألفاظ تبدأ في استعمالها لمعنى واحد وهو الأصل ثم سرعان ما تنتقل بين المعاني لسبب أو لآخر لعلاقة المشابهة أو الاستعارة، أو غيرها من أشكال التّطوّر الدّلاليّ والذي نراه السّبب الرئيس في نشأة هذا التّطوّر –اتّفاقا مع ما جاء به إبراهيم أنيس– هو أولا؛ كثرة الاستعمال الذي يؤديّ إلى نشأة بعض الألفاظ أو المعاني واندثار بعضها، بسبب التّرك والابتذال أو الجوار الحاصل بين بعض الأصوات في الكلمات. وثانيا؛ الحاجة الّتي تؤدّي بالضّرورة إلى نشأة بعض الألفاظ أو المعاني، نتيجة لتطوّر الحياة السّياسية أو الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة للمجتمع، أو تطورّ الحياة العقليّة للنّاطقين باللّغة. (أنيس، 1976، ص134–167)

فالاستعمال والحاجة هما ما يمكن اعتباره السّبب الرّئيس في تغيّر المعانيّ أو تطوّر الدّلالة، كما يفصح عنه تاريخ اللّغة العربيّة في المعجم التّاريخيّ، أو علم التّأثيل (أو التّأصيل) الذي يهدف إلى البحث في الأصل المشترك بين مختلف هذه المعاني، وهو جزء لا يتجزّأ من هذا المعجم (المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة).

4. أنواع التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللغة العربيّة في المعجم التّاريخيّ: لا يخفى على أحد من الدّارسين لألفاظ اللغة العربيّة أن أشكال التّطور الدّلاليّ عديدة ومتنوعة، تشمل وفقا لعلماء فقه اللغة أو الفيلولوجيا –بتعبير علماء اللّسانيات الغربيّة– المجاز أو الاستعارة، والمجاورة أو المصاحبة (الزّمانية والمكانيّة) والتّعميم والتّخصيص بالنّسبة للدّلالة، ورقي الدّلالة أو انحطاطها كما يسميها إبراهيم أنيس، ومع ذلك تبقى هذه العلاقات الدّلالية قاصرة عن تحديد الأشكال الحقيقيّة التي تنتقل بموجبها بعض الألفاظ من معنى إلى آخر فالتّوسيع والتّخصيص على سبيل المثال –وهما نظريّتان تعتمدان في تفسير تغير المعنى– لا يمكن أن يفسّر لنا بشكل منطقيّ طريقة هذا التّوسيع أو التّخصيص للمعنى، لهذا وجب البحث في طرق أخرى أكثر واقعيّة في تفسير تغيّر الدّلالة في أحد هذه الاتّجاهات، كالمشابهة، والزّمانية أو المكانيّة، والحالية أو المحلّيّة، والجزئيّة، والكلّيّة، والسّببيّة، والوظيفة أو الأداة، ويضاف إليها الاشتقاق كنمط من أنماط توليد المعاني؛ لأنّ الثّراء الذي تعرفه العربيّة في مجال تغيّر الدّلالة، يجعل حصر هذا التّغيّر في ستة أنماط مضّللا نوعا ما عن إدراك المعاني الحقيقة الكامنة خلف هذا التّطور؛ لأنّه ومهما بلغ بالتّطوّر الدّلاليّ من تباعد بين المعنى الأصليّ والمعاني الفرعيّة، تبقى دوما إحدى العلاقات الدّلاليّة التي ترتبط بين هذه المعاني الفرعيّة والمعنى الأصليّ أو الرّئيس قائمة، وإلا اعتبر المعنى مرتجلا، وهذا ما يمكن اعتباره دليلا على القول باعتباطية اللغة أو العلاقة بين الدّال والمدلول:

1.4 الاستعارة (أو المجاز): تُعَدُّ الاستعارة كما يدلّ عليه التّطوّر الدّلاليّ لبعض الألفاظ في المعجم التّاريخيّ، أكثر العلاقات الدّلاليّة حضورا في ما يتعلّق بالتّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللغة العربيّة؛ وذلك لأنّ الاستعارة –ولعلاقة المشابهة بشكل أكبر– أكثر ما يستحضره الإنسان في ذهنه عند تسمية الأشياء بمسمّياتها، ولهذا كان من الطّبيعيّ أن يطلق العربيّ مسمّى واحدا على عدّة أشياء متشابهة أو تجمعها علاقة تشابه في محيطه الاجتماعيّ؛ إذ "ينحرف النّاس عادة باللّفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التّعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التّجارب في حياتهم، ثمّ لا يسعفهم ما ادّخروه من ألفاظ، وما تعلّموه من كلمات، فهنا قد يلجؤون إلى تلك الذّخيرة اللّفظيّة المألوفة، مستعينين بها على التّعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد." (أنيس، 1976، ص130) وينطبق هذا على الاستعارة أو المجاز كما يسمّيه علماء فقه اللغة، لأنّ اللفظ فيها ينتقل من معنى حقيقيّ إلى معنى مجازيّ لعلاقة المشابهة أو لغير المشابهة. أمّا ما استعمل مجازا لعلاقة المشابهة فكلمة (بَقَرَةٍ) التي استعملت للحيوان الثّديّ وحشيٍّ أو مستأنس (177ق.هـ=450م) ثمّ سرعان ما اتّسع مدلولها لتشمل كلّ ما شابه البقر في اتّساع أو لون، فأطلق على القدر الكبيرة الواسعة (11هـ=632م) ثمّ على طائر يجمع في لونه بين البياض والسّواد أو رماديا أو أبيض (206هـ=821م) ثمّ على العيال الكثير (240هـ=854م). والأمر نفسه بالنّسبة لكلمة (زعنفة) التي استعملت (50ق.هـ=537م) لطرف الجلد الذيّ تُشَدُّ فيه الأوتاد إذا مدّ للدّباغ، ثمّ لأجنحة السّمك (2ق.هـ=620م) ثُمَّ على القطعة من الثّوب (170هـ=787م) لاشتراك كلّ منها في صفة القِصَر، وكلمة (الصّحن) التي انتقل مدلولها من الآنية (80ق.هـ=544م) إلى صحن الدّار (13ق.هـ=609م) لاتّساع قعره أو وسطه. وكلمة (القناة) التي هي الرُّمح (135ق.هـ=490م) ثم استعير لقناة الظّهر (40ق.هـ=583م) حيث

تنتظم الفقرات، ثمّ لمجرى الماء في الأرض (63هـ=683م) لاستقامته على طريق واحد، وكذلك استعارة (الزّناد) وهو العود الذي تُستقْدَح به النّار (46ق.هـ=577م) لزناد البندقيّة (1406هـ=1985م) وغيره كثير.

ولا تقتصر علاقة المشابهة في التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللغة العربيّة على انتقال الدّلالة من اسم إلى اسم، بل تتعدّاه إلى الأفعال التي من الممكن أن ينتقل فيها مدلول اللّفظ من الفعل إلى الفعل أو من الفعل إلى الاسم أو العكس لمجرّد علاقة المشابهة، كالفعل سَعَرَ أو أسَعَرَ للحرب، وعضّ واشتدّ للزّمان وهاج وثار للرّيح، وغيرها من الأفعال التي انتقل فيها مدلول الفعل من معناه الحقيقيّ إلى معناه المجازيّ لعلاقة المشابهة. أمّا ما انتقلت فيه الدّلالة من الاسم إلى الفعل لعلاقة المشابهة كذلك، فالفعل (زَنَد) للحرب (126هـ=744م) من الزّناد (46ق.هـ=577م) إذا أثارها، و(نَسَرَ) (40ق.هـ=583م) من النَّسر (100ق.هـ=525م) وهو الطّائر المعروف، ثمّ استعمل للاختلاس والاستلاب تشبيها بفعله، وزَعْنَفَ العروس (650هـ=1252م) إذا زيّنها من زِعْنِفَة (50ق.هـ=537م) لأنّ تزيينها لا يكون إلا بالحليّ التي هي أشبه بالزّعانف على المرأة، قرطا كان أو سوارا أو عقدا. وفَرَسَ عُنُقَهُ (13ق.هـ=609م) إذا دقّها، مِنَ الفَرَسِ (135ق.هـ=490م) لأنّ الفرس مما يدّق الأرض بقدميه عند العدو أو السّير. وبَعَضَهُ: (53هـ=673م) من البعوض (94ق.هـ=530م) إذا عضّه وأذاه. وبقر الأرض ونحوها (32ق.هـ=591م) إذا شقّها أو فتحها من البَقَر (177ق.هـ=450م) تشبيها لاتّساع الشّقّ فيها باتّساع بطن البقرة، وكذلك اسْتَأْسَدَ (86ق.هـ=538م) من الأَسَد (400ق.هـ=223م) واستنسر (224هـ=839م) من النّسر (50ق.هـ=573م) وغيره الكثير .

ويمكن كشف هذه العلاقة (علاقة المشابهة) بشكل أكبر من خلال عدّة معاني يتم فيها انتقال الدّلالة من معنى إلى معنى في أسماء الحيوانات التي الأصل فيها أنّها استعملت حسب تتبع دلالتها تاريخيّا، في التّعبير عن أفعال ثم

انتقلت إلى الأسماء كاسم الدُّبّ (32هـ=749م) من دبّ: إذا سار رويدا (80ق.هـ=544م). والحَجَل (86ق.هـ=538م) من حَجَل في مشيه: إذا وثب (100ق.هـ=525م)، والطَّيْر من (طار): إذا علا وارتفع، والنّحل من (نَحَل) أو (نَحُل) إذا رقّ وهزل، وهذا كلّه مما انتقلت فيه الدّلالة أو استعير فيه اللّفظ لعلاقة المشابهة. أمّا ما استعير من ألفاظ لعلاقة غير المشابهة ضمن ما يسميه علماء فقه اللغة بالمجاز، فكذلك كثير، ومنه لفظ (اليمين) الذي الأصل فيه الدّلالة على الجهة أو اليد اليمنى (150ق.هـ=476م) ثم اسْتُعير للحَلِفِ أو القسم (100ق.هـ=525م) لأنّ العرب كانت إذا تحالفت أو تعاهدت أخذ الرّجل يمين صاحبه بيمينه، ثمّ كثر ذلك حتى سمِّي الحَلِفُ والعهد نفسه يمينا. (ابن عطية، 2001، ص301) ثمّ للقُوَّة (11هـ=632م) لأنّ اليمين ممّا يُستقْوى بِها فصارت إلى معنى القوّة أقر. وكذلك (القلم) الذي الأصل فيه أداة الكتابة (75ق.هـ=550م) ثمّ استعير للخطّ أو الكتابة (11هـ=632م) فيقال: قلم فلان وهم يريدون خطّه أو أسلوبه في الكتابه، وكذلك (العَلَم) الّذي الأصل فيه أنّه يدلّ على ما يُنْصب في الطّريق ليُهتدى به (102ق.هـ=523م) ثمّ أُطلق على الرّاية (45ق.هـ=587م) و(الرّأس) الذي الأصل فيه الدّلالة على ما للإنسان من منبت الشّعر في أعلاه (288ق.هـ=342م) ثم أطلق على سّيد القوم أو قائدهم (102ق.هـ=523م) ثمّ على الأعلى من كلّ شّيء (86ق.هـ=538م) و(السِّنُّ) الذي الأصل فيه أنّه استعمل للعُمْرِ (249ق.هـ=380م) ثم استعير للعظم النّاتئ من الفكّ (150ق.هـ=476م) للدّلالة عليه عند سائر الحيوان من ذوي الحافر. و(الأجر) الذي الأصل فيه ما يدفع مقابل عمل ما (64ق.هـ=559م) ثمّ استعير لعموم الثّواب عند الله سبحانه وتعالى (12ق.هـ=611م) في مجازاة عباده الصّالحين، وفي العصر الحديث لفظ (الزّرّ) الذي استعمل أوّل ما استعمل للدّلالة على زرّ القميص (8هـ=630م) ثمّ أطلق مجازا على زرّ التّشغيل في الآلات الكهربائيّة (1332هـ=1913م)

وغيرها من الألفاظ التي ينتقل فيها مدلول اللّفظ من معنى حقيقيّ إلى معنى مجازيّ تحت علاقة المشابهة أو غير المشابهة، وهي في الحقيقة استعارة لا غير.

2.4 الاشتقاق: يكون الاشتقاق مظهرا من مظاهر التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللغة العربيّة في اتّجاهين إمّا من الفعل نحو الاسم أو من الاسم نحو الفعل، وأكبر ما يكون في النّحو الأوّل، وأكثر ما يكون في المهن والحرف والأدوات، كقُبَّعة (1355هـ=1936م) للغطاء الذي يقي الرّأس حرّ الشّمس أو المطر، من قبع فلانٌ الشّيْءَ (337هـ=948م): إذا أخفاه، أو قبع في ثوبه (206هـ=821): إذا دخل فيه وغطّى رأسه. أو قبع رأسه بالليل: غطّاه خشية أن يعرف (370هـ=981م) وجلاّد (54هـ=677م) من جَلَد (70ق.هـ=552م) وسيّاف (93هـ=712م) من ساف (20هـ=641م) ونسّاج (13ق.هـ=609م) من نسج (50ق.هـ=573م) وسبّاك (318هـ=930م) من سَبَكَ (50هـ=670م) وكاتب (132هـ=749م) من كَتَبَ (13ق.هـ=609م) وأمير (50ق.هـ=573م) من أَمَرَ (100ق.هـ=525م) ومَلِك (150ق.هـ=476م) من مَلَك (150ق.هـ=476م) ونجّار من نَجَرَ (23هـ=644م) وفلاح (23هـ=644م) من فَلَحَ (11هـ=632م) وغيرها ممّا لا يعدّ ولا يحصى من هذه المهن والحرف أو المشتقّات. أمّا ما يكون فيه الاشتقاق من الاسم نحو الفعل، فأَسِدَ (100ق.هـ=525م) واسْتَأْسَدَ (86ق.هـ=538م) من الأَسَد (400ق.هـ=223م) واستنسر (224هـ=839م) من النّسر (50ق.هـ=573م) وساف (10ق.هـ=612م) واستاف (170هـ=787م) من السَّيف (129ق.هـ=496م) وتَقَلَّس (170هـ=787م) أو قَلْنَسَ (231هـ=846م) أَوْ تَقَلْنَسَ (216هـ=831م) من القَلَنْسُوَة (11هـ=632م) وهي ما يُلْبَس على الرّأس بخلاف العِمامة. وزَنَد (538هـ=1144م) من الزِّناد، وهو العود الذي تُستقْدَح به النّار (46ق.هـ=577م) والفِعل للنّار إذا قدحها، والرّبيئة (80ق.هـ=544م) بمعنى

الطّليعة الذي يرقب العدوّ من مكان مشرف أو عال، من الفعل ربأ (150ق.هـ=476م) لفلان وغيره إذا علا وارتفع، وغيرها من الألفاظ التي يعدّ فيها الاشتقاق شكلا من أشكال التّطوّر الدّلاليّ. وأكثر ما يكون فيه انتقال هذه الدّلالة في ألفاظ الحياة العامّة كالسّلاح، والأواني، والألبسة، والأمثال والحكم ونحوها ممّا يستعمل في الحياة اليوميّة للعامّة أو الخاصّة من النّاس.

3.4 المجاورة (المصاحبة الزّمانيّة/ المكانيّة): نقصد بالمصاحبة اتّفاق معنى اللّفظ مع المعنى السّابق زمانا أو مكانا، ويطلق عليه علي عبد الواحد وافي مصطلح المجاورة الزمانيّة أو المكانية، ويستدلّ عليه بكلمتي (ظعينة) التي كانت تعني المرأة في الهودج (110ق.هـ=515م) ثم انتقلت إلى معنى الهودج في حدّ ذاته (79ق.هـ=545م) و(عقيقة) التي كانت تعني شَعْرُ الولد حين يخرج من بطن أمّه (50ق.هـ=573م) ثم انتقلت إلى معنى الذّبيحة التي تُنْحَر على المولود شكرا لله تعالى (11هـ=632م). (وافي، 1944، ص316-317) ونرى الأولى تسميته بمصطلح المصاحبة الذي يدلّ على مصاحبة معنى اللّفظ للمعنى الأوّل في المكان أو الزّمان، ومن أمثلته كلمة (العُرْس) التي الأصل فيها الجماع (365ق.هـ=268م) ثم أطلقت على الزّواج (74ق.هـ=550م) ثمّ على طعام الوليمة ليلة الزّواج (11هـ=632م) لتزامنها في اللّيلة، وكلمة (الجَنازة) التي الأصل فيها الدّلالة على الميّت (11هـ=632م) ثمّ انتقل مدلولها إلى النّعش الذي يُحْمَل عليه (93هـ=711م) و(السُّفْرَة) التي الأصل فيها قطعة الجلد التي يوضع فيها الطّعام (13ق.هـ=609م) ثم انتقل مدلولها إلى معنى الطّعام في حدّ ذاته، وخُصَّ به طعام المسافر (58هـ=678م) وكلمة (المَلَّة) التي الأصل فيها إطلاقها على الرّماد الحارّ أو الجمر الذي يحمى ليُدفن فيه الخبز (60ق.هـ=564م) ثم صار إلى معنى الخبز في حدّ ذاته (64هـ=684م) وغيره الكثير مما يتجاور فيها المعنيان زمانا أو مكانا فيندثر معه المعنى الأوّل في أحايين كثيرة.

4.4 التَّخصيص: يردّ علماء الدّلالة تخصيص معاني بعض الألفاظ في اللغة العربيّة وغيرها من اللغات إلى كثرة الاستعمال؛ أي استعمال اللّفظ العام في معنى من المعاني الخاصّة مع كثرة؛ "فكثرة استخدام العامّ مثلا في بعض ما يدلّ عليه، يزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله" (وافي، 1944، ص321) ويستدلّون على ذلك بألفاظ العبادات كالصّلاة، والزّكاة، والصّوم والحجّ، وغيرها من ألفاظ العبادات التي انتقل مدلولها في كلام العرب –بمجيء الإسلام– من معنى العموم، وهي على التّرتيب الدّعاء (110ق.هـ=515م) والنّماء (160ق.هـ=466م) والامتناع عن الطّعام والشّراب (110ق.هـ=515م) والقَصْدُ لبيت الله الحرام (129ق.هـ=496م) إلى معانيها الشّرعيّة المعروفة (11هـ=632م) حتى صارت مخصوصة بها. ولا يقتصر تخصيص الدّلالة على الألفاظ الشّرعيّة بل يمتدّ إلى ألفاظ المهن والحرف، وكذلك بعض المصطلحات العلميّة أو الطّبيّة التي تخصّص فيها دلالة اللّفظ بسبب كثرة الاستعمال لها في ما خصّت به من معاني، كالفلاحة (231هـ=846م) من فلح الأرض (40هـ=661م) والتّجارة (9هـ=630م) من تجر (7هـ=628م) والنّجارة (179هـ=795م) من نَجَرَ (23هـ=644م) والحِدادة (300هـ=9112م) من حدّ السّيف ونحوه (18ق.هـ=605م) إذا شحذه بمبرد ونحوه. والصَّقّال (538هـ=1143م) من صقل (96ق.هـ=529م) والعِطارَةُ (170ق.هـ=786م) من عطّره (13هـ=634م): إذا طيّبه برائحة زكيّة. والعتّال (606هـ=1210م) من عتل (11هـ=632م) إذ أصل هذه الألفاظ كلّها عامّ يدلّ إمّا على شقّ الأرض، أو حدّ السّيف ونحوه، والبيع والشّراء، أو نحت الخشب ونحوه، أو تجليّة المعدن أو تعطير الشّيْء بالطّيب ونحوه، أو جذب الشّيء بالقوة، ثمّ تحوّلت إلى المهن أو الحرف المعروفة لدينا الآن. وكذلك الأمر بالنّسبة لمِبْرَد (80ق.هـ=543م) مِنْ بَرَد (128ق.هـ=494م) ومِشْرَط (170هـ=787م) من شرط (11هـ=632م)

ومِقَصّ (79ق.هـ=545م) من قصّ (80ق.هـ=544م) وبمِبْضَع (170هـ=787م) من بضع (2ق.هـ=620م) وغيرها من الأدوات المستعملة في الجراحة أو غيرها من مجالات الحياة.

وإنّ الانتقال بالمعنى من العامّ إلى الخاصّ يرتبط أساسا بكثرة الاستعمال في الحياة اليوميّة؛ لأنّ اللّفظ رهين الاستعمال وكلّ ما استعمل في معنى مرّات عدّة كلّما ابتعد عن معناه العامّ وانتقل إلى معناه الخاصّ، ويكثر هذا النّموذج من التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في ألفاظ الحياة العامّة: كالطّب، والزّراعة، والفلاحة، والهندسة، وغيرها من المجالات التي تخصّص معنى اللّفظ، حتى لا يعود بينه وبين معناه العامّ أيّ أثر، ولك أن تنظر في أمثلة من نحو: التّشريح (200هـ=816م) والتّقطير (1397هـ=1977م) والتّبطين (1380هـ=1960م) والتّزفيت (1344هـ=1965م) والتّعدين (1401هـ=1981م) التي تحوّلت في العصر الحديث عن معاني أفعالها إلى معاني مخصوصة في الطّب أو الكيمياء أو النّسيج أو الهندسة أو الصّناعة، حتى لم يعد بينها وبين أفعالها أيَّة صلة بل في كثير من الأحيان ما تندثر معاني أفعالها، وتظلّ هذه المصادر المتمحّضة (إلى الاسميّة) تنقل معاني هذه الأفعال بشكل مخصوص.

5.4 التّعميم: ويسمّيه علماء اللغة بالتّوسعة ويقصدون به التّوسعة في المعنى، ويشكّل تعميم الدّلالة كذلك شكلا من أشكال التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللّغة العربيّة في المعجم التّاريخيّ، حيث تنتقل بموجبه دلالة بعض الألفاظ في اللّغة العربيّة من معنى خاص إلى معنى عام، نتيجة لكثرة الاستعمال كذلك ومن أمثلته دلالة (المال) الذي أطلق في الأصل على ما يُمْلَكُ مِنَ الذّهب والفضّة، ثُمّ تمّ تعميم دلالته على كلِ ما يُقْتَنى ويُمْلَكُ مِنَ الأَعْيانِ. (ابن الأثير 1979، ص373) وكذلك (البضاعة) التي الأصل فيها القطع ثمّ تطوّرت فغدت جزءا من المال الذي يقتطعه المرء من ماله ليتّجر به، ثمّ أمست السّلعة الّتي تُشترى بالمال، فالشّيْء قد يسمّى باسم الشَّيْء إذا كان مجاورا له أو منه

بسبب. (عزّار، 2003، ص89) وكلمة (العُرْس) التي أطلقت على الزّواج (74ق.هـ=550م) ثم على الفرح عموما (632هـ=1234م) والسَّلَعُ (249هـ=380م) الذي أطلق لضرب من الشّجر مرّ الطّعم، ثم تمّ تعميم دلالته على كلّ ما هو مرّ فقيل فيه أَسْلَعُ من سِلِعَ الشَّيْءُ: إذا اشتدّت مراراته (145هـ=762م) وكذلك أَسْلَعَ الشَّجَرُ: إذا أتى بثمر مرّ (40هـ=661م) وغيرها من الألفاظ التي ينتقل فيها مدلول اللّفظ من معنى خاصّ إلى معنى عامّ تحت قاعدة الاستعمال الأشهر أو الأكثر، بشكل تندثر معه في كثير من الأحيان المعاني الخاصّة وتبقى المعاني العامّة قائمة بديلا عنها، وإن كان تعميم الدّلالة –كما يرى إبراهيم أنيس– أقلّ شيوعا في اللغات من تخصيصها، وأقلّ أثرا في تطوّر الدّلالات وتغيّرها؛ حيث يعمد النّاس إلى هذا النّمط من التّطوّر؛ حينما يكتفون بأقلّ قدر ممكن من دقّة الدّلالات وتحديدها، ويقنعون في فهم الدّلالات بالقدر التّقريبيّ الذي يحقّق هدفهم من الكلام والتّخاطب، ولا يكادون يحرصون على الدّلالة الدّقيقة المحدّدة التي تشبه المصطلح العلمي. (أنيس، 1976 ص154–155).

5. خاتمة: ختاما يمكن القول إنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة يمثّل سجلاّ تاريخيا يمكن اعتماده في تفسير التّغير الدّلاليّ للألفاظ، وفق أنماط مختلفة لأشكال هذا التعدّد، وأنّ التّطوّر الدّلاليّ يسير في اتجاهين من الأفعال إلى الأسماء والعكس صحيح، ولكن أكثر التطور يسير من الفعل إلى الاسم لحاجة الإنسان إلى التّعبير عن مستجدّات العصر.

1–لا يمكن قصر مفهوم التّطور الدّلاليّ على انتقال الدّلالة من عصر إلى عصر، أو تغير في الزّمان والمكان؛ بل يمكن أن يشمل مفهوم التّطوّر كلّ تغيّر في الدّلالة سواء تغيّر العصر أم لم يتغير، وسواء تغير المكان والزّمان أم لم يتغيّر؛ لأنّ قصر مفهوم التّطور على ذلك المعنى (تّغيّر الزّمان والمكان) سيجعلنا نعتبر التّغير الحاصل في زمن واحد بمثابة مشترك لفظيّ لا غير.

2-يرتبط التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللّغة العربيّة أساسا بكثرة الاستعمال الذي يؤديّ إلى نشأة بعض الألفاظ أو المعاني واندثار بعضها، بسبب التّرك والابتذال، وثانيا بحاجة مستعملي اللّغة إلى التّعبير عن مستجدّات العصر نتيجة لتطور الحياة الاجتماعيّة للناطقين بها.

3-يضيئ المعجم التّاريخي للغة العربيّة الكثير من جوانب حياة الألفاظ في اللغة العربيّة، باعتباره يؤرخ لمعاني هذه الألفاظ من أوّل استعمال لها في مختلف العصور التّاريخيّة للغة العربية؛ بما فيها العصر الجاهليّ والإسلاميّ والعباسيّ إلى غاية عصر الدّول والإمارات والعصر الحديث.

4-تتنوع أشكال التّطور الدّلاليّ للألفاظ في اللّغة العربيّة بين المجاز والاستعارة، والمصاحبة الزّمانية أو المكانية، وتخصيص الدّلالة أو تعميمها ويمكن إلى جانبها إضافة الاشتقاق كنوع من أنواع التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللّغة العربيّة.

5-تعد المشابهة أو الاستعارة أكثر العلاقات الدّلاليّة حضورا في ما يتعلّق بأشكال التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللغة العربيّة، وذلك لأنّ الاستعارة أو المشابهة أكثر ما يستحضره الإنسان في ذهنه عند تسمية الأشياء بمسمّياتها.

6-تنتقل دلالة الألفاظ في اللغة العربية من العام إلى الخاصّ أو من الخاصّ إلى العامّ، تحت قاعدة الأكثر استعمالا، لدرجة يطغى فيهما أحدهما على الآخر أو يندثر معهما الأقل استعمالا.

7-يحصل التطوّر الدّلالي في كثير من الأحيان من تلقاء نفسه أو بطريقة عفويّة، باستثناء ما يعرف بالمعنى الاصطلاحيّ الذي يكون فيه التّواضع على المعنى مبرّرا لنشأته، ومع ذلك فإنّ علماء اللغة يردونه دوما إلى الاستعمال أو حاجة الإنسان إلى التّعبير عن مستجدّات العصر.

8-لا يعكس بالضّرورة المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة دقّة التّاريخ في تتبّع نشأة ألفاظ اللغة العربيّة أو التّأريخ لمعانيها؛ لاعتماده على مدوّنة يشوبها النّقص وقد

قيل قديما: ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير. (الجمحيّ، 1980، ص25) بما لا يسعفنا من وضع تأريخ دقيق لألفاظ اللّغة العربيّة، ولهذا فالتّأريخ المعتمد يبقى –مهما بلغ من درجة الدّقة–تقريبيّا بما يمكننا من رصد تطوّر دلاليّ هو أقرب إلى الحقيقة منه إلى الحدس والتّخمين.

6. قائمة المراجع:

المؤلّفات:

1-إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976)، ط3، ص134-167.

2-ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر الزّاوي وآخر، (بيروت: المكتبة العلميّة، 1979)، ج: 4، ص373.

3-ابن سلام الجمحيّ، طبقات فحول الشّعراء، تح: محمود شاكر، (جدّة: دار المدني، 1980)، د.ط، ج: 1، ص25.

4-ابن عطية الأندلسيّ (542هـ)، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001)، ط1، ج: 1، ص301.

5-علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، (القاهرة: نهضة مصر للطّباعة والنّشر، 1944)، ط1، ص317.

6-مهدي أسعد عرار، التّطوّر الدّلاليّ: الإشكال، والأشكال والأمثال، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ص89.

مواقع الإنترنت:

1-مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، تمّت الزّيارة يوم: 15-11-2024. على الرّابط:

https://www.almojam.org/

2-معجم الدّوحة التّاريخيّ للّغة العربيّة، تمّت الزّيارة يوم: 15-11-2024. على الرّابط:

https://www.dohadictionary.org/

المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة –الشّارقة– تحدّيات ورهانات

The Historical Dictionary of the Arabic Language - Sharjah - Challenges and Stakes

د. خير الدّين هبّال♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-001-002

تاريخ الاستلام: 06-08-2024 تاريخ القبـول: 18-08-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: تهدف هذه الورقة إلى تسليط الضّوء على المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة بالشّارقة؛ باعتباره أضخم عمل معجميّ في العصر الحديث، وباعتباره مدوّنة لغويّة رقميّة محوسبة، أفادت من لسانيات المدّوّنات؛ لخدمة الصناعة المعجميّة العربيّة، بإنجاز أضخم عمل موسوعِيٍّ وُسِمَ بـ"المعجم التاريخي للّغة العربيّة –الشّارقة".

وفي هذه الورقة سنستعرض هذه المدوّنة؛ نشأَتَها ومنهجَها، وفريقَ عملِها ومصادِرَ تمويلِها، مع عرضِ ما لها وما عليها؛ وتقديم المقترحات التي من شأنها أن تسهم في دفع هذا العمل نحو مراتب الكمال

الكلمات المفتاحيّة: المدوّنة؛ المعجم التاريخيّ؛ المحتوى الرّقمي؛ التّأثيل؛ اللّغة العربيّة.

♥ جامعة محمّد بوضياف، المسيلة.

البريد الإلكتروني: hebal.kheireddine@univ-msila.dz (المؤلّف المرسل).

Abstract: This paper aims to shed light on the historical dictionary of the Arabic language in Sharjah, as it is the largest lexical work in the modern era, and as a computerized digital linguistic corpus, which benefited from the corpus linguistics, to serve the Arabic lexicographic industry, by conducting the largest encyclopaedic work entitled "The Historical Dictionary of the Arabic Language -Sharjah -". this paper, we will review this linguistic corpus, its origin, methodology, work team, sources of funding, with a presentation of pros and cons,

Keywords: corpus, historical dictionary, digital content, etymology, Arabic language.

1. مقدّمة: يَنظرُ المجتمعُ العلميّ إلى الوسائط الرقميّةِ باعتبارها وسيلةَ تبليغٍ للمعرفة في قالبٍ مشوّقٍ وبسيطٍ، يستقطب أكبرَ عددٍ ممكن من المهتمين بمجالٍ ما، هذه الوسائطُ اتّخذها علماءُ اللّغة مطيّةً لتبليغ المعارف اللّغويّة وعرضِ أحدثِ النظريات في حقولِ علمِ اللّغةِ المختلفةِ، الأمر الذي نتج عنه ظهور فرع جديدٍ للّسانيات عُرِف بـ"لسانيات المدوّنات".

وقد برزت ظاهرةُ المدوّناتِ الحاسوبيّةِ نهاية التسعيناتِ من القرنِ الماضي ويمكن تعريفها بأنّها فضاء افتراضيّ يديره فرد أو مجتمع بشكل منتظم، يخضع لقواعد يفرضها صاحب المدوّنة، ويستغلّ مختلف الوسائط الرقميّة التي يراها مناسبة للوصول إلى الجمهور المستهدف.

ومن المدوّنات اللّسانية التي شاعت مؤخّرا في ميدان الصناعة المعجميّة "المعاجم الرّقمية" وهي معاجم متخصّصة متاحة على الشابكة، يسهر القائمون عليها على صيانتها وتطويرها؛ وجعلها في متناول المتلقّي، ومن أهمّ هذه المعاجم "المعجم التاريخي للّغة العربيّة بالشّارقة"، هذا المعجم الضّخم الذي يشكّل أكبر مدوّنة لسانية تهتمّ بالتّأثيل للّغة العربيّة في العصر الحديث.

ومن أجل بلوغ الغاية المَرومة نطرح الإشكاليّة الآتية:

- هل يمكن لمدوّنة المعجم التاريخي –الرّقمي– للّغة العربيّة بالشارقة أن تسدّ فجوة التّأثيل في اللّغة العربيّة؟

- وهل يمكن أن تشكّل بديلا عن المعجمات العربية؛ لما تتميّز به من شمولية وسرعة وصول؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ننطلق من الفرضيات التالية:

- أليست اللّغة العربيّة بحاجة إلى معجم تاريخيّ يؤرّخ لألفاظها على غرار باقي اللّغات الحيّة في العالم.

- ألا يمكن اعتبار المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة بالشّارقة موسوعة لغويّة شاملة توفّر مادّة علميّة غزيرة ينهل منها طلبة العلم والأساتذة الباحثون في مختلف التخصّصات على حدّ سواء.

أليست رقمنة المعجم التّاريخيّ في ظلّ اقتصاد المعرفة أنجع للّغة العربيّة وأقصر طريق للّحاق بركب اللّغات الأكثر استخداما على الشابكة. يجب أن تحتوي مقدّمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح إشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

2. المدوّنات اللّغوية الرّقميّة، وصناعة المعاجم:

1.2 المدوّنات اللّغويّة الرّقميّة: تعرّف المدوّنة اللغويّة على أنّها "مجموعة من نصوص اللّغة في صورة إلكترونية تُجمَع اعتمادا على معايير خارجيّة؛ لتمثّل قدر المستطاع اللّغة أو أحد صورها؛ لتكون مصدرا للأبحاث اللّغوية"[1]. وهذا المفهوم ينطبق في حدوده الواسعة على حوسبة اللّغة بطريقة قابلة للمعالجة الآلية لاستثمارها في مختلف مجالات المعرفة.

وبناء عليه؛ فإنّ المدوّنة اللّغوية المعدّة يجب أن تتميّز بالحياد والشمولية فلا ينبغي أن تمثّل عيّنة مخصوصة من النّصوص، أو تنتمي لتيار فكريّ مخصوص، أو بعد جغرافي مخصوص؛ لكي لا تمثّل المدوّنةُ نفسها فحسب

كما يجب أن تمثّل اللّغة ككلّ في طابعها الشّمولي، وهذا يفرض حوسبة كلّ ما يدخل في دائرة اللّغة، وهو ما طرحه العلّامة عبد الرحمن الحاج صالح في مشروع "الذخيرة اللّغوية العربيّة".

اختلف اللّسانيون العرب –تبعا لاختلاف نُظرائهم الغربيّين– في تصنيف لسانيات المدوّنة على اعتبارين متباينين، الأوّل؛ يعدّها فرعا قائما بذاته من اللّسانيات التطبيقية، ويعتبرها "حقلا لسانيّا يشمل تحليلا لمجموعة كبيرة من النّصوص المخزّنة إلكترونيا؛ بمساعدة برنامج حاسوبي"[2]، وبالتّالي ينظر إليها باعتبارها علما "يدرس الظّواهر اللّغويّة من خلال المدوّنات الحاسوبيّة ، ويهدف إلى دراسة اللغة وتحليلها بالاعتماد على النّصوص التي تزوّدنا بها المدوّنة والتي تتماز بكونها نصوصا واقعية"[3]، والثّاني؛ يعتبرها مقاربة منهجيّة تقوم على استغلال التكنولوجيا والمعلوماتية، وأدوات الذّكاء الاصطناعيّ، وشبكة الانترنت في البحث اللّساني، ويعرّفها بكونها "مقاربة لبحث بنيةِ واستعمال اللّسان من خلال تحليل قواعد معطيات واسعة لعيّنات فعلية من اللّسان مخزّنة في الحاسوب"[4]. أو باعتبارها "مقاربة لمعطيات موجّهة أو منهجية لبحث خصائص اللّسان"[5].

وسواء أكانت لسانيّات المدوّنة فرعا من فروع اللّسانيّات التّطبيقيّة، أم حقلا من حقولها، أم كانت مقاربة أم منهجيّة لدراسة اللّغة واللّسان البشريّ بوسائل العصر، فإنّها تقدّم للعمل المعجميّ خدمة جليلة، تقرّب الصّناعة من طلّابها وتسهّل عليهم سبل البحث عمّا يخدمهم، وتوفّر لهم الكثير من الجهد والوقت.

2.2 الصّناعة المعجميّة عند العرب: بدأت باكورة البحث اللّغويّ عند العرب مع حاجتهم الملحّة لفهم القرآن الكريم، ألفاظِه وتراكيبِه، ودلالاته ومَعانيهِ، ومقاصده ، ومقتضيات أحكامه، هذا الكتاب الذي نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشّعراء: 195] أعجز فطاحلة اللّغة وأساطين البيان، وخناذيذ الشّعر

من العرب إعجاز تحدٍّ وغلبة ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَّاتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَاتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا﴾ [الإسراء: 88]. وقد اتّخذ علماء العربيّة من لغة الأعراب رافدا ومَعينا يُمدّهم بفهم ما استشكل عليهم من معاني القرآن الكريم، فحفظ لنا التراث العربيّ أنّ ابن عبّاسٍ ﷺ كان يقول: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشّعر، فإنّ الشّعر ديوان العرب"[6]، فكان هذا القول بمثابة رسم طريق معرفة معاني كتاب الله ﷻ وحثّ على اتّباع سَمته، وانبرى أفذاذ من هذه الأمّة لجمع اللّغة العربيّة التي نزل بها القرآن الكريم، فسنّوا الرحلة إلى البوادي وطلبوا لغة العرب من مظانّها التي لم تشُبها العجمة، أو يتسلّل إليها اللّحن، فدوّنوا تراثا ضخما، عالجوه فيما بعد؛ ليتمخّض عنه علوم اللّغة العربية، وكما هو واضح؛ فإنّ لبنة جمع العربيّة طُبعت بطابع معجميّ بحت، فلا غرابة إذن أن تكون صناعة المعاجم أولى وأهمّ مخرجات هذه الحركة اللّسانية العظيمة.

إنّ المتتبع للحركة المعجميّة عند العرب يجدها قد بدأت في شكل مجاميع لغوية عشوائية؛ حيث يرود العلماء البوادي القصيحة، فيحفظون ما يسمعون من أفواه العرب الخلص، حتّى إذا أعياهم الحفظ دوّنوا ما وقع عليه سمعهم من ألفاظ الأعراب ومعانيهم وأمثالهم وحكمهم وخطبهم ووصاياهم وأشعارهم، وقد نقلوا لنا أنّ كُتب أبي عمرو بن العلاء (ت154هـ) "التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السّقف"[7]، وهذا الصّنيع بلا شكّ هو الذي جعله عالم العربيّة الأوّل في زمانه بلا منازع، وأمّا الكسائي(ت 189هـ)؛ فقد ذكروا أنّه سأل الخليل بن أحمد عن مصدر علمه، فأجابه بأنّه حصّله من بوادي نجد والحجاز وتهامة، فارتحل للبادية، ثمّ عاد بعد أن "أنفذ خمس عشرة قنّينةً حبرا في الكتابة سوى ما حفظ"[8]. وبالنّظر إلى المشقّة التي تجشّمها الكسائيّ لجمع هذه المدوّنة اللّغويّة الضّخمة بمعايير عصره، ثمّ إلى مكانة الكسّائيّ التي تبوّأها عند الخليفة هارون الرّشيد الذي عيّنه مؤدّبا لولديه الأمين

والمأمون، تتبيّن لنا المكانة المرموقة لعلماء اللّغة آنذاك؛ ما أدى إلى نشاط حركة جمع اللّغة، فظهرت في شكل مجاميع واختيارات شعريّة ونثرية، لا سيما في ظلّ ازدهار حركة الكتابة والتّدوين، فجمعوا كتبا في معاني الألفاظ دون ترتيب أو تنسيق، كما جمعوا كتبا تضمّ حقلا معجميّا واحدا قد يكون في الخيل أو الإبل، أو الأنواء، أو خلق الإنسان، غير أنّ حائز قصب السّبق، وشيخ الطّريقة إنّما هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) الذي ألّف كتاب العين، فكان أوّل معجم مكتمل المعالم في الصّناعة المعجميّة، يقوم على منهجيّة واضحة ودقيقة، اعتمد فيها الخليل على مخارج الحروف في ترتيب المادّة اللّغوية، وعلى نظام التّقليبات في حصر المادّة، هذا النّظام مكّن الخليل من حصر كلّ جذور اللّغة العربيّة المستعملة منها عند العرب والمهملة.

ثمّ توالت المؤلّفات تترى، فألّف ابن دريد (ت321هـ) جمهرة اللّغة خالف فيه الخليل في اعتماده الترتيب الألفبائيّ، ووافقه في اعتماد تقليبات الجذر، وألّف الأزهريّ (ت370هـ) تهذيب اللّغة على نهج الخليل، وسار على نهجه ابن عبّاد (385هـ) المحيط في اللّغة، وابن سيدة (ت458هـ) والمحكم والمحيط الأعظم. وخالف فريق آخر منهج العين؛ فجمع مادّته المعجميّة ورتّبها ترتيبا ألفبائيّا اقتداءً بأبي عمرو الشّيباني (ت206هـ) في كتابه الجيم، فألّف ابن فارس (ت 395هـ) مقاييس اللّغة، وخالف كلّ من سبقه في اعتماد الأصول والمقاييس في اللّغة، متأثّرا بفقه اللّغة ونظريّة الأصل والفرع، وألّف الزّمخشريّ (ت 538هـ) أساس البلاغة، وعلى طريقة ترتيب هؤلاء سارت المعاجم الحديثة، فيما نزع فريق ثالث إلى الترتيب بحسب الأبواب والفصول حيث يمثّل الباب آخر حرف للجذر؛ ويمثّل الفصل الحرف الأوّل منه، اعتمادا على الترتيب الألفبائيّ في الفصول ثمّ في الأبواب، وعلى هذا النّهج ألّف الجوهريّ (ت 393هـ) الصّحاح في اللّغة، وتابعه الصّغانيّ (ت 650هـ) في العباب الفاخر، وفي التّكملة والذّيل

والصّلة، وابن منظور (ت711هـ) في لسان العرب، والفيروزابادي (ت 817هـ) في القاموس المحيط، ثمّ الزّبيدي (ت 1205هـ) في تاج العروس.

3. المعجم التّاريخي للّغة العربيّة –الشّارقة– تحدّيات ورهانات:

1.3 إرهاصات المعجم التّاريخي للّغة العربيّة: لقد سبق الغربيون؛ لا سيما الفرنسيّون (1694م) والإنكليز (1928م) إلى إعداد المعاجم التاريخيّة، فيما تأخّر العرب في تأليف هذا النوع من المعاجم. والمعجم التّاريخيّ معجم "يُعنى بتطوّر الكلمة على مرّ العصور؛ سواء في جانب لفظِها، أَم معناها، أم طريقة كتابتها، ويُسجّل بداية دخولها اللّغة وأصولها الاشتقاقية، ويتتبّع تطوّرها حتّى نهاية فترة الدّراسة، أو نهاية وجود الكلمة"[9]؛ لأنّ ألفاظ اللّغة معرّضة للنموّ والتّطوّر والاضمحلال، والانبعاث من جديد على مرّ الأزمنة والعصور، كما أنّ معانيها يجري عليها ناموس الانحطاط والسموّ والتغيّر في الدّلالة، وبالتّالي؛ فإنّ المعجم التّاريخيّ ضروريّ لمعرفة تاريخ أمّة ما للإفادة منه في توليد اصطلاحات العصر الحادثة.

وأمّا **المعجم التاريخيّ للّغة العربيّة** فهو "ديوان يضمّ بين دفّتيه ألفاظ اللّغة العربية وأساليبها، ويُبَيّن تاريخ استعمالها أو إهمالها، وتطوّر مبانيها ومعانيها عبر العصور والأصقاع، ويقدّم مدخلا لغويّا للحضارة العربيّة والإسلاميّة"[10] وهذا يفرض علينا أن نبدأ من حيث انتهت إليه المعاجم القديمة، وذلك برصد الاستعمالات اللّغوية المختلفة للألفاظ في المعاني المستحدثة، والمصطلحات العربيّة المولّدة بحكم التطوّر الحضاري المتسارع، وإعادة النّظر في بعض الدلالات التي أنتجتها العصور القديمة وأغفلها المعجميّون دون أن نغفل عَزوَ الألفاظ لبيئاتها، على اعتبار أن المعجم التّاريخيّ يمسّ أساسًا التوثيق الجغرافيّ والتّاريخيّ لمباني ومعاني الألفاظ العربيّة طوال فترة استخدامها ويبقى الشّاهد على الاستعمال هو الأداة الوحيدة التي تعطي المعنى مصداقيّته وإطاره الحقيقي المرتبط بواقع الاستعمال اللّغويّ، وطبيعته من حيث الأصالةُ والتخصّص

والتعريب والتّوليد، والحقيقة، والمجاز، إذ ليس الهدف من المعجم التّاريخيّ رصد التّطور الدّلالي للّغة العربيّة عبر العصور التاريخية فحسب؛ بل يتعدّاه إلى "فهم التراث العلمي والمعرفي فهما صحيحا بفهم دلالة الألفاظ ومفاهيم المصطلحات في سياقاتها التّاريخيّة، وسدّ الفجوة الناتجة عن قصور المعاجم العربيّة عن مواكبة التطوّر اللّغوي"[11].

وقد رصد المستعرب الألماني أوغست فيشر (ت 1949م) هذه الفجوة، ودعا إلى ضرورة إنشاء معجم تاريخيّ للّغة العربيّة، وسرعان ما تبنّى الفكرة مجمع اللّغة العربية في القاهرة "فضمّنها أولى وثائقه الرّسمية؛ حيث نصّ مرسوم إنشائه الصّادر في الرّابع عشر من شعبان 1451هـ، الموافق للثّالث عشر من شهر ديسمبر للميلاد؛ في المادّة الثّانية الخاصّة بأهداف المجمع على أن يقوم بوضع معجم تاريخيّ للّغة العربيّة، وأن ينشر أبحاثا في تاريخ بعض الكلمات وتغيُّر مدلولاتها"[12]. وفي سنة 1936 للميلاد أسند المجلس إلى البروفيسور فيشر مهمّة الإشراف على لجنة إعداد المعجم التّاريخي، غير أنّ العمل انقطع بفعل ضعف الهِمم، وغياب التّمويل والرّعاية الإداريّة والفنّيّة. حتّى قيّض الله لهذا المشروع الدّكتور سلطان القاسمي؛ حاكم إمارة الشّارقة فتكفّل بكلّ متطلّبات إنجاز هذا المعجم الضخم وتذليل كلّ الصّعوبات التي من شأنها أن تُقوِّض جهود إنجازه، وتمّ الإعداد للمشروع لإنجازه ورقيّا ورقميّا.

2.3 المعجم التّاريخي للّغة العربيّة –الشّارقة: صاحب التطوّر الهائل في مجال المعلوماتية والتقنيّة، وأدوات الذّكاء الاصطناعيّ، وانتشار شبكة الأنترنت ظهور معاجم رقميّة في شكل مدوّنات حاسوبية، ضمن ما بات يُعرف بلسانيات المدوّنات، ولعلّ أكبر وأضخم مدوّنتين معجميّتين رقميّتين على الشّابكة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة بالشّارقة، المنجز تحت مظلّة اتّحاد المجامع العربيّة وبإشراف حاكم الشّارقة الدّكتور سلطان القاسمي، ونظيره بالدّوحة تحت إشراف

دولة قطر، وهما وإن اتّفقا في طبيعة المعجم وأهدافه؛ فقد اختلفا في المنهج والصناعة، والذي يعنينا هنا هو معجم الشّارقة؛ لاعتبارات أهمّها إشراك المجامع والمؤسّسات الرّسميّة العربيّة في إنجازه، وانتماء فريق العمل فيه إلى مختلف الجنسيّات العربيّة والإسلاميّة، وقد سجّلت الجزائر مشاركتها في هذا العمل الضّخم بحضور مميّز لفريق عمل اللجنة الجزائريّة برئاسة الأستاذ الدّكتور صالح بلعيد، وبرعاية المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

بدأ التحضير للعمل في هذا المعجم –كما أسلفنا– لمّا عقد حاكم الشّارقة الدّكتور سلطان القاسمي العزم على تبنّي المعجم على جميع الأصعدة؛ العلميّة والإداريّة والفنّية والتّقنيّة والمالية، فأقام صرحاً علميّا فاخرا لمقرّ اتّحاد المجامع العربيّة في مدينة السّادس من أكتوبر بالقاهرة، وجهّزه بما يلزم لإتمام عمله على أكمل وجه، وأسند الجانب العلمي والإشراف لاتّحاد المجامع العربيّة بالقاهرة فيما أسند الجانب التّنفيذي والمالي لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة[13].

وقد تمّ العمل على إنجاز المعجم وفق خارطة الطريق الآتية[14]:

1. إسناد إنجاز المعجم لاتّحاد المجامع اللّغوية العلميّة العربيّة؛ وهو مؤسّسة علميّة متخصّصة تنضوي تحتها المجامع والمجالس والمراكز اللّغويّة في العالم العربي؛ ليكون العمل جماعيّا مؤسّسيّا؛
2. تحديد الهيكل التّنظيمي للمعجم إداريّا وعلميّا وتنفيذيّا ضبطا للحوكمة وانتظام العمل، وعدم تداخل المهامّ؛
3. تحديد تخوم المعجم وخريطته الزّمنيّة والجغرافيّة؛
4. إعداد المنهج العلميّ لبناء المعجم وتحريره؛ ليكون معيارا وخريطة واضحة المعالم تعصم السّالكين من المحرّرين من الخروج عن جادة الصّواب، وتضمن سير العمل على نهج واحد؛
5. تحديد المجامع المشاركة في المعجم، وتشكيل اللّجان العلميّة بها وفق مواصفات ومعايير علميّة دقيقة؛

6. تحديد مصادر المعجم وجمعها؛ موزّعة على الجغرافيا اللّغويّة في كلّ العصور؛ شاملة مصادر كلّ الفنون والعلوم، حرصا على تمثيلها للّغة تمثيلا محيطا شاملا؛ متجاوزة عصور الاستشهاد المعجميّة الموروثة إلى الاستشهاد بكلّ نصّ عربيّ صحيح في كلّ العصور؛

7. اصطفاء كوكبة من اللّغويّين والمعجميّين في العالمَيَن العربي والإسلاميّ وتدريبهم في كلّ البلدان العربيّة المشاركة على قواعد المنهج والنّموذج التّطبيقي وقواعد التّحرير، وطرائق استخدام المدوّنة الرّقميّة والاستفادة منها؛

8. المتابعة العلميّة المستمرّة للمحرّرين، والإجابة عن تساؤلاتهم، وعمل نشرات دوريّة بالتّحديثات والتّوجيهات اللّازمة؛

9. عمل مراجعة علميّة توجيهيّة بعد شهرين من بدء العمل على عدد من النّماذج المحرّرة؛ لاستكشاف ما يجب تصويبه وتصحيحه؛ ضبطا لمسار العمل على نهج قويم؛

10. إنشاء مدوّنة لغويّة محوسبة خاصّة بالمعجم تحتوي على أكثر من مليار كلمة تضمّ أمّات المصادر والمراجع اللّغوية والعلميّة المتنوّعة تتمتّع بجميع خصائص المعالجة الحاسوبيّة على وفق المعطيات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات؛ وهي عمليّة شاقّة وشائكة، وقد تكفّل معجم الشّارقة بإعدادها؛

11. إعداد منصّة رقميّة يبحثّ فيها ويُنقّب من خلالها المحرّرون في المعجميّة عن جذور الألفاظ العربيّة ومداخلها ومعانيها، مستنيرين بمنهج التّحرير المعجميّ الذي أقرّه المجلس العلميّ للاتّحاد[15].

وقد أنشأت حكومة الشّارقة موقعا خاصّا بالمعجم التّاريخي[16]، يمكّن من البحث عن المواد المعجميّة المختلفة، وذلك بكتابة جذر الكلمة المبحوث عنها في المكان المخصّص للبحث؛ لتظهر النّتائج للباحث قبل أن يرتدّ إليه طرفه فيعرض له المعجم النّظائر السّاميّة للكلمة (الأكاديّة، والفينيقيّة، والأراميّة

والعبريّة، والجعزيّة)؛ ثم يعرض بعدها المعاني الكلّية للجذر اللّغوي على طريقة ابن فارس في "مقاييس اللّغة، ويورد بعدها إحصاء مداخل الجذر، ثمّ يفصّل في معاني كلّ مدخل. وتأتي المعاني مرتّبة بحسب ما أقرّه المنهج من تقديم الفعل اللّازم ثمّ المتعدّي، ثمّ المتعدّي بحرف الجرّ، مع تضمين المشتقات معنى الفعل، والبحث عنها بدلالته، أو البحث عن معنى الفعل بدلالتها، لتأتي بعدها الأسماء، والمشتقّات المتمحّضة للإسميّة نحو: ضابط، وقاضي، وصُرَعة. وأمّا المتلازمات اللّغويّة والمسكوكات فتوضع موضعها من الأفعال أو الأسماء.

أمّا من النّاحية التّاريخيّة فتظهر المعاني مرتّبة تاريخيّا؛ العصر الجاهليّ فالإسلاميّ، فالعبّاسيّ، فالدوّل والإمارات، ثمّ العصر الحديث، مع استيفاء كلّ المعاني المسجّلة عبر السيرورة التّاريخيّة وفق الاستعمال الفعلي للّغة، مستشهدا بأوّل شاهد للمعنى في كلّ عصر من العصور.

ومدوّنة المعجم مزوّدة بستِّ أيقونات أعلاه هي:

1) **الرّئيسيّة:** ويمكن من خلالها العودة للانتقال إلى صفحة الواجهة.

أ- عن المعجم: وهي أيقونة فارغة لمّا يُكتبْ فيها؛

ب- مقدّمة الرّئيس الأعلى للمشروع؛ الدّكتور سلطان بن محمّد القاسمي؛ حاكم الشّارقة؛

ت- مقدّمة رئيس اتّحاد المجامع العربيّة؛ العلّامة حسن عبد اللّطيف الشافعي؛

ث- مقدّمة المدير العلمي؛ الأستاذ الدّكتور مأمون وجيه؛

ج- مقدّمة المدير التّنفيذي؛ رئيس مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة؛ الدّكتور امحمّد صافي المستغانمي؛

ح- المشاركون في تحرير المعجم؛ وتشتمل هذه الأيقونة على الترتيب الهرمي؛ بدءًا من لجنة التّنسيق ولإخراج الفنّي، ثمّ راعي المشروع الدّكتور سلطان القاسمي، ويليه اتّحاد المجامع اللّغويّة العلميّة العربيّة، ثمّ المجلس العلميّ لاتّحاد المجامع اللّغويّة العربيّة، ثمّ اللّجنة التّنفيذيّة، فاللّجنة العلميّة للمعجم،

يليهما المقرّرون العامّون، ولجنة النّقوش العلميّة، ثمّ لجنة النّظائر السّاميّة، وبعدها لجنة الدّخيل والمعرّب، فلجنة المصطلحات، ثمّ الفريق الهندسيّ والتّقنيّ، فلجنة التّدريب العلمي والتّقني، وينتهي بخبراء التّدقيق والمراجعة، ولجنة التّدقيق والمراجعة الورقيّة والإلكترونيّة، وفي الختام يأتي المحرّرون.

2) **إحصائيّات**؛ وفيها إحصائيّات خاصّة بكلّ حرف؛ حتّى حرف الضّاد؛ وهو المنجز من المعجم إلى الآن؛

3) **أخبار المعجم**: وتحتوي هذه الأيقونة على أهمّ الأنشطة العلميّة ذات العلاقة بالمعجم التّاريخي للّغة العربيّة؛

4) **مصادر المدوّنة**: وفيها خصيصة البحث عن كتاب في المدوّنة؛ غير أنّها وإن كانت تظهر الكتب داخل المدوّنة إلّا أنّها لا تفتحها؛

5) **دخول البّاحثين**: وهي أيقونة مخصّصة للعاملين المنتمين لفريق المعجم التّاريخي للّغة العربيّة كلّ من موقعه، ووظيفته؛ ولا يمكن لأيّ شخصٍ غير منتمٍ إلى فريق العمل أن يلج إليها؛ إذ تتطلّب اسم المستخدم، وكلمة المرور وقد أمضى الباحثون ميثاق شرف يقضي بإبقاء المعلومات الخاصّة بالمنصّة سرّيّة، وعدم استعمالها في كلّ ما من شأنه أن يقوّض السير الحسن للمعجم؛ اللّهمّ إلّا ما استُعمِل منها لأغراض علميّة.

والمنصّة تحتوي على واجهة على المعلومات الضّروريّة للجذور المسندة وعند الضغط على الجذر المراد تحريره تظهر مداخله المطلوب تحريرها، وبعد حصر المحرّر جميع مداخل الجذر ينظر في قائمة المداخل الموجودة مسبقا لديه، ويحرّر منها الأفعال والأسماء والأدوات، ويُعرض عن المشتقّات، وفي حالة عمد وجود مدخل، يقوم بطلبه من اللّجنة التقنيّة القائمة على عمليّة إسناد المدتخل، وذلك بعد أن يُرفق المخل بالمعلومات الضروريّة الخاصّة به، لتتمّ الإضافة بعد التأكّد من صحّة المدخل؛ وبالضّغط على المدخل تظهر قائمة

الشّواهد قيد التّحرير، وتحتوي على خمس أيقونات هي (قبل الإسلام، الإسلامي، العبّاسي، الدّول والإمارات، الحديث)، وعند الضّغد على إحدى هذه الأيقونات تنتقل المنصّة إلى المدوّنة الرّقميّة المحوسب، ليقوم المحرّر بالبحث فيها عن الشّواهد ومعانيها ثمّ يقوم بقصّ الشّاهد المناسب والأقدم تاريخيّا في الفترة الزّمنيّة المحدّدة، وتفتح له المنصّة صفحة التّحرير، والتي تحتوي بدورها على أيقونات مدروسة بدقّة أهمّما:

1. **معنى الشّاهد:** ويحتوي على قائمة منسدلة يختار منها المحرّر الرّمز المناسب (*،ـــ،o) فالنّجمة لرأس التّعريف والمعنى الأصلي للمدخل والشّرطات للمعاني الأخرى للمدخل ذاته، بينما الدّائرة للمسكوكات والمتلازمات اللّغويّة.

2. **معاني المدخل:** وهي خانة في غاية الأهميّة؛ إذ يصوغ فيها المحرّر معنى المدخل، ويجب أن يكون دقيقا ومختصرا (لا يتجاوز 255حرفا)، وبعد حفظ معنى المدخل يُضاف تلقائيّا إلى خانة معاني المدخل؛ والتي من خلالها يمكن للمحرّر أن يختار المعنى المتطابق مع الشّاهد؛

3. **بداية التّقديم:** وفيها يصدّر المحرّر شاهده بـ(قال، روى، حدّث، أنشد...)؛ ذلك أنّ فكرة المنصّة قائمة على مصفوفة مجزّأة تنجز العمل آليّا كما يظهر في الصفحة الرّئيسّة عند البحث عن جذر ما.

4. **المستعمل الأوّل:** باعتبار أنّ المعجم تاريخيّ؛ فأهمّ ما فيه هو الاجتهاد في التّنقيب عن أوّل مستخدم للمدخل في كلّ عصر من العصور في حدود ما توفّره المدوّنة؛ أو في حدود ما توفّر لدى البّاحث من مصادر؛ باعتبار المنصّة تدعم الشّاهد الخارجيّ؛ ويتمّ اختيار المستعمل الأوّل من قائمة منسدلة مشفوعا بتاريخ وفاته؛ أو ما يدلّ على العصر الذي عاش فيه؛ أو قرينة تحدّد إطاره الزّماني؛ وفي حالة عدم وجود المستعمل الأوّل يحدّده المحرّر، ويجتهد في تحديد إطاره الزّماني، ويرسله للقائمين على إضافته، وبعد التأكّد من صحّته تتمّ إضافته إلى القائمة المنسدلة؛

5. **التّقديم للشّاهد:** وفيها يقدّم المحرّر لشاهده بما يتناسب والسّياق على أن يكون التّقديم مناسبا ومختصرا؛ مثل: (قال يمدح فلانا، يصف فرسه، يفخر بقومه...)؛

6. **الشّاهد:** وهو الذي عليه مناط العمل؛ إذ تظهر صورته كما هي مقتطعة من المصدر إن كان مأخوذا من مدوّنة المعجم، ثمّ تُعاد كتابته مضبوطا بالشّكل، ووفق أصول المنهج المعتدة في خانة الشّاهد، مع تلوين الكلمة محلّ الشّاهد باللّون الأحمر؛

7. **نوع الشّاهد:** ويتمّ اختياره من قائمة منسدلة تحتوي على (شعر –ذو الشّطرين/ رجز، نثر، قرآن –اسم السورة والآية، حديث)؛

8. **التّفاصيل الببليوغرافيّة للشّاهد:** وتظهر تلقائيّا إن كان الشّاهد من داخل المدوّنة، ويكتب المحرّر المعلومات الضّروريّة إن كان الشّاهد خارجيّا، ويقتصر على اسم المؤلّف، عنوان الكتاب، المحقّق، ويضع تحتها رقم صفحة الشّاهد كما هو في النّسخة المصوّرة، ورقم الجزء؛

9. **حالة الدّلالة في معاجم العصور التّالية:** وهذه الأيقونة مخصّصة للشّواهد المعجميّة؛ إذ الشّواهد في المعجم نوعان؛ شواهد حيّة؛ وعليها يدور اجتهاد المحرّر، وشواهد معجميّة في حالة تعذّر الحصور على الشّاهد الحيّ، ويتم اختار حالة الشّاهد من قائمة منسدلة تحمل عبارات (وهذه الدّلالة سجّلتها المعاجم في: بقيّة العصور/ في عصر الدّول والإمارات/ في العصر الحديث) ثمّ يتمّ بعدها حفظ الشّاهد، ليرسل الجذر فيما بعد للمراجعة، وبها يخرج من حساب المحرّر إلى حساب الخبير، والذي يراجعه، ثمّ يعيده للمحرّر من أجل تصويبه، ثم يرسله مرّة أخرى، وهكذا يُفع الجذر من مرحلة إلى مرحلة حتّى تتمّ عمليّة المصادقة النّهائيّة.

هذه الأيقونات الأساسيّة التي تتكوّن منها المنصّة في إعداد البطاقة المعجميّة للشّاهد، وضربنا الذّكر صفحا عن أيقونات فرعية أخرى.

4. خاتمة: أثرّت تكنولوجيا الإعلام الآلي، وتكنولوجيا الإعلام والاتّصال على حياة البشريّة تأثيرا عميقا، ممّا سمح للبشريّة بالإفادة منها في شتّى المجالات، ولم يكن مجال اللّسانيات والدّراسات اللّغويّة بمنأى عن هذه الحركة ولا بدعا من مجالات العلوم المختلفة، فبادر من الوهلة الأولى إلى الاستفادة من إمكانات الحاسوب الجبّارة في رقمنة المعاجم والقواميس والكتب، ثمّ انتقلت إلى صناعة المدوّنات ونشرها على شابكة الانترنت، وصناعة برامج خاصّة لإدارتها، ثمّ ما لبثت أن انتشرت ظاهرة المدوّنات المحوسبة فشاع ما يُعرف بـ: لسانيات المدوّنات". هذه الأخيرة مدّت الصّناعة المعجميّة برافد عذب ومعين لا ينضب؛ يختصر عنها الوقت والجهد، فظهرت الكثير من المعاجم الرّقميّة المبنيّة على قاعدة بيانات ضخمة، ومن هذه المعاجم؛ المعجم التاريخيّ للّغة العربيّة بالشّارقة؛ الذي يبقى موسوعة لغويّة علميّة قابلة للإضافة والتّطوير ومجالا خصبا للبحث اللّغويّ في جميع فروع علوم اللّغة وتخصّصاتها.

إنّ المعجم التّاريخيّ مكسب هامّ للأمّة العربيّة، وفقد أثمرت جهود الدّكتور سلطان القاسمي إنجازَ حلم علماء العربيّة منذ الرّبع الثّاني من القرن الماضي وإنّما تحقّق هذا الحلم بفضل الدّعم المادي والعلمي والتّقني للمشروع الذي كلّف الكثير، ولعلّ مزيّة هذا المعجم أنّه خرج من دائرة التفرّد الضيّقة إلى دائرة الشّموليّة؛ حيث مثّل مشروعا عربيّا قوميّا شاركت فيه كلّ أقطار الأمّة العربيّة، تحت راية اتّحاد المجامع العربيّة؛ وإن كانت حظوظ وجهود بعض البلدان أوفر وأوفى من جهود بعضها الآخر، كما استطاع المعجم أن يجمع شتات المعاني المتفرّقات في المعجمات القديمة والحديثة، من خلال رصد شواهدها اللّغويّة الحيّة المبثوثة في بطون الكتب التي احتوت عليها المدوّنة المحوسبة، وأخرى

اجتهد المحرّرون في استدراكها من مدوّنات لسانيّة متاحة على شابكة الأنترنت على غرار موقع تُراث[17]، والموسوعة الشّعريّة، والمكتبة الشّاملة.

كما استطاع المعجم أن يؤرّخ لمعاني لألفاظ المستعملة من العصر الجاهليّ إلى العصر الحديث مع ربطها بنظائرها السّاميّة، ورصد تطوّرها وتغيّرها وسموّها وانحطاطها من خلال مختلف معانيها عبر العصور، ناهيك عن كون المعجم في حدّ ذاته أصبح يمثّل موسوعة لغويّة عربيّة ضخمة يمكن للباحثين في حقول العلوم الإنسانية المختلفة؛ ولا سيما علوم اللّغة واللّسانيات أن يُفيدوا منها.

إنّ اضطراب المنهج واختلافه باختلاف تخصّصات المحرّرين ومستوياتهم وفوارقهم الفرديّة، ونباهتم، وقدرتهم على التّحقيق من جهة؛ وافتقار المعجم للجرأة العلميّة في إثبات المعاني الجديدة التي فرضها العصر ولم تأتِ بها المعاجم القديمة يفرض ثلاثة إجراءات عاجلة لتدارك هذا النّقص:

1. تعيين لجنة علميّة ذات كفاءة عالية، وخبرة في العمل المعجميّ تتابع أخطاء المنهج وتجبر مواطن قصوره، وتدرس الدّلالات المستحدثة وتضيفها لمدوّنة المعجم؛
2. فتح المجال أمام الباحثّين لتحيين الشّواهد بما هو أقدم منها في كلّ عصر والنّظر في الدّلالات التي أغفلتها المعاجم، ورفعها للّجنة العلميّة المختصّة؛
3. توسيع المدوّنة المحوسبة للمعجم التاريخي، وتحيين العمل في ضوئها.

6. قائمة المراجع:

[1]–عز الدين البوشيخي وآخرون، نحو معجم تاريخي للّغة العربيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، ط1، الدّوحة، 2014، ص 295.

[2]–بول بيكر، مناهج المتون في اللّسانيات، تر: صالح العصيمي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، معهد الملك عبد الله للترجمة والتعريب، الرّياض،1435هـ ، ص178.

[3]–صالح بن فهد العصيمي، لسانيات المتون، قضايا أساسية في التّأصيل والتّطبيق والمنهج، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربيّة، ط1، الرياض، 2018، ص23.

[4]–عبد الوهاب معيفي ونسيمة قطاف، لسانيات المدوّنة وتعليمية اللّسان العربي، مفاهيم نظريّة ومبادئ أساسية، مجلة اللّسانيات التطبيقة، مج 5، العدد 02، 2011، ص14.

[5]–المرجع نفسه، ص15.

[6]–أبو بكر محمّد ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981، ص62.

[7]–عمرو بن بحرالجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1، ص261.

[8]–أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تح: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1. بيروت، 2002، ج13، ص347.

[9]–أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1998، ص56.

[10]–محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للّغة العربية؛ وثائق ونماذج، دار السّلام، ط1، 2008، ص11.

[11]–عز الدين البوشيخي وآخرون، نحو معجم تاريخي للّغة العربيّة، ص21،20.

[12]–*https ://www.almojam.org/page-2-4*

[13]–يُنظر: المرجع السّابق، 2-3. *https ://www.almojam.org/page-2-4*

[14]–المرجع نفسه، 2–4. *https ://www.almojam.org/page–2–4*

[15]–يُنظر: المرجع نفسه، ص 2–5. https://www.almojam.org/page–2–5

[16]–موقع المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة (الشّارقة) https://www.almojam.org/

[17]– موقع تراث على شبكة الأنترنت: https://app.turath.io/.

تأسيس الاختلاف في دراسة السّياسة اللُّغويّة بالوطن العربي

"دراسة وصفيّة لكتاب: «السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة»

"للدّكتور صالح بلعيد"

Establishing difference in the study of linguistic policy in the Arab world

A descriptive study of the book: "Linguistic Policy and the Place of the Nation's Language" by Dr. Saleh Belaid

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-027-001-003 DOI

تاريخ الاستلام: 10-04-2024 تاريخ القبول: 02-09-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يتصل التّخطيط اللُّغوي بشتّى الجوانب المتعلّقة بوضع سياسة لغويّة تتّسم بالشّمولية، وتوضع من خلالها مختلف الرّؤى والأفكار التي تبيّن مكانة اللُّغات المستخدمة على مستوى الساحة، وقد وصفه(التّخطيط اللُّغوي) العديد من المفكرين بأنه يرمي إلى تحديد خطة مستقبلية لوضع اللُّغة من أجل استخدامها من خلال برامج، وتشريعات، وقرارات، ويرمي هذا البحث إلى تقديم دراسة وصفيّة لكتاب:« السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة» للباحث الدكتور صالح بلعيد، والمعروف بجهوده المتميّزة في هذا المجال المعرفي الخصب يقع الكتاب في: 463 صفحة، وقد صدر حديثاً بالجزائر خلال شهر سبتمبر 2023م، وهو بمنزلة موسوعة علميّة شاملة تُعالج قضايا متنوعة ذات صلة بالسياسة اللُّغويّة؛ حيث نلفي فيه العديد من الأفكار العميقة.

كلمات مفتاحيّة: الاختلاف؛ السّياسة؛ الوطن؛ اللُّغة؛ التّخطيط.

♥ كلية الآداب واللُّغات، جامعة عنابة، الجزائر.

البريد الإلكتروني:saifalislamhousain@gmail.com (المؤلف المرسل).

Abstract: Linguistic planning relates to various aspects related to developing a comprehensive linguistic policy, through which various visions and ideas are developed that show the status of the languages used on the arena level. Many thinkers have described (linguistic planning) as aiming to define a future plan to develop the language for use through programs, legislation, and decisions. This research aims to present a descriptive study of the book: "Linguistic Policy and the Place of the Nation's Language" by researcher Dr. Saleh Belaid, who is known for his distinguished efforts in this fertile field of knowledge. The book is 463 pages long and was recently published in Algeria during the month of September 2023 AD. It serves as a comprehensive scientific encyclopedia that addresses various issues related to linguistic policy. Where we meet many deep ideas.

Keywords: the difference; Politics; Motherland; the language; Planning.

مقدّمة: إن التّخطيط اللُّغوي يتصل بشتى الجوانب المتعلقة بوضع سياسة لغويّة تتسم بالشمولية، وتوضع من خلالها مختلف الرؤى والأفكار التي تبيّن مكانة اللُّغات المستخدمة على مستوى الساحة؛ فهناك لغة محلية، ولغة رسمية ولغة وطنية، وقد وصفه(التّخطيط اللُّغوي) العديد من المفكرين بأنه يرمي إلى تحديد خطة مستقبلية لوضع اللُّغة من أجل استخدامها من خلال برامج وتشريعات، وقرارات، وهو مجموعة من التدابير التي تُتخذ من أجل تنفيذ هدف معيّن، وذلك عن طريق وجود غاية يُراد الوصول إليها، ولذلك يجب وضع التدابير المُحدّدة لبلوغ ذلك الهدف، أو وضع مجموعة من التصورات الواضحة التي تربط بين السياسة التعليمية وعمليات التصوّر الشامل لما تقتضيه عوامل التغيير، والمراجعة المُستمرة في مجال إيجاد مجموعة من الآليات الحركية(صالح بلعيد، 2000م). ويكاد يقع الإجماع على أنه يرتبط بتسطير

ووضع سياسة لغوية معينة؛ وهو ينضوي تحت لواء علم اللُّغة التطبيقي، أو اللّسانيات التطبيقية، وهناك من يصفه بأنه مرحلة تطبيقية تُجسد السياسة التي تنتقيها الدولة؛ وقد فرّق ثلة من العلماء بينه وبين التهيئة اللُّغوية؛ التي وصفها نخبة من علماء علم اللُّغة التطبيقي بأنها وضع قواعد كتابية معيارية، من نحو ومعجم؛ قصد توجيه الاستعمال الشفهي، والكتابي داخل جماعة لغوية غير متجانسة(صالح بلعيد، 1999م)، وتُعرف السياسة اللُّغويّة بأنها جُملة من الطرائق التي يتمُّ من خلالها التصرف مع اللُّغة وفق جملة من الخيارات التي تنهض بين اللُّغة والواقع الاجتماعي؛ لذلك فهناك صلة وشيجة بين السياسة اللُّغويّة واللّسانيات الاجتماعية، إذ يُعبِّر الأداء اللّغوي عن مستوى الفرد ويكشف النّقاب عن اختلاف المستويات الثّقافية، والطبقات الاجتماعيّة، ودرجة الكفاءات العلميّة؛ ذلك أن اللّغة ظاهرة اجتماعيّة؛ فوجودها يشترط وجود مجتمع، ولا يُمكن أن نُلفي نظاماً لغوياً بمعزل عن جماعات إنسانيّة تستخدمه وتتعامل به؛ فهناك صلة وثيقة بين اللّغة، والمجتمع، وبين علم اللُّغة، وعلم الاجتماع؛ ولذلك عُرف علم اللّغة الاجتماعي بأنه دراسة للّغة في علاقتها بالمجتمع، وبذلك تتبدّى مختلف جوانب بنية اللّغة، وطرائق استعمالها، إذ لا يتأتّى فهم اللُّغة وقوانينها بمعزل عن متابعة تحولات المجتمع، وحركته؛ إذ أن اللّغة تعدُّ من أبرز وأصدق الوسائل التي تُميط اللّثام عن طبيعة المجتمعات وسماتها الحضاريّة؛ ولذلك فقد ركّزت اللّسانيات الاجتماعيّة اهتماماتها على قضايا التّنوع اللّغوي، والدّراسة الوصفيّة للأوضاع اللّغوية(طرائق، وأساليب الكلام) والازدواجيّة اللّغوية، والتّعدد اللّغوي، وتعدّد اللّهجات، وغيرها.

أهمّ محتويات الكتاب: في كتاب:« السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة» والذي يقع في:463صفحة، والصادر حديثاً بالجزائر خلال شهر سبتمبر2023م، وهو بمنزلة موسوعة علميّة شاملة تُعالج قضايا متنوعة ذات صلة بالسياسة اللُّغويّة؛ يُقدم الباحث الأستاذ الدكتور صالح بلعيد العديد من

الأفكار العميقة التي تتصل بالسياسة اللُّغوية وموقع لغة الأمة؛ التي تعددت التعريفات المُقدمة بشأنها من لدن نخبة من الباحثين في مجال اللّسانيات، حيث يذهب الباحث(عبد العلي الودغيري) إلى أننا حين نضع العربية(في مجموعها الكلّي: فصحى ولهجات) إزاء مُواطناتها من اللُّغات المحلية غير العربية، من زاوية أخرى؛ نجد أن العربية تظل وحدها القابلة لأن تحوز بكل تجرُّد وموضوعية لقب(لُغة الأمّة) في مقابل كل لغة أو لهجة أخرى من اللُّغات واللهجات الوطنية التي يصدق عليها أن توصف بلغة الأُمّ عند من يتكلمها ويستعملها سليقة في أُسرته وقبيلته وعشيرته، أو منطقته الجغرافية المحدودة؛ وذلك باعتبار أن العربيّة هي اللُّغة التي تشترك في التفاهم بها مُكوِّنات الأُمَّة كلُّها بمختلف شعوبها، ودُولها ولغاتها.(عبد العلي الودغيري، 2014م). إن كتاب:« السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة» عبارة عن مجموعة من الأبحاث العميقة، والمقالات، والمحاضرات؛ التي كان الكاتب وعالم اللّسانيات المعروف الأستاذ الدكتور صالح بلعيد؛ رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر، قد ألقاها في بعض المؤتمرات العلمية، والمناسبات الثقافية، ثم قام بتجميعها وتحريرها، والإضافة عليها ليمنحها نسقاً موحداً تنتظم فيه، حيث يشير إلى هذا الأمر في المُقدّمة العامّة بالقول: « إنّها مُحاضرات وكلمات ومقالات أُلقيت بمُناسبات، وبعض موادّها سبق أن تشكّلت رُؤاها في أعمال علميّة ومُلتقيات وندوات واجتماعات وأفكار مُتلاحقة؛ منها ما أُشير له في كتب منشورة وشكّلت لنا مادة مُهمّة؛ رأينا جمعها من مظانها والإضافة إليها، وتحيين بعض مُحتواها في هذا الكتاب الذي يتناول الكلام الجادّ عن اللّغة العربيّة/ اللُّغة الجامعة وما نراه من واجباتنا تُجاهها، وماذا يُمكن أن نُقدّمه لها في هذا الظّرف الذي يشهد التّغوّل اللّغويّ، ويُنذر بزوال/ موت الكثير من اللُّغات، وفي ذات الوقت نشهد حروب اللّغات... ».(صالح بلعيد، 2023م). مؤلف الكتاب هو الباحث الدكتور صالح بلعيد؛ أستاذ اللّسانيات واللُّغة العربية، يتميز بكفاءة عالية في

مجال البحث اللُّغوي، وقضايا علم اللُّغة، والسياسة اللُّغوية واللّسانيات العامة واللّسانيات التطبيقية، وقد أصدر عدة كتب في هذا الميدان؛ أثارت الانتباه إلى قضايا مهمة جداً، ونذكر من بينها: « دروس في اللسانيات التطبيقية» و«التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني» و«المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللُّغة العربيّة» و«مقالات لغوية»، و«اللغة العربية العلمية»، و«مقاربات منهاجية»، و«علم اللغة النفسي»، و«نظرية النظم»، و«في الأمن اللغوي». والحقيقة أن جهود أستاذنا الباحث الدكتور صالح بلعيد في مجال: «السّياسة اللّغويّة والتّخطيط اللّغويّ» هي جهود كبيرة جداً، وتمتد لسنوات طويلة؛ ففي موضوع له وسمه بـ: « رأي في تخطيط لغوي للمُواطنة اللُّغويّة»، نبّه إلى عدة قضايا تكتسي أهمية بالغة ولا يُمكن أن يغفلها كل مهتم بقضايا التخطيط اللُّغوي، حيث يقول في مستهله: « إنّ موضوعي الذي أعددته في هذا اليوم هو رأي يطرح تخطيطاً لسياسة لغوية تعمل على الانسجام الجمعي في إطار تعدّدية لغويّة وطنيّة، وقد بصرتُ بها وأنا أشرف على أبحاث في التّخطيط اللغويّ، وكانت لديّ تجارب في هذا المجال، وأروم طرحها أمامكم باختصار أمام بحثة، ونخبة وطنيّة علّهم يستفيدون، أو ينتقدون؛ للوصول إلى تقديم أفكار مشتركة في تخطيطنا اللغويّ المُشترك؛ لبناء منهج علميّ في تراتب اللُّغات الوطنيّة». (صالح بلعيد 2023م)، ويُضيف الدكتور صالح بلعيد، وهو يُبدي رأيه في تخطيط لغوي للمواطنة اللُّغويّة، بالإشارة إلى أنه لتجسيد المواطنة لا بدّ أن يكون الحوار وقبول الآخر للتّحاور وفق رؤى حضاريّة تؤدي إلى لا فرض ولا شرط إلا وفق مقتضى الأهداف الجامعة، والمرجعيات الوطنيّة والحضاريّة والتاريخيّة، ووفق ذلك تحصل المواطنة في شكلها العاليّ تنظيراً، وممارسة، وفق المساحة المشتركة التي تُحقّق السّلام الشّامل على ما يفهم الآن من الانسجام، ومن الاستقرار؛ فالدولة لا تنال غايتها من الانسجام الدولي إلا إذا تمتع أفرادها

بنعمة الأمن والطمأنينة في ما بينهم ، وبالنسبة إلى المواطنة اللُّغوية التي تجمعنا في اللُّغة المشتركة، والتي هي قسيمنا المختار من قبل الأجداد، يقول الدكتور بلعيد: « إنه خيار استراتيجيّ مرن؛ حيث المازيغيون تعرّبوا وبقوا على مزوغتهم، والعرب تمزّغوا وحافظوا على عروبتهم، وكان من وراء ذلك الانصهار الجمعيّ الذي أدّى إلى فتح الأندلس دون نكاية، ولا شكاية، والكلّ وراء الفتح الإسلاميّ الذي اشتعلت فيه الآفاق من أجل الدين الإسلاميّ المصحوب بلغة العرب، و ما لا يفهم به فهماً جيّداً يحتاج إلى لغة التنزيل وهي العربية العدنانيّة التي انصهر فيها الجميع بالمحافظة على الخصوصيات التي لا تُخلّ بالمواطنة اللغويّة التي تعني في أحد أوجهها ربط الفرد بدولته وبقوانينها، وجميع أبناء الوطن يتمتعون بتلقي لغات الوطن دون أي تمييز، مع المحافظة على التراتبيّة اللُّغويّة، وهي من متطلّبات الثلاثي العالميّ: الحوار والتسامح، والسلام؛ لتحقيق خريطة طريق تعمل على تحقيق التخطيط اللُّغويّ المطلوب» (صالح بلعيد، 2023م). ويقترح المؤلف تعزيز التعاون بين المؤسسات في الوطن الواحد في المجال اللُّغوي، وتوفير الدّعم الماديّ الكافيّ للتكامّل اللغويّ، وتطوير سبل التّخطيط اللغويّ في مستّجدات العصر، وحماية التّراث اللغويّ والثقافي الوطنيّ، وإبراز دوره في الهُويّة الوطنيّة، وفي إثراء شخصية الإنسان. (صالح بلعيد، 2023م).

يضم كتاب: « السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة» ما يزيد عن عشرة أقسام تُعالج قضايا متنوّعة ترتبط بالسياسة اللُّغويّة ولغة الأمّة، ويضعنا هذا الكتاب من خلال هذه الأقسام أمام مُقاربة جديدة ومُتعمِّقة لمسائل تكتسي أهمية بالغة ويتميز الكتاب ببنائه المُحكم ومعماره المُتقن؛ حيث تبدو فصوله منسجمة ومترابطة مع بعضها في نسق متقن، وقد استطاع الباحث الدكتور صالح بلعيد في مقدمة الكتاب الشائقة بأسلوبها، والمتميّزة بلغتها الجميلة، والشاملة بمعانيها؛ أن يأخذ القارئ إلى أهم مضامين الكتاب، حيث يذكر في مستهلها أن هذا

الكتاب يحمل أفكار« بناء مدرسة الحداثة/ مدرسة الجودة؛ مدرسة تطوير لغة الأمّة؛ لأن العُمدة في صناعة النّجاح يعود إلى المدرسة والرّهان عليها والاستثمار فيها؛ لنُشدان التّغيير الإيجابيّ فإذا ربحنا مدرسة الحداثة؛ ربحنا مقام لغة الأمّة، وربحنا مجتمعاً حديثاً يتكيّف مع المُتغيّرات، وينشد الأفضل...» (صالح بلعيد، 2023م). ويُعبِّر عن رؤيته لهذا الكتاب الجديد، والذي يُضاف إلى عدد غير قليل من مؤلفاته الرصينة، بالقول: «ويبدو لنا بأنّ هذا الكتاب إضافة إلى منتوجنا الفكريّ في ما مضى من الزّمان ويحمل مجموعة مُحاضرات أعمال علميّة، وترجمات قمشناها من القراءات اليوميّة باعتماد مصادر ومراجع أسفل الورقة، وبعضها وُضع بين شولتين، والبعض الآخر ينطبق عليه (المعاني مطروحة في الطريق...) فهي ملك مشاع، نظراً لكثرة دورانها... واللّغة عند أعراف الأمم من الشّأن العامّ. وهذه غايتنا في هذا العمل الأكاديميّ المنافح للّغة الأمّة(السّياسة اللّغويّة ومقامُ لغة الأمّة) لنقول: إنّ خير ما يُمكن أن نُقدّمه لهُويتنا اللُّغويّة العربيّة أن نكون في مستوى استيعابها وإتقانها والدّفاع عنها بالذّكاء الذي يجعلنا نستفيد من تجارب غيرنا ونجاحاتهم، ونعمل على احتذاء بعض مناويلهم في خدمة المُشترك اللّغويّ؛ بما يعمل على ضمان الانسجام الجمعي، والتّطوّر العلميّ في ظلّ لُغة مُوحّدة في المرجعيات والتّوجّهات المُستقبلية...كما لا نُخفي أننا استلهمنا مجموعة النّجاحات والأفكار من البلاد الأجنبيّة، ومن السّياسات اللّغويّة التي اعتمدتها الشعوب النّاهضة أو الشّعوب الحيّة التي تمّوت في لغتها، ورأيناها كيف قامت، ونهضت وأبدعت بلغاتها، وصارت لها المكانة العالميّة؛ بما لها من توظيف وتطوير لغاتها وكان الفعلُ نبيلاً، وذلك ما نريد أن يكون لنا عبرة لتطوير لغتنا بما لها من مُقوّمات النهوض. كما نريد أن يكون ذلك الفعل دافعاً اعتبارياً نستلهم منه الدّروس» (صالح بلعيد، 2023م). كما يتساءل الدكتور صالح بلعيد في المُقدّمة العامة للكتاب: هل السّياسة التربويّة الوطنيّة العربيّة لها تخطيط الرّفع من قدرة

استيعاب التلاميذ دون مراجعة طرائق التّدريس، ومُحتوى الكتاب المدرسيّ؟ كيف يُمكن مُواجهة (الهدر اللُّغويّ) ونحن نشهد انحسار المُستوى اللّغويّ؟ أما حان الوقت لإعداد استراتيجيات التغلّب على (فقر التّعلّم)؟

ويُقدم الدكتور صالح بلعيد العديد من المقترحات التي تتصل بهذا الموضوع ومن بينها:

–ضرورة توصيف الوضع اللّغويّ من سنوات الإصلاحات التّربويّة العربيّة إلى وقتنا الحالي؛ وهذا بُغيّة وصف الواقع المزري الذي يقع عليه تسليط دراسات ميدانيّة بمنهجيات اللّسانيات التّطبيقيّة؛

–التّنبيه إلى ضرورة التّخطيط للأزمات والنّوازل، وكلّ الظّروف الاستثنائيّة التي تُعيق عمليّة التّعليم العاديّ؛

–منح الأولويّة لتعليم المهارات الأساسيّة في المرحلة القاعديّة: السّماع+القراءة+الحوار+الكتابة. وما يتبع ذلك من ضرورة الإشباع اللّغويّ بالعربيّة الفصيحة؛ ويعضدها تدريس الحساب والمنطق والفلسفة وحفظ ما يكثر دورانه؛ وبخاصة الشّعر الفصيح؛

–تنبيه المُتعلِّم في عملية التّعليم لتفعيل المُتعلَّم في مُبادرات تُعالج (فقر التّعلّم) بأنشطة تربويّة تفاعليّة في داخل الصّفوف، أو خارجها؛ لجعل المُتعلّم يعيش الحمّام اللّغويّ الاصطناعيّ في المدرسة وفي خارج المدرسة. وهذا في عمليات التّعليم عن طريق السّياحات اللّغويّة/ أعمال التّطوّع/ المُناسبات الوطنيّة/ العالميّة بخصوص الاحتفاءات بأيام اللّغة العربيّة. وهو نوع من إشراك المُتعلم في عمليات التّحسين اللّغويّ. (صالح بلعيد، 2023م).

ويتساءل المؤلف: ماذا عسانا نفعل في أوطاننا؟ ويذهب في إجابته إلى أنه كان علينا استنهاض الهمّة لعلاج المخاطر، وهذا بتشكيل لجان ومؤسسات مُختصّة لمواجهة هذا القصور الذي يستدعي الاستثمار في مدى المقروئيّة وحصص القراءة في المنظومة التّربويّة، وتخصيص ساعات للقراءة الخارجيّة

والتّشجيع على مُبادرات قرائيّة على غرار: تحدّي القراءة العربي، ومُسابقات القراءات النّموذجيّة، وما يتبع ذلك من استعمال الوسائل الحديثة للسّماع للفصيح: قرآن+حديث+شعر+بودكاست+لغتنا الجميلة+حديقة الحروف+حديقة النّحو+قُل ولا تقُل، حقائب القراءة، صحّح لغتك...

ويقترح المؤلف كذلك أن يتمّ إعداد برامج ودراسات لمُواجهة أزمة التّعلّم لضمان التّعلّم التأسيسيّ، وتحويله من تلقين إلى إشراك المُتلقّي لمادة التّعليم، ويُقصد بالتّعلّم التّأسيسي غرس اللّبنات الأساس لجميع مهارات التّعلّم والمعرفة والمهارات العليا الأخرى التي يحتاج الأطفال إلى اكتسابها خلال مراحل التّعليم.

في القسم الأوّل من الكتاب، وتحت عنوان: «السّياسة اللّغويّة والتّخطيط اللّغويّ»، تطرق المؤلف إلى قضايا مهمة جداً ترتبط بهذا المجال؛ الذي عرّفه بأنه تلك القوانين والأنظمة والاستراتيجيات المُتعلّقة باللّغة وعلاقتها بالمُجتمع (تنظير)؛ في حين أن التّخطيط اللّغويّ(تطبيق)، ويذهب في هذا الصدد إلى أن السّياسة اللّغويّة تقتضي وجود جماعة/ جماعات لغويّة تهتمّ بوضع سياسة لغويّة ناجحة، أو إحياء لغة بغرض استعمالها، أو العمل على إيجاد آليات التّعايش بين اللّغات المُوظّفة في البلد الواحد، وهذا يقتضي وجود تخطيط لغويّ+ إرادة سياسيّة+ هيأة تنفيذيّة+وسائل ماديّة+مُدة زمنيّة مُحدّدة. وتخطيط السّياسة اللّغويّة تعني الخيار الجمعي للمُجتمع. ويعتقد الباحث الدكتور صالح بلعيد أن العبرة ليست في القوانين، وإنّما في تطبيقها، وليست العبرة في كثرة جمعيات حماية/ دفاع/ تنميّة اللّغة العربيّة، دون هامش من الحريّة للمُبادرات والإبداع لهذه الجمعيات، وليست العبرة في كثرة المؤسّسات ذات العلاقة بتطوير العربيّة؛ بل العبرة في تفعيلها وفتح الأبواب لنشاطاتها المُختلفة، وإعطاء مساحة من الحريّة للصّحافة في المُرافعات ذات العلاقة باللّغة العربيّة، ولابد من وضع منهجيات القوّة النّاعمة لتحبيب العربيّة والتّرغيب فيها، والعمل على تطويرها وفق خُطط إنمائيّة. ويصف المؤلف لغة الأمّة بأنها: «هُوية المرء

ومحور منظومته اللّغويّة والثّقافيّة، هي الجنسيّة العربيّة، وهي الوطن العربيّ في دوله العتيدة، هي الوطن الكبير، ومن لا لغة له لا وطن له...، لغة الأمّة هي الثّورة الداخليّة التي يحملها كلّ مُواطن غيور على وطنه؛ يعني غيور على لغته، وفي ذات اللّغة ثورة أخرى تحثّ على إصلاح المجتمع بإصلاح لغته وكلّ شيء يبدأ من اللّغة؛ لأنّ أيّة لغة لا تخلو من التّحيّز، ومنها تبدأ إمكانات الفعل الثّوريّ/ التّغييريّ، ومن ذلك يخرج فعل التّوجيه الذي تتّخذه الدّولة بتضافر مفردات ومسكوكات تمَّ صوغها لصالح الإعلام والتّعليم وما له سلطة القرار في الدّولة والحكومة والأمن» (صالح بلعيد، 2023م). يُركز الدكتور صالح بلعيد على العلاقة التي تجمع مابين السّياسة اللّغويّة ولغة الأمّة، حيث إنه يتساءل: السياسة اللّغويّة ولغة الأمّة أيّة علاقة؟ و يذهب في بحثه عن هذه العلاقة إلى أن مفاهيم السّياسة اللّغويّة قد تحدّدت في ذلك التّخطيط اللّغويّ الذي يُبنى على الإجراءات المنهجيّة والعمليّة للسّير الحسن للشّأن اللّسانيّ في أيّ بلد؛ وهذا من شأنه أن يعود بالنّفع العامّ في نسق الانسجام الوطنيّ دون هضم الحقوق اللّغويّة، وذلك حينما يستند إلى مُنطلقات ومرجعيات وغايات؛ تُقرّ بها الأعراف الاجتماعيّة والقانونيّة والاقتصاديّة والتّاريخيّة، وينجم عن ذلك سياسة لغويةٌ تلتزم بها الدولة، وتُعمِّم تطبيقها في شتى مجالات الحياة، ويكون للّغة موقع خاصٌ باعتبارها وسيلة التّفكير والتّعبير، والتّواصل والتّفاهم، وتراكم المعلومات وتوارثها، وهذه غايات وأهداف التّخطيط اللّغويّ؛ الذي يستهدف تحقيق التّنميّة البشريّة بما يجمعها على لغة مشتركة تحقيقاً لسهولة التّواصل، وتشكيل ثقافة وقيم مُشتركة تُسهم في الإحساس والانتماء الوطنيّ ووحدة الهُويّة ووحدة الوطن، وجميعها تنصهر وتذوب في القاسم الجمعيّ الذي تُحققه لغة الأمّة؛ باعتبارها الضمان لوحدة الوطن، ولذلك تحرص الأمم على تخطيط السّياسة اللّغويّة التي لا تُدمر البلد، وعندما تتباين الألسنة تختلف الرّؤى والتّوجّهات، وتحصل القلائل التي تُعطّل التّنميّة، كما يختفي الاستقرار

السّياسيّ، ولا يحصل التّقدّم المنشود؛ نظراً للأزمات اللاّحقة من ضعف تأسيس المُؤسّسات، والإضرار بها إن وُجدت. (صالح بلعيد، 2023م). ويُنبِّه المؤلف إلى أن بعض السّياسات اللّغويّة قد تعتمد على نظام التّعدّديّة اللّغويّة، أو الاستعانة بلغة المُستعمِر السّابق وتضع للّغات الأجنبيّة موقعاً، ويحصل في الحقيقة فراغ الهُويّة، بما للّغات الأجنبيّة من مقام في الجوانب العلميّة، وهنا يبدأ الخلل في المكانة الاجتماعيّة لألسن الهُويّة؛ ووفقاً لرؤية الدكتور بلعيد فهذا نوع من التّدمير الذاتي الذي يجعل الجيل القادم يخرج من الجغرافية وتاريخ بلاده وما ينتج من أوضاع النّخبويّة، والاضطرابات الاجتماعيّة، بسبب سلّم التّنميّة البشريّة التي لم تكن مُنسجمة؛ نظراً لغياب سيطرة لغة الأمّة، وهذا ما يقتضي ضرورة استعمال اللّغة المشتركة في تلك القطاعات الحيويّة، وجميع المجالات من أجل تحقيق تنميّة بشريّة عادلة، وهذا ما تُقرّه تقارير التّنميّة البشريّة التي تنص على حماية اللّغات الأمّ، وتعميم التّعليم الإلزامي باللّغة الأمّ من أجل عدم حصول الطّبقيّة؛ التي تجعل لغة الآخر تنال مكانة أفضل من لغة الأمّة ولاسيما ما نراه في دولنا العربيّة من تدنّي مقام لغة الأمّة(الفصيحة)المشتركة التي تقاسمتها المؤسّسات وأضاعت دمها في القرارات، ودون رجع الصدى. ويخلص الدكتور صالح بلعيد إلى القول: «وهكذا نرى العربيّة/لغة الأمّة في سؤال التّعدّد اللّغويّ في أوطاننا العربيّة أنّها تعيش ضرّات جعلتها تُعاني الفقر بسبب الإهمال، لما للّغات الأجنبيّة من حظوة؛ وهي ليست من لغات الحظوة رغم أنّها لغة الأمّة، وذلك ما جعلنا تابعين لا منتجين، مُستهلكين لا زارعين... حيث الشّخصنة غائبة في وتر الغيرة على لغة الأمّة، ونحن نفتقر إلى الانسجام المُجتمعيّ» (صالح بلعيد، 2023م). ويرى الباحث الدكتور صالح بلعيد أن أمن اللِّسان من أمن لغة الأمّة؛ ولذلك نُلفيه يُقدم مقاربة دقيقة عن دور التعليم والإعلام في تحقيق أمن اللُّغة العربيّة، وقد حدد المُصطلحات في البداية بدقة، وشرح بدقة دلالات الأمن اللّغويّ، والأمن اللّسانيّ، والتّمكين اللّغويّ

وتعميم استعمال اللّغة العربيّة؛ الذي يشرحه بأنه يعني «العمل على أن تنال اللّغة العربيّة مساحات في كلّ المجالات وأن تكون لها السّيادة في المُجتمع؛ باعتبارها لغة التّلاغي في كلّ المناحي. ومن هنا تُقيم بعضُ الدّول مُؤسّسات تهتمّ فقط بهذا الأمر، وهذا على غرار فعل الجزائر في تأسيسها المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ويستهدف هذا المجلس التّنسيق مع القطاعات غير المُعرّبة، لاستعمال اللّغة العربيّة وتعميمها بدل استعمال اللّغة الفرنسيّة، وكذلك فعل موريتانيا في تأسيسها (مجلس اللّسان العربي) ويُؤدّي تقريباً نفس مهام المجلس الأعلى للّغة العربيّة في الجزائر؛ وهما نوعان من أنواع حماية اللّغة العربيّة من اللّغات الأجنبيّة(الفرنسيّة) على وجه الخصوص». (صالح بلعيد 2023م). وقد تحدث الدكتور صالح بلعيد بعمق عن مُهدّدات الأمن اللّغويّ؛ حيث إنه يؤكد على أنه لكي يحصل الأمن اللّغويّ علينا إدراك مُهدّداته ودراستها من أجل الخروج بوسائل الوقاية، وهي لا تخرج عن ضعف أداء العربيّة؛ وهذا يرجع إلى جملة من العوامل من بينها أنها ليست لغة علميّة في الواقع الاستعماليّ، ولا تُمارس في العائلة، ولا في المُحيط، كما لا يحصل فيها تطوير في مناهجها التّدريسيّة إلاّ في الأمور السّطحيّة، ويُضاف إلى هذا الأمر عدم إيلاء الأهميّة للعربيّة وسط الزّحام الانكليزي/الفرنسيّ، والعمى الحضاريّ الذي جعل العرب ينبهرون باللّغات الأجنبيّة، وكذلك طغيان اللّغات الأجنبيّة؛ وهذا حاصلٌ في كلّ الدّول العربيّة، حيث نلفي أن لغة المستعمر هي الفضلى والتي تنال مقامها في دواليب الدّولة، رغم ما تنصّ عليه النّصوص والدّساتير والمواثيق ومختلف النّصوص التّشريعية من مقام اللّغة الرّسميّة ، كما يشير الدكتور بلعيد إلى التّهجين اللّغويّ، ويصفه بأنه:«واقع جديد يفرض استعمال لغات محلية؛ بالمزج بينها وبين اللّغات الأجنبيّة أو العربيّة الفصحى، ويُسميه البعض: العرنسيّ/ العربزيّ... وهذا ما هو حاصل الآن في وسائط التّواصل الاجتماعيّ من كتاباتsms بالحرف اللاّتينيّ والمضمون العربيّ الخليط ويُمكن

أن يحصل التّهجين عن طريق توظيف المحليّات والفصحى والأجنبيّات، وهو نوع من التّخليط اللّغويّ الذي يدخل في القهر اللّغويّ والمسألة الآن نعيشها في بعض القنوات العربيّة، وبخاصّة الفضائيات الجديدة. وهذه مسألة جدّ خطيرة سوف تُلحق الأضرار اللّغويّة في واقع لغتنا الفصيحة، ويؤدّي بالعربيّة إلى تهديم بناها الداخلية» (صالح بلعيد، 2023م). توقف الدكتور صالح بلعيد مع ضعف أداء لغة الإعلام، ويدعو بوضوح إلى ضرورة التّصدّي علمياً لهذه المخاطر من خلال؛ تفعيل العربيّة في التّربية والتّعليم، إذ أن العربية هي بحاجة إلى نظرة جديدة في المنهج؛ على اعتباره حصيلة تفاعل مستمر لمجموعة متشابكة من العوامل، وتحقيق وحدة اللّغة في المنهج وإكساب المُتعلّمين المهارات اللّغويّة إرسالاً في المُحادثة، واستقبالاً في الاستماع والقراءة، كما تحتاج العربيّة في أهدافها إلى إكساب المُتعلّم المهارات اللّغويّة وتنميّة قدرته على التّفكير العلميّ والتّحليل والنّقد والحوار، إضافة إلى المرونة في اختيار طرائق التّدريس في ضوء الأجواء العلميّة والتّربويّة ومُستويات المُتعلّمين، كما يقترح الباحث الدكتور صالح بلعيد أن يتم إعداد الطّفل بلغته وفي لغته، وإعداده سيكولوجياً وعقلياً وأخلاقياً، وإعداده لمُواجهة العولمة المتوحّشة، وإعداده لمواجهة التّقنيات، وكيفية الإفادة منها، وتحصينه من الاستلاب الثّقافيّ، ومن غزو الصور، وتوجيهه وجهة نفعيّة في استعمال الحاسوب، ويُنبِّه كذلك إلى ضرورة حفظ الحقوق اللّغويّة للطفل؛ حيث إن الهُويّة اللّغويّة تتشكّل في مراحلها الأولى لدى الطّفل، وتُبنى بالفعل والقوّة ويُشكل الأطفال في عصر العولمة المنطقة الأكثر حساسية وخطورة فيما يتصل بالتأثيرات الثقافية. لقد قدم الدكتور صالح بلعيد دراسة شائقة ومُوسعة عن تعزيز الهُويّة اللُّغويّة من شتى الجوانب، وقد انطلق من مسألة لغة الطّفل، حيث إن الأمن يحصل عن طريق حفظ الحقوق اللّغويّة، وهذا ما تنشده الأمم؛ نظراً لما يحصل بلغاتها من آداب على مُستوى عال من الرّفعة والرُّقي، وفئة الأطفال

هم العمود الفقري في ترسيخ اللُّغة بمُختلف أنماطها؛ فالذي يدرس اللّغة العربية يطّلع على معلومات أوسع تفوق دائرة اللّغة المجرّدة التي هي في مقدور الطّفل؛ أي أنّ الدّارس للّغة العربيّة إنّما في واقع الحال يتنزّه في بساتين الثّقافة والأخلاق والسّلوكيات والسّجايا الطّيبة دون المساس بصُلب لغة الطّفل، أو الممارسة العفويّة للّغة؛ أي بعيدًا عن لغة القاعدة التي نحن بحاجة إلى ترسيخها في منظومة فكر التّلميذ(الطّفل) باعتبار أن لغته تأتي من وسط طبيعيّ عفويّ مُباشر، ويخلص الباحث إلى أنه إذا ما وقع الاهتمام بلغة الطّفل؛ فإن هذا الأمر سيجنبنا دائرة الخوف من حُروب اللّغات وتضييق الرّؤى؛ وهذا هو الأمن اللّغويّ المنشود الذي يعني في ذات الوقت حماية هُوياتيّة فيشعر الفرد بالأمان عندما يسمع لغته يُتلاغى بها في كلّ موقع، بل عندما يسمعها من أفواه مسؤوليه، وهناك يُحسّ بالقيمة المُضافة التي تعطيها اللّغة الوطنيّة للفرد والانسجام الجمعيّ للساكنة، ومن الصعب أن يتحقّق الانسجام الجمعيّ إذا وقع التّسامح اللّغويّ، ومن الصعب أن يحصل بالمحلّيات أو بالأجنبيّات، وهذا ما بيّنته الدراسات، وأظهرته العديد من الأبحاث؛ فالدول المُنسجمة لسانياً دول مُتقدّمة، والدّول غير المنسجمة لسانياً دول مُتخلّفة، ووفقاً لنظرة الباحث الدكتور صالح بلعيد أن هناك إمكانية للاستدراك بالتّخطيط اللّغويّ وبتطبيقات اللّسانيّات في كلّ من: الإصلاح اللّغويّ/ التّقييس اللّغويّ/ تحديث المُفردات/ وضع المُصطلحات/ الغوص في عالم الحاسوب، ويذكر الباحث صالح بلعيد العديد من التجارب لدول انطلقت من الصّفر، وعلى مدى ثلاث عشريات أصبحت مُتقدمة، وهذا بتخطيط فقط، من خلال اعتماد الأهمّ قبل المُهمّ، من مثل: مسح احتياجات الوطن الاستعجاليّة، واستقدام الكفاءات الأجنبيّة للإفادة منهم، والاعتماد على اللّغة الوطنيّة، وتأسيس الجمعيات العلميّة، وإجراء التّجارب الدائمة وتحسينها المُتواصل، والاعتماد على الكفاءات الوطنية في التّطبيق، وقبول النّقد والتّفعيل داخله بغية التّطوير ، ويُنبّه الدكتور

بلعيد إلى قضية مهمة تتصل بمراعاة البيئة التي يجري فيها التّخطيط، فهذا أمر ضروري، ولا يُمكن تبنّي تجربة دولة ناجحة؛ لأن لكل بلد خصوصياته، كما أنّ مُراعاة الفكر العلميّ التّغيّيريّ الذي تطرحه النّخبة العلميّة والسّياسيّة هو أمر مهم جداً، ولا يُمكن أن تنجح تجربة عن طريق الاستيراد أو الاستنساخ، بل من خلال الإبداع الذي يكون باللُّغة الوطنية، إذ نرى دولاً حصلت فيها الطّفرة التكنولوجيّة كان ذلك بفعل الذات الوطنيّة واللّغة الوطنيّة، ولم تكن تلك الدول منغلقة على ذاتها؛ بل انفتحت على الخارج انفتاحاً انتقائياً، ولم يُنسها ذلك المُحافظة على تراثها، ولا على لغتها، بل إنها ازدادت تمسّكاً بمُقوّمات الأجداد وذلك ما منحها إلهام الإبداع(صالح بلعيد، 2023م)، ويتساءل المؤلف: هل يُمكن أن يحصل عندنا في العالم العربي؟، ويذهب في إجابته إلى القول: «من الصّعوبة بمكان أن يحصل هذا عندنا، حيث أبانت التّجارب على أنّ دُولاً عربية لم تعرف الاستعمار، وأنّ دُولاً عربيّة أخرى أضحى عُمر استقلالها يقرب للقرن، ولكن الأمور تتراجع باستمرار، ولم تُحافظ تلك الدّول حتى على مكتسبات القرن التاسع عشر، بينما عُمر الدّول النّاميّة غير العربيّة لا يتجاوز الخمسين سنة(50)حقّقت النّجاح، والدّول العربيّة لم تعرف النّهضة، فالخلل يكمُن في الجانب النّفسيّ؛ فنحن لا نريد التّغيّير؛ حيث البحث العلميّ لم يول حقّه، وما هو معمول به لم يُقدّم نتائج يمكن التّعويل عليها؛ فالاستنساخ عندنا أجدى من الإبداع، كما أنّ الفكر الخرافيّ لا يزال يعشعش في أمخاخنا، يرمي لغتنا بعدم العلميّة، إذاً لا مجال للعمل فيها وبها، ولا نعلم أنّه يأتي التّغيّير إلاّ بلغتنا، ولكن لا يجب أن نيأس، فإذا وفّرنا شروط النّجاح، يحصل التّغيّير، وهذا في أهمّ مجال وهو البحث العلميّ، وهو ما يُعطي للأمّة الأمان»(صالح بلعيد 2023م). تحت عنوان: «تفعيل العربيّة في التّربية والتّعليم»، يرى الدكتور صالح بلعيد أن العربيّة تحتاج إلى نظرة جديدة في المنهج؛ على اعتباره حصيلة تفاعل مُستمر لمجموعة متشابكة من العوامل، وتحقيق وحدة اللّغة في

المنهج وإكساب المُتعلمين المهارات اللّغويّة إرسالاً في المُحادثة، واستقبالاً في الاستماع والقراءة، كما أن العربية تحتاج في أهدافها إلى إكساب المُتعلّم المهارات اللّغويّة، وتنميّة القدرة على التّفكير العلميّ والتّحليل والنّقد والحوار، كما يدعو المؤلف إلى الاهتمام بلغة وسائل الإعلام؛ حيث إنّ العربيّة في واقعنا اليوم بحاجة إلى تفعيل وتحريك وفق استراتيجيّة مُعاصرة تأخذ وسائل التّواصل الاجتماعيّ، لتكون وسيلة إشهاريّة، وتُعبّر بلغة راقيّة فصيحة؛ وصولاً إلى وضع ركائز التّبليغ الرّشيدة في بناء لغويّ متنوّع؛ حسب ما تقتضيه كلّ وسيلة من تلك الوسائل، ويعتقد أن على المدرسة ووسائل الإعلام تركيز النظر في قضايا مهمة جداً، هي: الاعتزاز اللّغويّ؛ الذي يعني المُحافظة على اللّغة، والمُحافظة على الأرض، ومُحاربة الغُربة اللّغويّة، ويؤكد على أن اللّغة العربيّة لغة علميّة وخوض عالم الحوسبة، ومن أبرز النتائج التي دبّجها المؤلف، الإقرار بمجموعة من النقائص ومنها: نقص في المرجعيّة العلميّة، وضمور أدوات البحث في اللّغة العربيّة، وعدم إقامة معرفة لسانيّة مُتقدمة، وعجز المُعرّبين عن تدبير شؤون العربيّة، وعدم التّغلّب على إشكال علاقة التّراث بالحداثة، وعدم اعتماد المُعرّبين على مرجعيات ومناهج واضحة، كما يُقر المؤلف بمجموعة من المحاسن، ومن بينها: اللّسان العربيّ يجمعنا، وبروز اللّغة العربيّة كلغة شاملة: ولقد شكلت العروبة اللّغويّة تحوّلاً في تاريخ اللّغة العربيّة، والعربيّة لغة تواصل عالميّة لكتلة بشريّة هامّة، ويُوصي المؤلف بضرورة الاستثمار في التّنميّة البشريّة، وتحريك وسائل الإعلام في تخصيص حصص ثقافية وندوات؛ بخصوص ترقيّة اللّغة العربيّة، وضرورة استصدار القرار المُلزم بالتعريب الشّامل، وتحديد آجال الانتهاء منه، وتعريب المعارف الكونيّة، التّجريديّة والتّقنيّة على الخصوص، وتفعيل المؤسّسات والمجامع العربيّة، والسّرعة في علاج الظواهر المُخلَّة بسوء أداء العربيّة لوظائفها التّعبيريّة والعلميّة، والعمل بالمشاريع الكبرى، والخروج بقرار عربيّ بخصوص الأعمال العربيّة المشتركة

على غرار المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة والذّخيرة العربيّة. خصص الباحث الدكتور صالح بلعيد المجال الثاني من الكتاب للحديث عن: «سوق اللُّغات» وركز على العربيّة ومقامها في السّوق اللّغويّة، ومن أهم الأفكار التي نالت حظاً وافراً من المُعالجة والتحليل في هذا القسم: اللُّغة والاقتصاد؛ حيث ترتبط اللّغات والاقتصاد ويتمّ الاهتمام في هذا الصدد بالإنتاج والمردوديّة والرّبح والبزنسة والتّواصل والتّبادل من أجل خلق أسواق لغويّة عن طريق استعمال اللّغات الوطنيّة، أو اعتماد التّرجمات، ولذلك تُعتبر اللُّغة عُملة قابلة للتّبادل والسّيولة؛ واستعمالها يُقوّي رفع فوائدها وتعلّمها، ويُدرّ عُملة فكريّة وماديّة وثقافيّة، ويجلب لها الزّبائن الذين يطلبون ودّها لتعليمها أو التّرجمة منها وتكون اللّغة الأقوى بالتّرجمة منها، وتكون اللّغة الأضعف بالتّرجمة إليها، ويذكر المؤلف أن اللُّغة المشتركة فاعل اقتصاديّ في الإنتاج الصّناعيّ ، وقد ناقش الدكتور صالح بلعيد قضايا كثيرة ذات صلة باللّغة والسّيادة، واللّغة والسّياحة والحاجة والإعلان، والسّوق اللّغويّة ووظيفيّة اللّغة العربيّة، وقد خلص في ختام معالجته لهذه الإشكاليات العلميّة المُهمّة إلى أن التّسويق اللّغويّ بالعربيّة يعمل على تطوير آليات اللُّغة العربيّة، وإنه عندما يتعاضد القرار السّياسيّ بالعمل الجديّ، ولما يتعاقد مُنتج الأفكار مع صاحب القرار ستكون النّواتج مطمئنة لخدمة المُواطنة اللّغويّة، ووفقاً لهذه الرؤية يجب الحديثُ عن تحدّي تنامي الفرنسيّة أو تماهي استعمالها في السّياحة كلغة لها أولويّة في الجزائر، وهذا ما يخلق ارتباكاً في المواقف على اعتبار أنّها عنصر إثراء وغنى، وفي ذات الوقت يُعتبر ذلك عنصر استلاب وتبخيس وانكماش واختزال للهُويّة اللّغويّة العربيّة، ويبقى تفعيل المأسسة اللُّغويّة ضمان نيل العربيّة مقامها في سوق الطلب، ولا يُمكن أن تُعالج المسألة بالحياد اللّغويّ للدّولة؛ كي تبقى العلاقة وطيدة بين الدّسترة والمأسسة للرّفع من الحقوق اللّغويّة والثّقافيّة؛ باعتبارها عنصراً لا يتجزأ من عناصر حقوق الإنسان، وركيزة من ركائز المُواطنة.(صالح

بلعيد، 2023م). وتطرق الدكتور صالح بلعيد إلى مسألة وجود العربيّة في شمال أفريقيا قبل الفتح الإسلاميّ، وساق العديد من الحُجج التي تذهب إلى وجود استعمال العربيّة بشكلها البسيط لقضاء الأغراض التّواصليّة؛ ومن بين هذه الحجج ما أشارت إليه كتب التّاريخ أنّ الجزيرة العربيّة واليمن مقصد العلماء، وبخاصّة ما تأكّد في القرن الخامس الميلاديّ الذي عرف مدنيّة، وقد كانت العربيّة راقيّة في أساليبها ومعانيها وتراكيبها وأمثالها وحكمها، ويضاف إلى هذا الأمر عامل الهجرات، وكانت هجرة العرب إلى أفريقيا قديمة قدم اختلاط الشّعوب واحتكاكها، ولا غرابة في أن يكون عامل الهجرة حجة دامغة في إيصال العربيّة إلى أفريقيا، وكذلك الشأن بالنسبة إلى الهجرة إلى بلاد الحبشة، والتي لم تكن لتحصل إلاّ بمُمهدّات سابقة، وقد كان انتشار العربيّة بمُصاحبة الهجرات، كما عالج المؤلف في قسم خاص العديد من القضايا التي تتعلق بعولمة اللُّغة العربيّة، حيث يقول في مستهل هذا القسم: «سنتحدث في هذا المجال عن موضوعات تعود إلى موقع العربيّة في ما مضى من الزّمان حتى أصبحت لغة العولمة بمفهومها المُعاصر الذي يُطلق على الانكليزية وكان النّموذج فيها أنّها تعولمت في القارات، وأخذت مداها بمُصاحبة الدّين الإسلاميّ، وكان لها أثر كبير في قارة أفريقيا/العربيّة لغة قارة أفريقيّة، ثمّ انحسر دورها بعد القرن XVII ، وبقي خطّها معولماً في لغات أفريقيا، حتى XX ، وفي هذا المجال نستشرف عودتها من جديد في دراسات مُستقبلية بصُرنا بها »(صالح بلعيد، 2023م). ومن بين الأسئلة التي سعى الباحث الأكاديمي الدكتور صالح بلعيد إلى الإجابة عنها من خلال هذا الكتاب: ماذا ينتظر منّا الافارقة؟ فمن المُسلم به أن الإسلام كان اختيارهم الاستراتيجيّ، واصطحب معه لغة الإسلام؛ فأضحت شبه إلزاميّة لفهمه فهماً صحيحاً بدل التّرجمة التي لا تفي بالأغراض مهما اتسمت بالقوة، وكثير من البلاد الأفريقيّة تعوربت في سوقها وفي قضاء مصالحها، والعربيّة جزء من ثقافتهم اليوميّة، وهم يطلبون في

هذه الظّروف المُعولمة مزيداً من عقد النّدوات لتدريبهم في النّطق الصّحيح للعربيّة مع تصميم المناهج التّدريسيّة الحديثة التي تجعلهم يعيشون الغمر اللّغويّ العربيّ في التّواصل عامّة، وقد كان علينا تزويدهم بالكتب العربيّة من قبل المجامع والمُؤسسات والجامعات ليعيشوا الواقع اللّغويّ المُعاصر، ويؤكد الدكتور صالح بلعيد أنهم يحتاجون منّا؛ إدماجهم في عضويّة المجامع والمُؤسّسات العربيّة، ودعوتهم لحضور أمثال هذه الفعاليات، والإغداق على علمائهم وتكريمهم ليزيدوا في الإنتاج، وطبع الكتب والدّراسات اللّغويّة الجديدة الخاصة بتعليم العربيّة للأفارقة؛ بالاعتماد على اللّغات الأمّ، وتبني مشاريع عربيّة أفريقيّة في مجال إنجاز القواميس/ المعاجم/ الأدلّة/ لغة المُحادثة إضافة إلى تعزيز وتقوية ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم الأمّ، ومُساعدتهم على الاحتفاء بالمُناسبات اللّغويّة العربيّة والعالميّة من مثل: اليوم العربيّ للّغة الضاد، واليوم العالميّ للّغة العربيّة، والعيش معاً بسلام، والتّنوّع الثّقافي، وتكريم علماء أفريقيا بإسداء أوسمة استحقاقيّة نظير جهودهم في خدمة العربيّة خارج مواطنها(صالح بلعيد، 2023م)، ويقترح الأستاذ الدكتور صالح بلعيد أن تقوم المجامع اللّغويّة العربيّة بمُساعدة الأفارقة المُستعربين لمُواصلة جهودهم في نشر العربيّة في أفريقيا، يكون الابتداء من خلال تحديد خريطة طريق لهذا الأمر، وأن يُعضد بأفكار المجمعيين، وأعضاء المؤسّسات المُلحة باتّحاد المجامع؛ لتحقيق تواجد العربيّة التّربويّ في المقام الأوّل في أفريقيا، وهذا وفق جملة من المقترحات:

1-اقتراح برامج تعليميّة للمُعلّمين بمناهج حديثة تشمل التّدريبات التّربويّة اللاّزمة للمُعلّمين.

2-صياغة برامج تربويّة للمُتعلّمين تثير اهتمامات المُتعلّم، وتجعل منه عضواً فعّالاً يتجاوب مع البيئة من حوله، ومع الظواهر المُختلفة التي تدفعه لحبّ الاستطلاع والاستكشاف، ومُحاولة إيجاد الحلول للمُشكلات المُختلفة.

3-توفير المعاجم اللّغويّة المُناسبة لمُستويات الطّلاب، وتعريفهم بأهميّتها ووظائفها وخصائصها وطرائق استعمالها، ويجب أن تكون هذه المعاجم سهلة ومُبسّطة، ويُستحسن أن تكون من المعاجم التي تصف فيها المُفردات اللّغويّة بحسب ترتيب الحروف الهجائيّة في اللّغة، ليتمكّن التّلميذ من الرّجوع إليها والاستفادة منها والتّعرّف على جميع المُختصرات والرّموز والمُصطلحات المُستخدمة فيها.

4-العمل على توفير وسائل التّعليم الحديثة في المدارس؛ كالتّلفزيون التّعليميّ الذي كان في مُقدّمة الوسائل التي تشترك في تجسيد اللُّغة وتقريبها وإيصالها أو نقلها عن طريق الحواس المُتعدّدة بشرط أن تتوافر المادّة التّعليميّة النّافعة والتّخطيط السّليم في العرض والتّوجيه السّديد في الاستخدام؛ لئلا تتحوّل هذه الإثارات إلى وسيلة ترفيه بحتة، وأدوات لتمضية الوقت.

5-الاعتماد في تعليم العربيّة على المُمارسة والمُحاكاة والإكثار من التّدريب الذي يُساعد التّلاميذ على اكتساب المهارة اللّغويّة، واستعمال اللّغة استعمالاً صحيحاً بغير تكلّف. (صالح بلعيد، 2023م).

كما يدعو الباحث الدكتور صالح بلعيد إلى تقديم العربيَّة إلى أفريقيا في صورتها الكليَّة المُستوعبة للوعاء الحضاريّ، والاستثمار الحقيقيّ في وسائل التَّواصل الرَّقميّ المُعاصر، وإلى تأسيس مُنظّمة عربية تهتمّ بمظاهر الاستعراب، وتعتني بقضايا العربيّة في كلّ العالم؛ وبخاصّة أفريقيا، ويكون لها فروع في القارة الأفريقيّة؛ لإعادة ربط التّواصل العربيّ الأفريقيّ والاهتمام بالتّنميّة البشريّة، ويؤكد كذلك على ضرورة دعم المشاريع الأفريقيّة التي تعود بالنّفع على اللّغة العربيّة؛ كإنشاء المجلات والمنشورات والصّحف والفضائيات الموضوعاتيّة التي تعمل على نشر العربيّة وثقافتها، والعمل على حُسن توظيف الفُرص التي يُتيحها عصر العولمة من تكثيف في التَّواصل والأخذ والعطاء بين

الثَّقافات، والسّرعة في نشر المعلومات، وشيوع الوسائل التّكنولوجيّة، ودعم اللّغات الإفريقيّة الكبرى القريبة من العربيَّة، كالسّواحليَّة، والهوسا، والصُّوماليَّة.

وبالنسبة إلى طرائق الاستثمار في اللُّغة العربيّة تساءل الدكتور صالح بلعيد: كيف نستثمر في اللّغة العربيّة؟ وأشار إلى عدة قنوات يُمكن الاستثمار فيها ومن بينها قناة الاستثمار في السياحة، ويرى أنه يجب وضع استراتيجيّة سياحيّة لغوية ترمي إلى النّهوض باللُّغة العربيّة، وتمكينها في القطاع السّياحي، ويقترح أن يتمّ وضع سياسة لغويّة سياحيّة واضحة على الصّعيد العربي، وإصدار القرار السّياسي اللازم لتطبيق هذه السّياسة وفق تصوّرات نظريّة وتطبيقيّة، وأن بتم توفير منظومة قانونية تُلزم استعمال اللّغة العربيّة في المجالات السّياحيّة ومُطالبة الشّركات الفندقيّة العالميّة العاملة في البلاد العربيّة بوجوب التّعامل بالعربيّة أولاً، ثمّ باللّغات الأجنبيّة، وإعداد معجم عربي جامع لكلّ المُصطلحات السّياحيّة على غرار معاجم اللّغات الأجنبية الأخرى؛ بحيث يشمل تعريب الألفاظ، والأسماء؛ والمعاني، والمفاهيم والأمثلة، والنّماذج، والرّؤى، والحوارات حتى يمكن استثماره بفعاليّة في التّنميّة اللّغويّة، ويستوعب كلّ الموضوعات المُتداولة في الفنادق والمطاعم ووكالات السّفر والإرشاد السّياحي، وفي المطارات والقطارات والأسواق، مع ضرورة استحداث مُصطلحات سياحيّة عربيّة في كلّ ما يتعلّق بالخدمات السّياحيّة(شراب، إيواء، نقل، مشتريات...) وترجمة المراجع الأجنبيّة المُتخصّصة بالفكر السّياحي إلى اللّغة العربيّة، وذلك لما للتّرجمّة من إغناء وإثراء للغتنا ومعارفنا وثقافتنا، وتسهيل الاطلاع على ما أنتجه الفكر البشري دون الحاجة إلى إتقان اللّغات الأجنبيّة التي كتبت بها وفتح آفاق البحث اللّغوي الخاصّ بالسّياحة، ولاسيما في الجوانب التّطبيقيّة والوظيفيّة. (صالح بلعيد، 2023م).

ينفتح كتاب:« السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة» على مجموعة من القضايا التي فرضتها الاحتفاءات العالمية باللُّغات؛ حيث جعل الباحث الدكتور

صالح بلعيد المجال الثالث للحديث عن الأعياد العالميّة للّغات وماله علاقة وتحدث بعمق عن الاستثمار في الذكاء الاصطناعي، واللّغة العربية وتكنولوجيا التّحوّل الرّقميّ؛ ويعتقد أن السّبيل الأقرب إلى ردم الفجوة الرّقميّة يكون من خلال الخروج من التّبعيّة اللغويّة، ويكون من خلال استعمالها وتمكينها في العلوم، ولابد من تدريس العلوم بها وفيها؛ لمُواجهة هذا الاتّساع، ومُسايرة ركب الحضارة والمُستجدات العلميّة والفكريّة بالعربيّة، والعرب يحتاجون أكثر من أيّ وقت إلى التّماهي في الرّقمنة، بملامح التّنميّة البشريّة المُستديمة مُمثلة في الجوانب الاقتصاديّة والتّكنولوجيّة والابتكار، وعماد هذا كلّه تمكين المُجتمع العربيّ من اكتساب المعارف العلميّة واستثمارها بالعربيّة، ويقترح المؤلف أن يتمّ إنشاء المُؤسّسة العربيّة للمُحتوى الرّقميّ، وتكون هذه المُؤسّسة قيمة مُضافة تدعيميّة لمُؤسّسات جامعة الدّول العربيّة، ومُهمّتها اقتراح برامج عمل للتّغيير التّكنولوجيّ وتجسيد مشاريع كبرى في الرّقمنة، وإنشاء المُدوّنة اللّغويّة العربيّة وتجدر الإشارة إلى أن من أبرز التعريفات التي نجدها عن المحتوى الرقمي العربي؛ هو كل محتوى مطروح بشكل رقمي على الانترنت أو على أقراص مدمجة، أو أقراص الفيديو، أو غيرها باللغة العربية، ويتضمن مواقع الانترنت والخدمات الإلكترونية، والبوابات، والمحتوى السمعي والمرئي باللغة العربية والبرمجيات المعربة، وقواعد البيانات، ومحركات البحث، وغيرها، ناقش الدكتور صالح بلعيد في قسم خاص قضايا ترتبط بالتّعريب بين واجب العُلماء واهتمام الدّول، وقد أشاد المؤلف بالتجربة السورية في الوطن العربي؛ التي يدعو إلى الإفادة منها، حيث نجده يقول: « ويكفينا كلّ الفخر أنّ تجربة التّعريب في سورية جبّارة، فكانت في البدء تجربة، وأصبحت مشروعاً كبيراً لقيادة الوطن العربيّ بما أولته للعربيّة من مكانة، فأنعِم بها من مشروع فذ، على أنّ هذا لا يتعارض ووجوب التّضلّع من اللّغات الأجنبيّة تدعيماً للتعمّق العلميّ والفكريّ على الصّعيد العالميّ، وكلّ هذا يستدعي منّا وضع تصوّر مبنيّ على دواع

لغويّة وتربويّة واقتصاديّة واجتماعيّة فضلاً عن المُبّرر الدّينيّ» (صالح بلعيد، 2023م). وقد أشار الدكتور صالح بلعيد إلى الاستفتاء الذي أنجزه مكتب تنسيق التعريب في سنة:1966م، وقد أظهر الاستفتاء اتّفاقاً على ضرورة وأهميّة التّعريب، مع رفع الأسباب المُعوّقة لإنجاز مشروع التّعريب، وهي: غياب القرار السّياسي المُلزم على المُستوى الجماعي للدّول العربيّة، وضعف التّنسيق بين المُؤسّسات التي تتحمّل مسؤوليات التّعريب ومُؤسّسات التّعليم العالي والإعلام والثّقافة، وهناك نوع من عدم الثّقة لدى بعض القيادات والمُثقفين وبعض أساتذة الجامعات، في قدرات وإمكانية اللّغة العربيّة لاستيعاب العلوم الحديثة، وتأخّر المجامع في إعداد وإخراج المعاجم اللّغويّة والتّاريخيّة والعلمية التّخصّصيّة المُعاصرة والمُتّسقة مع حركة وسرعة المُستجدات العلميّة والثقافية وتقنيات المعلومات، وتأخّر وضع المُصطلحات وإقرارها، وما يصحبها من اختلاف وخلافات، وطول الإجراءات التي تمُرّ بها عمليات وضع المُصطلح وإقراره من قبل الجهات المعنيّة، وعدم وضع خُطط مُتكاملة ومنهجية للتّعريب، وتحديد أجهزة أو مُؤسّسة في كلّ دولة عربيّة تكون مسؤولة عن التّعريب، ومُرتبطة بمكتب تنسيق التّعريب، وقد تساءل الدكتور صالح بلعيد: ما هي العلاقة بين التّعريب والتّنميّة؟ وقد حصر إسهامات التّعريب في التّنميّة المُستديمة في أن التّعريب يُؤدّي إلى وحدة فكريّة، وذلك يُسهم في وحدة ثقافيّة للأمَّة العربيّة ومنحها شخصيّة مُتميّزة وكياناً غير قابل للذّوبان، والتّعريب يربط ربطاً ثقافياً وعملياً ماضي الأمّة وحاضرها ومُستقبلها، ويُيسّر لها الاستفادة من تراثها الحضاريّ الهائل، ويمنحها نديّة للحضارات البشريّة الأخرى، ويُكسبها الاحترام العالميّ، والتّعريب يؤدّي إلى استيعاب العلم، ويُساعد على محو الأميّة العلميّة، وهذا شرط للثّورة العلميّة الصّناعية التّكنولوجيّة، بما يُوفّره من كوادر بشرية مُؤهّلة، والتّعريب يؤدّي إلى مُجتمع مُتعلّم مثقّف، يُقدّر دور العلم، ويكون القاعدة الأساسيّة لمُجتمع صناعيّ مُتقدّم قادر على المُنافسة العالميّة، كما يرفع

التّعريب من مُستويات التّعليم الجامعيّ والبحث العلميّ، ويُسهم في رفد اللّغة العربيّة، ولغات الشعوب الإسلاميّة بالمُصطلحات العلميّة والتّقنية، ويُعيد للّغة العربيّة مجدها وانفتاحها على اللّغات الأخرى، ويُقوّي الرّوابط العلميّة والثّقافيّة بين الشّعوب الإسلاميّة، والتّعريب يُسهم في توفير أموال طائلة تُنفق على استيراد الكتب الأجنبيّة الغاليّة الثّمن، ويُؤدّي إلى تكنولوجيا عربيّة مُتقدّمة في الطّباعة، وإخراج الكتب والنّشر وتوسيع آفاق الثّقافة والمعرفة.

خاتمة: إن كتاب: «السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة» للباحث وعالم اللّسانيات الأستاذ الدكتور صالح بلعيد، يُعدُّ دراسة جادة وثمينة، تُعبِّر عن اجتهاد بحثي نوعي في ميدان السّياسةُ اللُّغويّةُ والتّخطيط اللُّغويّ في الوطن العربي؛ حيث إن الكتاب يبني تصورات شاملة عن اللُّغة العربية والتخطيط اللُّغوي تتسم بالتميُّز والجدية والعمق، ويُقدم المؤلف معالجات معرفيّة تستحق الدراسة والبحث والتأمل في مجال التّخطيط اللُّغويّ في الوطن العربي؛ الذي يقتضي سنّ سياسة لغويّة وفق المنهجيات والمرجعيات الوطنيّة والحضاريّة والتّاريخيّة لكل دولة، ويفرض إقرار سياسة لغويّة واضحة المعالم والأهداف ومن ورائها سياسة تربويّة يقع فيها الرّبط بين الأمل والطموح.

وهناك قضايا كثيرة جداً ومُهمة توقف معها الباحث الأستاذ الدكتور صالح بلعيد بالمُدارسة والتحليل في هذا الكتاب المُتسم بالكثافة المعرفية العميقة؛ والذي هو مثال على كتاباته المتأخرة التي يُحاول فيها نشر رؤيته الخاصة التي تتصل بالسياسة اللُّغويّة، ومن بين القضايا التي عالجها بدراية ووعي وعُمق: سوق اللُّغات، وكيف نستثمر في اللُّغة العربية؟، ونماذج من التجارب اللّغويّة الناجحة، والتّعريب بين واجب العُلماء واهتمام الدّول، والعربيّة بين التّجاذبات والمضايقات، ولغة الأمّة: استثمار في الذكاء الاصطناعي، واللّغة العربيّة والتّواصل الحضاري، وعبقريّة اللّغة العربيّة، وواقع النّشر العلمي باللّغة العربيّة في المجلات الدّوليّة الرّصينة، والتّعريب بين واجب العُلماء واهتمام الدول

وتاريخ العلوم باللُّغة العربيّة، واللّغة العربيّة قيمة حضارية، ولا شك في أن هذا الكتاب من خلال مجالاته الواسعة ومضامينه الشائقة؛ يفتح آفاقاً واسعة جداً لدارسي السياسة اللُّغويّة في الوطن العربي، ولا ريب في أن هذا السفر الذي تقارب صفحاته الخمسمائة صفحة سيصبح بلا شك مرجعاً مُهماً للباحثين في هذا الميدان.

قائمة المراجع:

1-صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، منشورات دار هومة للطباعة والنشر، (الجزائر،2000م)، ص: 91.

2-صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللُّغة العربية، منشورات دار هومة للطباعة والنشر، (الجزائر،1999م)، ص: 277.

3-صالح بلعيد: السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة، منشورات مطبعة زاد تي تي للنشر والتوزيع، (الجزائر، 2023م)، ص: 13، 27، 25، 26، 32، 33، 35، 96، 102، 103، 135، 295.

4-عبد العلي الودغيري: لُغة الأُمّة ولُغة الأُمّ عن واقع اللّغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثقافيّة، منشورات دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان،2014 م)، ص:4.

حوسبة اللّغة العربيّة وتطبيقاتها في ظلّ معطيات الذّكاء الاصطناعي الواقع والمأمول

Computational Arabic language processing and its applications in the context of artificial intelligence: Reality and aspirations

أ.د. وهيبة جراح♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-001-004

تاريخ الاستلام: 09-06-2024 تاريخ القبـول: 31-07-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: حوسبة اللّغة العربيّة وتطبيقاتها ضمن إطار الذّكاء الاصطناعي تمثّل كلاً من الواقع الحالي والطموحات المستقبليّة، في الواقع، شهدت حوسبة اللغة العربية تطورات كبيرة، مستفيدة من التقدم الذي تحقّق في مجال الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعيّة. ظهرت تطبيقات مثل تحليل المشاعر وترجمة النصوص وتلخيص النصوص والمساعدين الشخصي الذكية، مما يوفر أدوات قيّمة للمتحدثين باللغة العربيّة في مجالات متنوّعة.

ومع ذلك هناك تحديات تتطلّب التّعامل معها. تنوع اللهجات ونقص الموارد وتعقيدات قواعد اللغة العربية يشكلون عقبات أمام المزيد من التطور. بالإضافة إلى ذلك، تأمين الاعتبارات الأخلاقية، بما في ذلك الخصوصية والعدالة، في أنظمة معالجة اللغة العربية التي تعتمد على الذّكاء الاصطناعي يظلّ قلقا حرجا.

♥ المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر.

البريد الإلكتروني:w.djerrah@centre-univ-mila.dz ، (المؤلّف المرسل).

تتيح الفرص المستقبلية لحوسبة اللغة العربية فرصا واعدة. من خلال الاستثمار المستمر في البحث والتطوير، والتعاون بين أصحاب المصلحة والتركيز على ممارسات الذكاء الاصطناعي الاخلاقية، يمكن تحقيق تطبيقات وإمكانيات محسنة. من تحسين فهم اللغة إلى حلول مبتكرة في مجالات مثل التعليم والرعاية الصحية والاتصالات، فإن الأثر المحتمل لحوسبة اللغة العربية التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي كبير.

كلمات مفتاحيّة: حوسبة اللغة العربية؛ الذكاء الاصطناعي؛ تطبيقات؛ واقع؛ مأمول؛ تحديات؛ تقدم؛ تطور؛ تكنولوجيا؛ معلومات.

Abstract: Computational Arabic language processing and its applications within the framework of artificial intelligence represent both the current state and future aspirations.

In reality, computational Arabic language processing has witnessed significant advancements, leveraging the progress made in artificial intelligence and natural language processing. Applications such as sentiment analysis, machine translation, text summarization, and intelligent personal assistants have emerged, providing valuable tools for Arabic speakers across various domains.

However, there are challenges that need to be addressed. Dialectal variations, limited resources, and the complexity of Arabic grammar present obstacles to further development. Moreover, ensuring ethical considerations, including privacy and fairness, in AI-driven language processing systems remains a critical concern.

Looking forward, there are promising opportunities for computational Arabic language processing. Through continued investment in research and development, collaboration among stakeholders, and a focus on ethical AI practices, enhanced

applications and capabilities can be achieved. From improved language comprehension to innovative solutions in fields such as education, healthcare, and communication, the potential impact of AI-driven Arabic language processing is vast.

In conclusion, while computational Arabic language processing has made significant strides in the era of artificial intelligence, there is still much progress to be made. By addressing current challenges and working towards future goals, we can fully harness the potential of AI to empower Arabic language users and facilitate inclusive technological advancements.

Keywords: Computational Arabic language processing; artificial intelligence;applications; reality; aspirations; challenges; progress; development; technology; information.

1. **مقدّمة:** شهد العالم تحولا من الفكر الإقطاعي إلى الفكر الصناعي منه إلى الثورة العلمية؛ وقد مثّل هذا التحوّل تغيرًا كبيرًا في الطريقة التي نفكر بها ونتعامل بمقتضاها مع التحديات والفرص في العصر الحديث. هذا التحول يشير إلى انتقالنا من نهج متسلسل ومنفصل في التفكير والعمل إلى نهج متكامل ومتعدد الاتصالات، يعتمد بشكل كبير على التكنولوجيا والبيانات، وقد تميّز الفكر الإقطاعيّ بكونه تفكيرا متسلسلا كانت العمليات والتفكير تتم بشكل منفصل ومتسلسل. كانت الأنشطة والقرارات تتبع نمطًا خطيًا.، كما شهد العالم الإقطاعي انفصالا بين القطاعات:حيث كانت الأقسام والقطاعات في المجتمع والاقتصاد تعمل بشكل منفصل، دون تبادل كبير للمعلومات أو التكامل بينها؛ يُضاف إلى هذا؛ التقسيم التقليدي للمهام حيث كانت المهام والوظائف تقسم بشكل واضح ومحدد، وكل شخص أو جهة مسؤولة عن قطعة محددة من العمل، وبعدها جاء الفكر الصناعي الذي تميّز بالتكامل والتفاعل حيث يتضمن الفكر الصناعي استخدام التكنولوجيا لربط وتكامل الأنشطة والمعرفة بشكل

متناغم وتفاعلي والتحليل الشامل والمتعدد الأبعاد:حيث يتيح الفكر الصناعي التحليل المتعدد الأبعاد والشمولي للبيانات والمعلومات، مما يسمح بفهم أعمق وأوسع للتحديات والفرص.

بالإضافة إلى التعاون والتفاعل بين القطاعات فهو يشجّع الفكر الصناعي على التعاون والتفاعل بين القطاعات المختلفة لتحقيق الأهداف المشتركة وحل المشكلات بشكل أكثر فعالية، والمرونة والتكيف الذي يتيح للفكر الصناعي للمنظمات والأفراد التكيف مع التحولات والتغيرات بشكل أسرع وأكثر مرونة.

هذا التحوّل إلى الفكر الصناعي يعكس تغيرًا في الثقافة والتكنولوجيا والاقتصاد، حيث يتم التركيز على التكامل والتفاعل والابتكار لمواجهة التحديات واستغلال الفرص في العصر الرقمي المعاصر.

وقد ارتبط الفكر الصناعي بالثورة العلمية بشكل وثيق من خلال عدة جوانب منها:

تقدم التكنولوجيا: الثورة العلمية أسهمت في تطور التكنولوجيا بشكل كبير وهذا يشمل التطورات في مجالات مثل الحوسبة، وتحليل البيانات، والذكاء الاصطناعي، وتعلم الآلة. تلك التطورات التكنولوجية هي التي سمحت لتطبيق الفكر الصناعي بأن يصبح أكثر قوة وفعالية.

البحث والتطوير: الثورة العلمية أدت إلى زيادة الاهتمام بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي. كان لهذا الاهتمام المتزايد تأثير كبير على تطوير التقنيات المرتبطة بالذكاء الاصطناعي وحوسبة اللغة والتعلم الآلي وغيرها وهي التقنيات الأساسية في الفكر الصناعي.

استخدام البيانات الكبيرة: الثورة العلمية أدت إلى زيادة هائلة في كمية البيانات المتاحة في مختلف المجالات. استخدام وتحليل هذه البيانات يعتبر جزءاً أساسياً من الفكر الصناعي، حيث يعتمد على تطبيقات تحليل البيانات وتعلم الآلة لاستخراج الأنماط والتوقعات واتخاذ القرارات الذكية.

تغيير في العقلية البحثية: الثورة العلمية غيرت الطريقة التي ننظر بها إلى العالم وإلى الطريقة التي نتعامل مع التحديات. بدلاً من الاعتماد على النهج الاقطاعي والتفكير التقليدي، أصبح الفكر الصناعي يشجع على الابتكار والتكامل والتفاعل، وهذا يتمشى مع روح البحث العلمي والتطور التكنولوجي.

2. الثورة العلمية: ميادينها وتأثيراتها في الحياة العلمية والعملية: لقد بدأت الثورة العلمية والصناعيّة الأولى في القرن السابع عشر في بريطانيا، ممّا آل بها إلى أن تتصدّر العالم اقتصاديا وسياسيا لأكثر من قرن مسهمة في تجويد نوعية العيش على الأرض، وممهّدة لتقنية حديثة تُستثمر في هذه الحياة، والأهمّ أنها أسهمت في ظهور نظريات ومناهج وأفكار تُسيّر حياة البشر وسلوكاتهم في كافة أرجاء المعمورة، وقد ميّز "تشارلز بيرسي سنو" بين الثورة الصناعيّة والثورة العلميّة[1]، حيث إنّ الثورة العلميّة جاءت كنتيجة لتطبيق العلوم الفعلية في ميدان الصناعة، حيث غدت الصناعة أمرا مؤسسا على معرفة حقيقيّة، وقد بدأت بوادر الثورة العلميّة في الظهور ببدء استخدام الجسيمات الذريّة في الأغراض الصناعيّة، ليصبح مجتمع الأتمتة automatisation والإلكترونيات والطاقة الذريّة هو الوجه الفعلي للثورة العلميّة، أمّا ما قبل هذا فقد كانت الثورة الصناعيّة التي تمّ فيها الاستخدام التدريجي الذي يكفل إحلال المكائن في المصانع وتوظيف الموارد البشريّة في تلك المصانع، بشكل تحوّل فيه سكان البلد من مستخدَمين يعملون في العمالة الزراعية إلى عمال يعملون على صنع الأشياء في المصانع بمساعدة المكائن ثمّ يعكفون على توزيعها بعد صنعها.

الثورة العلمية هي عبارة عن تغيير جذري وتطور هائل في مجال العلوم والتكنولوجيا يؤدي إلى تحولات كبيرة في ميادين عديدة وتأثيرات واسعة النطاق على الحياة العلمية والعملية. من بين الميادين الرئيسية التي تشهد تأثيرات الثورة العلمية:

التكنولوجيا: شهدت الثورة العلمية تقدمًا هائلًا في مجال التكنولوجيا، بما في ذلك تطوير الحواسيب، والإنترنت، والهواتف الذكية، والروبوتات، والطباعة ثلاثية الأبعاد، والطاقة المتجددة، مما أدى إلى تحسين الحياة اليومية وتوفير حلول جديدة للتحديات البيئية والاقتصادية والاجتماعية.

الطب والصحة: تسهم الثورة العلمية في تقدم مجال الطب والصحة من خلال تطوير أساليب العلاج والتشخيص، بما في ذلك الطب الجيني، والطب التجديدي، والطب الثانوي، وتكنولوجيا المعلومات الطبية، مما يسهم في تحسين الرعاية الصحية وزيادة الأمل في علاج الأمراض المزمنة والمميتة.

البيئة والطاقة: تعمل الثورة العلمية على تطوير تقنيات جديدة للحفاظ على البيئة وتوليد الطاقة المستدامة، مثل الطاقة الشمسية والرياح والطاقة النووية النظيفة، مما يسهم في الحد من التلوث وتغير المناخ.

التعليم والتعلم: تتيح الثورة العلمية وسائل جديدة للتعليم والتعلم مثل الدورات عبر الإنترنت والتعلم الذكي والواقع الافتراضي، مما يسهم في زيادة إمكانية الوصول إلى التعليم وتحسين جودته.

الاقتصاد والصناعة: تؤثر الثورة العلمية في تطور الاقتصاد والصناعة من خلال تحسين الإنتاجية وتقليل التكاليف وتوفير فرص العمل في مجالات جديدة مثل التكنولوجيا النانوية والذكاء الاصطناعي.

بهذا "صار العلم وعناصره المؤثّرة في تشكيل الحياة البشريّة وغير البشريّة هو العنصر الحاسم في الثقافة الإنسانيّة، بعد أن غادر العلم مملكة الأفكار والرؤى الفرديّة والإيديولوجيات، وصار قوّة مرئيّة على الأرض بفعل مصنّعاته التي لامست أدقّ تفاصيل الحياة البشريّة"[2].

3. الذكاء الاصطناعي وأهمّ مجالاته: الذكاء الاصطناعي علم مركّب أو هو جملة علوم تمّ مزجها في بعضها البعض؛ علوم الطبيعة، علوم طبيّة، علم النفس، علم المنطق، إلى جانب علوم الهندسة الإلكترونية وعلوم وظائف

الأعضاء والرياضيات العليا، ... وبهذا المنطق يأخذ الذكاء الاصطناعي اهتماما بحثيا واسعا ذا طابع عالميّ، على أن يكون لديه الحلول الناجحة لمشكلات هذا العصر في مختلف الميادين، وهناك جملة من المجالات المغذية للذكاء الاصطناعي، منها[3]:

علم الإدراك.....وبالتحديد الخواص والذكاء.

علم النفس .....والبيولوجيا.

دراسة أنظمة التفكير .....علم النفس.

تشريح المخ..... نظريات التعليم.....الرياضيات.

الرياضيات العليا.....الحاسبات.

الإلكترونيات المتقدّمة.....الهندسة.

الحاسبات الإلكترونيّة.....المحاكاة.

ويقصد بالذكاء الاصطناعي محاكاة الحواسيب والآلات الرقميّة في حكمهنّ للإنسان في التفكير والتدبير والمعالجة، وهو فرع من فروع علم الحاسوب، وقد وُلد المصطلح في حوالي 1950 حيث وضع آلان تورينغ اختباره لقياس ذكاء الحاسوب من حيث محاكاته للعقل البشريّ، وفي سنة 1951 أنشأ كريستوفر ستراشي رئيس أبحاث البرمجة في جامعة أكسفورد أوّل برنامج للذكاء الاصطناعي بتشغيل لعبة الداما بوصلها بالحاسوب وتطويرها، ثمّ صمّم أنتوني أوتينجر تجربة محاكاة للتسوّق في أكثر من متجر؛ لقياس قدرة الحاسوب على التعلّم، وهي أوّل تجربة ناجحة لتعلّم الآلة.

وفي عام 1956 تمّ الإعلان عن مفهوم الذكاء الاصطناعي رسميا بكليّة دارتموث بلا تطوير عشرين عاما بعدها، لضعف القدرة الصنعيّة للحاسوب وقتها، وفي 1979 تمّ بناء مركبة ستانفورد المسيّرة بالحاسوب.

1997 اختراع أوّل حاسوب يتغلّب على الإنسان في لعبة الشطرنج، وبعدها انفجرت الاختراعات في القرن العشرين لتتطوّر بشكل رهيب ومخيف، والدليل

ما حقّقته ومازالت تحقّقه الدول الصناعيّة في مجال صناعة الروبوتات التفاعلية.

وقد كان الذكاء الاصطناعي نتيجةً للذكاء البشري اصطنعه الإنسان ليحاكي به ذكاءه مستخدما التقنيات التي وفرها الحاسوب[4]، هذا وتتنوع مجالات الذكاء الاصطناعي بشكل واسع، وتشمل عدة تخصصات، من بينها:

-التعلم الآلي وتعلم الآلة: وهو فرع يركز على تطوير النماذج والخوارزميات التي تسمح للأنظمة بتعلم النمط والتكيف مع البيانات؛

-معالجة اللغة الطبيعية: تهتم بفهم وتوليد اللغة البشرية بطريقة تفاعلية، مثل ترجمة اللغة، وتوليد النصوص، وتحليل المحادثات؛

-رؤية الحاسوب: يعنى بفهم ومعالجة الصور والفيديوهات بطريقة تشابه الإنسان، مثل التعرف على الأشياء والأشخاص وتحليل الصور الطبية؛

-الروبوتات والذكاء الروبوتي: يركز على تطوير الروبوتات والأنظمة التي تستخدم الذكاء الاصطناعي لتحقيق الذكاء والتفاعل الذاتي؛

الذكاء الاصطناعي التطبيقي: يشمل تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجالات متنوعة مثل الطب، والتجارة، والتسويق، والأمن، والنقل، والتعليم والخدمات المالية.

هذه مجرد بعض المجالات الرئيسية، وهناك العديد من التخصصات الفرعية والتطبيقات التي تستخدم الذكاء الاصطناعي في حل مشكلات محددة في مختلف الصناعات والمجالات.

4. مفهوم حوسبة اللغة: مفهوم حوسبة اللغة يشير إلى استخدام التكنولوجيا والحوسبة في فهم ومعالجة اللغة الطبيعية بشكل آلي. تهدف حوسبة اللغة إلى تطوير أنظمة وتطبيقات قادرة على التفاعل بشكل ذكي مع اللغة البشرية، سواء كان ذلك في فهم النصوص، توليد النصوص، الترجمة الآلية، تحليل المشاعر استخراج المعلومات، وغيرها من المهام اللغوية.

تعتمد حوسبة اللغة على مجموعة واسعة من التقنيات والأساليب، بما في ذلك تعلم الآلة، ومعالجة اللغة الطبيعية، والذكاء الاصطناعي، والتحليل النصي، وقواعد المعرفة، والاحتماليات، والترجمة الآلية، وغيرها. تهدف هذه التقنيات إلى تحسين القدرة على فهم وتحليل اللغة الطبيعية بشكل أوتوماتيكي وفعّال.

يتضمن مجال حوسبة اللغة العديد من التطبيقات العملية والتي تلبي احتياجات المستخدمين في مختلف المجالات مثل تحليل المشاعر في وسائل التواصل الاجتماعي، وتوليد التقارير الآلية، وترجمة النصوص، ومساعدة الذكاء الاصطناعي الشخصي، والتعلم الآلي، وغيرها.

بشكل عام، يهدف مفهوم حوسبة اللغة إلى تطوير أنظمة وتقنيات تمكّن من تحليل وفهم واستخدام اللغة الطبيعية بشكل فعّال وذكي، وتقديم حلول مبتكرة ومفيدة في مجالات مختلفة من الحياة اليومية والعلمية والصناعية.

5. بين حوسبة اللغة واللسانيات الحاسوبية:

مفاهيم وتحديدات: حوسبة اللغة (Computational Linguistics) تركز على استخدام التكنولوجيا الحاسوبية لدراسة اللغة الطبيعية، بما في ذلك تطوير النماذج الرياضية والبرمجية لفهم وتوليد اللغة الطبيعية. بينما اللسانيات الحاسوبية (Computational Linguistics) تركز على تطبيق الأساليب والتقنيات الحاسوبية في دراسة اللسانيات، بما في ذلك استخدام الحوسبة لتحليل البيانات اللغوية وتطوير تطبيقات تقنية لدعم اللغة، بهذا تعتبر حوسبة اللغة مجالا من المجالات التي تشتغل عليها اللسانيات الحاسوبية.

تطبيقات حوسبة اللغة:

تعليم اللغة الثانية: استخدام تطبيقات ومواقع الويب التي توفر تدريبًا شخصيًا باستخدام تقنيات حوسبة اللغة لتحسين مهارات اللغة الثانية للطلاب.

تقييم الكتابة الطلابية: استخدام أنظمة التقييم التلقائي للكتابة لتوفير تغذية راجعة فورية للطلاب بناءً على القواعد اللغوية والمحتوى.

توفير محتوى تعليمي مخصص: استخدام منصات التعلم الإلكتروني التي تستخدم تقنيات حوسبة اللغة لتوفير محتوى تعليمي مخصص يتناسب مع احتياجات كل طالب.

تطوير تطبيقات تعليمية تفاعلية: استخدام تقنيات حوسبة اللغة في تطوير تطبيقات تعليمية تفاعلية تساعد الطلاب على فهم المفاهيم اللغوية بشكل أفضل.

تطبيقات اللسانيات الحاسوبية:

تحليل النصوص التعليمية: استخدام تحليل النصوص لتقديم تقارير عن أساليب التعلم والتفاعل الطلابي لتحسين تجربة التعلم.

تحليل الخطاب التعليمي: تحليل الخطابات التعليمية لتحديد أساليب التدريس الفعالة وتحسينها.

تصميم أنظمة التعلم الآلي: تطوير أنظمة تعليمية تفاعلية تستخدم تقنيات اللسانيات الحاسوبية لتخصيص تجارب التعلم لاحتياجات كل طالب بشكل فردي.

تحليل البيانات التعليمية: استخدام تحليل البيانات لفهم أداء الطلاب وتقديم توصيات للتحسين وتطوير مناهج تعليمية فعّالة، هذه بعض الطرق التي يمكن استخدام حوسبة اللغة واللسانيات الحاسوبية في مجال التعليم لتحسين تجربة التعلم وتعزيز فعالية العملية التعليمية.

6. حوسبة اللغة العربية والذكاء الاصطناعي:

الطرائق والنماذج: حوسبة اللغة العربية والذكاء الاصطناعي تتعامل مع استخدام التكنولوجيا والحوسبة لفهم ومعالجة اللغة العربية بشكل آلي، وتتضمن تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال حوسبة اللغة العربية ما يلي:

الترجمة الآلية :تطبيقات ترجمة النصوص العربية إلى لغات أخرى والعكس، وتستخدم الترجمة الآلية تقنيات الذكاء الاصطناعي مثل شبكات العصب الاصطناعي وتعلم الآلة لتحسين جودة الترجمة.

المساعدة الذكية والتفاعلية: تطبيقات المساعد الشخصي التي تستجيب للأوامر الصوتية أو الكتابية باللغة العربية، مثل سيري وأليكسا، تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي لفهم الأوامر وتنفيذ المهام بشكل فعال.

تحليل المشاعر والمضمون: تطبيقات تحليل المشاعر في النصوص العربية على وسائل التواصل الاجتماعي والمنتديات، تستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي لفهم وتحليل المشاعر والتوجهات واكتشاف الاتجاهات العامة.

توليد النصوص الآلي: تطبيقات تقوم بتوليد النصوص العربية بشكل آلي سواء كان ذلك في صياغة مقالات أم توليد تقارير أم إنشاء محتوى ويب وتستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي مثل التعلم العميق لتوليد النصوص بشكل طبيعي ومقنع.

نظم استخراج المعلومات: تطبيقات تستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي لاستخراج المعلومات الهامة من النصوص العربية، مثل الكيانات والعلاقات بينها والمعلومات الهامة الأخرى، مما يسهل عمليات البحث والاستخلاص.

تجمع حوسبة اللغة العربية والذكاء الاصطناعي على النهج التكنولوجي لاستخدام التقنيات الحاسوبية المتقدمة لتعزيز الفهم والتفاعل مع اللغة العربية بشكل آلي، وتمثل مجالًا مهمًا يعزز من قدرة التكنولوجيا على التفاعل بشكل أفضل مع المستخدمين الناطقين باللغة العربية.

وهناك العديد من الطرائق والتقنيات المعتمدة في حوسبة اللغة العربية. من أهمها:

معالجة اللغة الطبيعية(NLP): تتضمن هذه التقنية استخدام الحوسبة لفهم وتحليل اللغة العربية بشكل آلي، بما في ذلك تحليل النص، والتعرف على الكلمات، وتحديد الأجزاء الكلامية، واكتشاف العلاقات اللغوية.

الترجمة الآلية: تتيح هذه التقنية تحويل النصوص من اللغة العربية إلى لغات أخرى أو العكس بشكل آلي، وتشمل أساليبها تقنيات مثل الترجمة الإحصائية والترجمة القائمة على القواعد، وأحدثها تقنيات الترجمة العميقة بناءً على الشبكات العصبية الاصطناعية.

استخراج المعلومات: يهدف هذا المجال إلى استخراج المعلومات الهامة والمفيدة من النصوص العربية بشكل آلي، مثل استخراج الكيانات الاسمية والعلاقات بينها.

التحليل اللغوي: يركز هذا المجال على فهم الهياكل اللغوية للنصوص العربية، بما في ذلك التحليل الصرفي والنحوي، واكتشاف الأنماط اللغوية والبنى اللغوية في النصوص.

التعلم الآلي في سياق اللغة العربية: يتمثل في استخدام تقنيات التعلم الآلي والذكاء الاصطناعي في فهم وتوليد اللغة العربية، مثل شبكات العصب الاصطناعي والتعلم العميق.

تتقدم تقنيات حوسبة اللغة العربية بسرعة متزايدة، وتشهد التطورات المستمرة في مجالات مثل الترجمة الآلية وتحليل النصوص وتوليد اللغة.

وهناك العديد من النماذج والتجارب في مجال حوسبة اللغة العربية التي تم تطويرها واستخدامها في مختلف المجالات. من بين هذه النماذج:

معالجة اللغة الطبيعية للعربية: هناك العديد من النماذج والتجارب التي تستخدم معالجة اللغة الطبيعية للتعامل مع اللغة العربية في مختلف السياقات، مثل تحليل المشكلات اللغوية، وترجمة النصوص، واستخراج المعلومات، وتوليد النصوص.

تحليل الانفعال في اللغة العربية: تم تطوير العديد من النماذج لتحليل الانفعال في اللغة العربية، وهو يستخدم في مجالات مثل تحليل المشاعر في وسائل التواصل الاجتماعي وتقييم ردود الفعل على منتجات وخدمات معينة.

نظام تحليل النصوص القانونية العربية: تم تطوير نماذج لتحليل النصوص القانونية العربية، ويستخدم ذلك في تبسيط العمليات القانونية وتسهيل فهم القوانين والمواد القانونية.

التعلم الآلي في تصنيف النصوص العربية: تم تطوير نماذج لاستخدام التعلم الآلي في تصنيف النصوص العربية، مثل تصنيف الأخبار أو التعليقات في المنتديات.

نماذج ترجمة النصوص العربية إلى لغات أخرى والعكس: تم تطوير العديد من النماذج لترجمة النصوص من وإلى اللغة العربية، ويتم استخدام هذه النماذج في تسهيل التواصل بين مختلف الثقافات واللغات.

هذه مجرد أمثلة عن التجارب العربية في مجال حوسبة اللغة العربية وتظهر كيفية استخدام التكنولوجيا لتطوير حلول تتعامل مع اللغة العربية بفعالية.

من التجارب الناجحة في مجال حوسبة اللغة العربية، والتي توضح استخدام التكنولوجيا لتطوير حلول مفيدة وفعالة. من بين هذه التجارب:

ترجمة گوگل: خدمة الترجمة التلقائية التي تقدمها گوگل تدعم اللغة العربية وقد أظهرت نتائج ملموسة في ترجمة النصوص العربية إلى لغات أخرى والعكس بشكل سريع وفعّال.

تطبيقات الترجمة الفورية: هناك العديد من التطبيقات المتاحة على الهواتف الذكية التي تدعم ترجمة الكلام والنصوص في الوقت الفعلي من وإلى اللغة العربية، مما يسهل التواصل عبر اللغات.

المعالجة اللغوية في الروبوتات الذكية: تم تطوير العديد من الروبوتات الذكية التي تستخدم المعالجة اللغوية للتفاعل بشكل طبيعي مع المستخدمين الناطقين باللغة العربية، مما يسهل عمليات التوجيه وتلبية الاحتياجات.

تحليل المشاعر في وسائل التواصل الاجتماعي: تم تطوير تقنيات لتحليل المشاعر في النصوص العربية الموجودة على وسائل التواصل الاجتماعي، وقد أظهرت هذه التجارب قدرة كبيرة على فهم مشاعر المستخدمين والاتجاهات العامة.

نظم المساعدة الشخصية باللغة العربية: تم تطوير نظم المساعدة الشخصية مثل "سيري" و"أليكسا" لدعم اللغة العربية، وتقديم خدمات متنوعة مثل إعطاء المعلومات، وتشغيل الأوامر، وإجراء المحادثات بشكل طبيعي.

هذه بعض الأمثلة على التجارب الناجحة في حوسبة اللغة العربية، والتي توضح كيف يمكن استخدام التكنولوجيا لتطوير حلول مفيدة ومبتكرة في مجال تعامل الحواسيب مع اللغة العربية.

7. حوسبة مستويات اللغة العربية: الماثل والعوائق: توجد العديد من المحركات لبحث الويب التي تدعم اللغة العربية وتستخدم معالجة اللغة الطبيعية لتحسين النتائج. من بين هذه المحركات:

گوگل بحث: جوجل يدعم البحث باللغة العربية، ويستخدم تقنيات متطورة في معالجة اللغة الطبيعية لتحسين دقة النتائج.

بينج بحث: محرك بحث بينج يدعم أيضًا اللغة العربية ويستخدم تقنيات معالجة اللغة الطبيعية لتحسين تجربة المستخدم ودقة النتائج.

ياهو بحث: ياهو بحث يوفر دعماً للبحث باللغة العربية، ويستخدم تقنيات معالجة اللغة الطبيعية لتحسين جودة النتائج.

بيانات: تطبيق بيانات هو محرك بحث عربي مخصص يهدف إلى توفير تجربة بحث متقدمة للمستخدمين العرب، ويستخدم تقنيات معالجة اللغة الطبيعية لتحسين النتائج.

محرك بحث الشامل: هذا المحرك العربي يستخدم معالجة اللغة الطبيعية لفهم نصوص البحث بشكل أفضل وتحسين النتائج المقترحة، هذه بعض الأمثلة على المحركات لبحث الويب التي تستخدم معالجة اللغة الطبيعية لتحسين تجربة المستخدم ودقة النتائج في البحث باللغة العربية.

حوسبة المستوى النحوي والمعجمي والصرفي للغة العربية[5] تشمل استخدام التكنولوجيا لفهم وتحليل هياكل اللغة العربية والعلاقات بين الكلمات والأجزاء الكلامية. تشمل هذه العمليات مجموعة من التقنيات والأدوات التي تساعد في فهم النصوص العربية وتحليلها بشكل آلي، وتتضمن بعض هذه التقنيات:

تحليل النصوص النحوي: يشمل تحليل النصوص العربية لتحديد الهياكل النحوية مثل الجمل والعبارات والأقسام الجملية المختلفة، وتحديد الأدوار النحوية للكلمات مثل الفاعل والمفعول به وغيرها.

المعجم العربي الإلكتروني: يتيح المعجم العربي الإلكتروني قاعدة بيانات ضخمة تحتوي على المعلومات اللغوية والمعاني للكلمات العربية، مما يمكن النظم الحاسوبية من فهم المفردات واستخدامها بشكل صحيح.

تحليل الصرف العربي: يشمل تحليل الصرف لفهم تغييرات الكلمات في الزمن والعدد والمضارع والماضي وغيرها من الأوقات والأوزان الصرفية.

تحديد الأوزان الصرفية: يهدف إلى تحديد أوزان الكلمات العربية وتعريف القواعد الصرفية التي تنطبق عليها، مما يسهل فهم الكلمات وتحليلها بشكل دقيق.

تركيب الجمل: يتمثل في فهم كيفية بناء الجمل العربية وتحليل العلاقات النحوية بين الكلمات والعبارات والجمل، وهذا يساعد في تفسير النصوص وتوليد جمل صحيحة بشكل آلي.

هذه بعض التقنيات التي تستخدم في حوسبة المستوى النحوي والمعجمي والصرفي للغة العربية، وتساعد في فهم وتحليل اللغة العربية بشكل أوتوماتيكي وفعال.

عوائق حوسبة مستويات اللغة العربية النحوية والصرفية والمعجمية: تتراوح بين العديد من الجوانب التقنية واللغوية، ومن بين هذه العوائق:

تعقيدات اللغة العربية: اللغة العربية تحتوي على نظام نحوي وصرفي معقد مما يجعل تحليلها وفهمها بشكل آلي أكثر تحديًا من بعض اللغات الأخرى.

تنوع اللهجات واللغات الإقليمية: وجود عدة لهجات وتنوع في استخدام اللغة العربية بين الدول العربية يزيد من التحدي في تطوير نماذج عالمية قادرة على فهم جميع هذه الاختلافات.

نقص البيانات الكبيرة: قد تكون البيانات الكبيرة المتاحة لتدريب نماذج حوسبة اللغة العربية أقل بكثير من تلك المتاحة للغات أخرى مثل الإنكليزية مما يؤثر على جودة ودقة النماذج.

صعوبة التعامل مع الحروف المتصلة: اللغة العربية تستخدم الحروف المتصلة، وهذا يزيد من التعقيد في تحليل الكلمات وفهم تغييراتها وتشكيلها بشكل صحيح.

تحديات التعامل مع الأسماء العربية والكنى: يوجد العديد من الأسماء العربية والكنى التي تحتوي على تحديات خاصة في معالجة اللغة الطبيعية مما يتطلب استخدام تقنيات متقدمة لتفادي الأخطاء.

المعاني الضاربة في اللغة العربية: تحتوي اللغة العربية على العديد من الكلمات والعبارات ذات المعاني الضاربة التي يصعب فهمها بشكل آلي، مما يزيد من التحدي في تطوير نماذج تفاعلية وفعالة.

تلك بعض العوائق التي تواجه حوسبة مستويات اللغة العربية النحوية والصرفية والمعجمية، ومع تطور التكنولوجيا وزيادة الاهتمام بهذا المجال، من الممكن تجاوز هذه العوائق وتطوير حلول أفضل وأكثر دقة في المستقبل.

خاتمة: تطوير حوسبة اللغة العربية في ظل معطيات الذكاء الاصطناعي يمثل تحديًا مهمًا وفرصة لاستغلال قدرات التكنولوجيا الحديثة في تعزيز التفاعل بين الحواسيب واللغة العربية بشكل أكبر. بناءً على الإطار السابق يمكن إبراز بعض النقاط الختامية:

-**التقدم التكنولوجي:** شهدت حوسبة اللغة العربية تطورًا كبيرًا بفضل التقدم التكنولوجي والبحث العلمي في مجالات الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية.

-**التحديات المستقبلية:** على الرغم من التقدم، ما زالت هناك تحديات تواجه تطوير حوسبة اللغة العربية، مثل التعامل مع التنوع اللهجي ونقص البيانات الكبيرة المتاحة.

-**الفرص والتطلعات:** يمكن أن يفتح التقدم في حوسبة اللغة العربية أفاقًا جديدة لتطبيقات متنوعة في الحياة اليومية، مثل تطوير نظم المساعدة الشخصية وترجمة النصوص بشكل فعال.

-**الاستثمار في البحث والتطوير:** يجب على المجتمع العلمي والصناعي العربي الاستمرار في الاستثمار في البحث والتطوير في مجال حوسبة اللغة العربية، وتعزيز التعاون والشراكات لتحقيق التقدم المستدام.

-**ضرورة التوازن والمسؤولية:** يجب على المجتمع التكنولوجي العمل على ضمان تطوير واستخدام التقنيات بطريقة تحافظ على القيم الأخلاقية وتحقق التوازن بين الابتكار والخصوصية والأمان.

-باختصار، تطوير حوسبة اللغة العربية في ظل معطيات الذكاء الاصطناعي يعتبر مسارًا حيويًا ومهمًا نحو تحقيق تكنولوجيا المعرفة الشاملة وتمكين اللغة العربية في العصر الرقمي الحديث

المصادر والمراجع:

1- أحمد نبهان سويلم، الذكاء الصناعي دراسة في المفاهيم الأساسيّة، دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، س1، يناير، 1996.

2- تشارلز بيرسي سنو، الثقافتان والثورة العلميّة، تر لطيفة الديلمي، دار المدى للنشر، العراق، 2018.

3- جون بروكمان وآخرون، الثقافة الثالثة، تر: لطيفة الديلمي، دار المدى للنشر، العراق، 2020.

4- خليفة بن الهادي الميساوي، الذكاء الاصطناعي وحوسبة اللغة العربية مجلة مدارات في اللغة والأدب، مركز مدارات للدراسات والأبحاث، المجلد 01، ع05، تبسة، الجزائر، 2021.

5- الصانع وليد بن عبد الله، طرق ومستويات معالجة اللغة في الذكاء الاصطناعي في تحليل النص العربي، 2019.

الهوامش:

[1]–تشارلز بيرسي سنو، الثقافتان والثورة العلميّة، تر: لطيفة الديلمي، دار المدى للنشر، العراق، 2018، ص57–58

[2]–جون بروكمان وآخرون، الثقافة الثالثة، تر لطيفة الديلمي، دار المدى للنشر، العراق، 2020، ص10–11.

[3]–أحمد نبهان سويلم، الذكاء الصناعي دراسة في المفاهيم الأساسيّة، دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، س1، يناير، 1996، ص13.

[4]–خليفة بن الهادي الميساوي، الذكاء الاصطناعي وحوسبة اللغة العربية، مجلة مدارات في اللغة والأدب، مركز مدارات للدراسات والأبحاث، م1، ع5، تبسة– الجزائر، 2021، ص 11.

[5]–الصانع وليد بن عبد الله، طرق ومستويات معالجة اللغة في الذكاء الاصطناعي في تحليل النص العربي، 2019، ص27.

مواقع التّواصل الاجتماعيّ التّفاعليّة وترقيّة اللّغة العربيّة

– الفايسبوك (facebook) أنموذجا –

Interactive Social Media Platforms and the Promotion of the Arabic Language

- Facebook as a Model -

د. ورديّة ڤلاز ♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-001-005

تاريخ الاستلام: 06-09-2024 تاريخ القبـول: 13-10-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

الملخّص: تعدّ مواقع التّواصل الاجتماعيّ بمختلف أنواعها من أحدث منتجات **التّقانة المعاصرة** وأكثرها شعبيّة؛ كون استخدامها امتدّ ليشمل مختلف نشاطات الحياة، ولتداول المعلومة على مستوى هذه المواقع من مختلف الجهات، وبخاصّة **موقع الفايسبوك (facebook)**؛ ليصبح هذا الأخير اليوم من المواقع المهمّة الّتي لا يستطيع الفرد الاستغناء عنها وليصبح في نفس الوقت أداة من أدوات الوعي الاجتماعي؛ بقصد استفادة الفرد من إشغال وقته بما يُفيده. كما أنّ عملية التّفاعل الاجتماعي في موقع الفايسبوك (facebook) هي عمليّة اتّصالية حديثة لها مكانة بارزة عند علماء النّفس والاجتماع الذين أولوه أهميّة وبخاصّة تلك الّتي تؤثّر على التّكوين **والانتشار المعرفي** للأفراد والمشاركة فيه سواء بنصّ أم تعليق أم تفسير؛ لتلعب اللّغة بذلك دورها ويصبح الموقع وسيلة مهمّة لممارسة مختلف مهاراتها من: حديث، الكتابة؛ القراءة...الخ؛ كون مستعمل الفايسبوك (facebook) يشارك بوضع ردود، يسأل، ينشر ويتواصل، ليتمرّس على اللّغة عبر النّت؛ وتنمّي في مستعمليه الرّغبة والاهتمام بتعلّم اللّغة.

♥ جامعة عبد الرّحمن ميرة بجاية، الجزائر.

البريد الإلكتروني:ouardia.galleze@univ-bejaia.dz (المؤلّف المرسل).

الكلمات المفتاحيّة: مواقع التّواصل الاجتماعيّ؛ التّفاعل؛ ترقيّة اللّغة العربيّة؛ موقع الفايسبوك.

Abstract: Social media platforms have emerged as some of the most recent and widely used products of modern technology. Their usage has expanded to encompass a variety of activities in daily life, particularly the exchange of information among different users, with Facebook being a notable example. Today, Facebook has become an essential platform that many people find indispensable. It has also evolved into a tool for raising social awareness, enabling individuals to utilize their time in meaningful ways. The social interaction facilitated by Facebook represents a modern form of communication that holds a significant place among psychologists and sociologists, who emphasize its impact on shaping and disseminating knowledge. This interaction occurs through text, comments, and interpretation, with language playing a key role in the process. Facebook thus serves as a vital platform for practicing various language skills, including speaking, writing, and reading. Users engage by responding, asking questions, posting content, and communicating, all of which foster the desire to learn and improve language proficiency.

Key words: Social media; interaction; promotion of the Arabic language; Facebook.

مقدمة: أحدثت التّقانة المعاصرة نقلة نوعيّة وثورة حقيقيّة في عالم الاتّصال إذ انتشرت الشّابكة في كافة أرجاء العالم المتنافرة، وربطت أجزاءه المترامية بفضاءاتها الواسعة، ومهدّت الطريق اليوم نحو التّقارب والتّعارف بين البلدان وتبادل الآراء، والأفكار، والرّغبات؛ لتصبح أفضل الوسائل لتحقيق التّواصل المتفاعل بين الأفراد والجماعات، وبعدها ظهرت مجموع المواقع الإلكترونيّة

والمدوّنات المختلفة، والّتي غيّرت مجرى حياة الطاقات الشّبابيّة كونهم الأكثر تفاعلا، ولتخلق نوعا من التّواصل غير المعمول به سابقا، فوفرت الشّابكة صفحات ويب للإعلان عن الأفكار، والآراء، وإمكانية نشر الكتب، ووفّرت للزّوار إمكانية كتابة الردود على المواضيع المنشورة فيها، وكذا فرصة النّقاش بين المتصفحين، ومواقع للمحادثة (الدّردشة)، وهناك أيضا ما يُسمّى بالمدوّنات الشّخصيّة الّتي يجعلها أصحابها كمحفظة خاصّة يدوّنون فيها يومياتهم، أو يدوّنون فيها خواطرهم، واهتماماتهم.

وتعتبر **مواقع التّواصل الاجتماعي** من بين المواقع الّتي أتاحت هي الأخرى كل هذه الاتّصالات كـ: الفايسبوك، تويتر، ماي سبيس، لايف بوون، هاي فايف أوركت، ناجد، ليكند إن، يوتيوب، تيك توك وغيرها مثلما أصبح الفايسبوك محلا لتبادل مواقع الفيديو، والصور، ومشاركة الملفات، وإجراء المحادثات الفوريّة والتّواصل، والتّفاعل المباشر بين جمهور المتلقين، ويسجل لهذا الموقع ما يسمى بكسر احتكار المعلومة.

تبقى مواقع التّواصل الاجتماعيّ في الآونة الأخيرة هي الأكثر انتشارا على الشابكة لما تحويه من خصائص تميّزها عن باقي المواقع الإلكترونيّة الأخرى؛ مما شجّع متصفّحي الشّابكة على الإقبال المتزايد عليها وبالرّغم من مجموع الانتقادات السّلبيّة الّتي تتعرّض لها، فإنّ هناك من يرى في هذا الموقع (الفايسبوك) وسيلة مهمّة لتنامي الأفكار، والتحام المجتمعات، وتقريب المفاهيم والرّؤى، والاطّلاع والتّعرف على الثّقافات، بالإضافة إلى دوره الفّعال والمتميّز؛ كونه وسيلة لتعليم وتعلّم اللّغة العربيّة وبخاصة أنّ العربيّ اليوم يُقبل على موقع الفايسبوك بنسبة عالية مقارنة بالمواقع الأخرى، وأصبح موقعه المفضّل ويستخدمه باستمرار، ويُستغل كأفضل وسيلة لجمع البيانات بشكل دائم ويومي، وليتحوّل من مجرّد موقع لتفريغ الشّحن العاطفيّة إلى موجة تصح لتبادل وجهات نظر، وآراء وأفكار، ونشر مختلف المنشورات من كتب وحكم، وأشعار، وخواطر، ومؤتمرات

وندوات، وأخبار مؤسّساتية...الخ وبلغته العربيّة، وكذا استخدامه من طرف كبار الشّخصيات والمفكّرين واقتطاعهم وقتا معينا من الأنشطة الأخرى لصالح العربيّة بالدّرجة الأولى؛ لذا سنحاول في بحثنا هذا الإجابة عن **إشكاليات** مطروحة هي:

– ما الدّور الّذي يلعبه موقع الفايسبوك (**facebook**) في ترقيّة اللّغة العربيّة؟

– كيف يمكن استغلال مواقع التّواصل الاجتماعي لخدمة اللّغة العربيّة؟

– هل وجود التّقانة المعاصرة الّتي من المفترض أن تخدم العربيّة كغيرها من اللّغات، قد وقعت عائقا ضد ترقيّتها؟

–هل من اقتراحات تطرح لجعل مواقع التّواصل الاجتماعي كالفايسبوك (**facebook**) مواقع ترقّي اللّغة العربيّة، وتطوّرها، ومكسب إيجابي لمستويات تعلّمها؟

1. مواقع التّواصل الاجتماعي: هي إعلام جديد تتميّز بثراء معلوماتي وفعاليّة الاتّصال، وترتكز بشكل أكبر على الأشكال التّفاعليّة للاتّصال في اتّجاهين اثنين هما: بين القائم بالاتّصال، والجمهور المستقبل للرّسالة، وأين يكمن ثراء المعلومات تنخفض طبعا درجة الغموض، ويتم إيجاد مساحة من المعاني المشتركة؛ بمعنى آخر يمكن لمواقع التّواصل الاجتماعي أن تعمل على تفعيل الطاقات المتوافرة لدى الفرد؛ ليوجّهها للبناء والابداع في إطار "تطوير القديم وإحلال الجديد من قيم، وسلوك، وزيادة مجالات المعرفة للجمهور، وازدياد قدرتهم على التّقمّص الوجداني، وتقبّلهم للتّغيير..."[1] ويعرفها محمد عواد بأنها: "تركيبة اجتماعية إلكترونية تتمّ صناعتها من أفراد أو جماعات أو مؤسّسات، وتتم تسمية الجزء التّكويني الأساسي (مثل الفرد الواحد) باسم (العقدة – Node)؛ بحيث يتم إيصال هذا العقد بأنواع مختلفة من العلاقات كتشجيع فريق معين، أو الانتماء لشركة ما، أو حمل جنسية لبلد ما في هذا العالم وقد تصل هذه العلاقات لدرجات أكثر عمقاً كطبيعة الوضع الاجتماعي، أو المعتقدات أو الطبقة الّتي ينتمي إليها الشّخص."[2] كما يعرف موقع عالم التقانة المواقع الاجتماعية بأنها خلقت للمستخدم

بالمقام الأول، والحقيقة التي يجب أن تقال: "إنّ المستخدم هو من يسيرها، فإن أحسن أحسنت، وإن أساء أساءت، فلن يضرها شيء. وإن جئنا على شهرتها وشعبيتها ليس في عدد مستخدميها ولا كيف استخدموها، فشهرتها هو نتاج توظيف المستخدمين لها في صالحهم وتجسيدها، وفهمها لما يراد لها حالها حال أي تقنية تظهر، فكانت الشبكات شخصية، اجتماعية، عملية، تعليمية، كل منها يهدف لمبتغاه، فأخذ بها من على أرض الواقع كالشركات والمؤسسات، وغيرها في أعمالهم، وأخذت بها المواقع والمدونات كحال موقع عالم التقنية، الذي استخدمها وسيلة في نشر مواضيعه للّتفاعل أكثر معها."[3]

وتبقى مواقع التّواصل الاجتماعي فضاءات تواصليّة بمثابة أمكنة افتراضية فيها يتحدث الفرد عبر غرف الحوار، والدّردشة دون حدود جغرافية وبدون تاريخ شرط أن يكون فيها الحوار والتّواصل أساسا ويتّسم هذا المجتمع الافتراضي بمجموعة من السّمات هي:[4]

– المرونة وانهيار فكرة الجماعة المرجعيّة بمعناها التّقليدي؛

– لم تعد تلعب حدود الجغرافيا دورا في تشكيل المجتمعات الافتراضيّة، فهي مجتمعات لا تنام؛

– انفتاح على العالم وتواصل مع الآخرين؛

– لا تقوم المجتمعات الافتراضية على الجبر أو الالزام؛ بل تقوم في مجملها على الاختيار.

كما أنّ مواقع التّواصل الاجتماعي مجموعة من الشّبكات الإلكترونيّة المترابطة الّتي تسمح للمستخدم بإنشاء حساب خاص به، وربطه مع مستخدمين آخرين لديهم الاهتمامات نفسها من خلال نظام الكتروني اجتماعي، وسُميت اجتماعيّة لأنّها جاءت من مفهوم (بناء المجتمعات) وتصنّف هذه المواقع ضمن مواقع الجيل الثّاني للويب. يعرف قنديلجي والسّامرائي شبكات التّواصل الاجتماعي (Social Networking) بأنّها: "عبارة عن مجموعة من البرامج والأدوات على

الإنترنيت يستخدمها جمهور المستخدمين لتبادل المحتوى، والآراء، والأفكار والخبرات ووجهات النّظر عبر وسيلة اِعلام تعمل على تسهيل المحادثات والتّفاعلات بين مجموعات من الناس عبر الانترنيت."[5] ويتّضح من خلال هذا التّعريف بأنّ لشبكات التّواصل الاجتماعي مجموعة من الإيجابيات وهي:

– التّواصل مع العالم الخارجي، وتبادل الأفكار والآراء؛

– التّعبير عن الآراء، ومشاركة المناسبات الشّخصية مع الآخرين؛

– اطلاق الإبداعات والمشاريع التي تحقق أهدافا كثيرة، وتساعد المجتمعات على التّطور والنّمو؛

– تقلّل الوقت والجهد من أجل التّواصل مع الآخر؛

– السّرعة في نقل الأخبار والأحداث؛

– تُتيح إمكانية التعرّف على مستخدمين لديهم هوايات مشتركة، وتعرّفهم على العديد من المواقع في مجالات يُفضّلها المستخدم وتهمّه.

وتصنّف مواقع التّواصل الاجتماعي (Social Media Sites) من حيث الاتاحة الجماهيريّة إلى قسمين اثنين وهما:[6]

القسم الأوّل: هي مواقع تضم أفرادا، أو مجموعات من الأفراد تربطهم إطارات مهنيّة، أو اجتماعيّة محدّدة، وتعتبر هذه المواقع مغلقة، ولا يُسمح بالدّخول إليها من هم من عامة الناس.

القسم الثّاني: هي مواقع التّواصل الاجتماعي المفتوحة للجميع، ويحق لمن لديه حساب على الشّابكة الانضمام إليها، واختيار أصدقائه ومن هذه المواقع شبكة الفايسبوك (facebook).

2. مفهوم التّفاعليّة في مواقع التّواصل الاجتماعي: تعتمد الشّابكة على وسائط متعدّدة (صوت صورة، نص، حركة) والنقل الحي والسّريع، وتبادل الحوار والأدوار في العمليّة الاتّصاليّة، والجمع بين مميّزات الاتّصال الشّخصي والمجتمعي، وهذه الخصائص هي الّتي جعلت من الشّابكة الخاصيّة الأساس لما

يسمّى بـ: **التّفاعليّة**، وإيمانا بأهميّة العمليّة التّفاعليّة سنتعرّف على المصطلح. إذ يرتبط مفهوم التّفاعليّة بالعالم (وينر) حينما أضاف رجع الصدى إلى نموذج (شانون وويفر) عام 1948م، بحيث بدأ أوّل اهتمام بدراسة الاتّصال كعمليّة ديناميكيّة بين المرسل والمستقبل، ومع ظهور تكنولوجيا الاتّصال الحديثة كالكمبيوتر، واللّويحة، والهاتف النّقال ازداد الاهتمام بعد ذلك بدراسة التّفاعليّة.

2. 1-التّفاعليّة لغة: الأصل اللّغوي للتّفاعليّة هو الفعل "فعل" الّذي مشتقاته (فاعل) و(فعّال). والتّفاعليّة مصدر صناعي اختاره مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة للدّلالة على وصف الفعل بالنّشاط والإتقان والفاعليّة هي: مقدرة الشيء على التّأثير.

2. 2-التّفاعليّة اصطلاحا: لا وجود لتعريف جامع لهذا المصطلح بسبب حداثته، ويشمل المصطلح "الخدمة الملحقة بأي وسيلة إعلاميّة مطبوعة، أو مرئيّة، أو إلكترونيّة تتيح للجمهور أن يُشارك برأيه ويشمل صفحة القراء في كل مطبوعة، وتعقيباتهم، على موادها في مواقعها الإلكترونيّة، ويشمل مشاركات الجمهور في البرامج المرئية، ومداخلاته مثلا في قاعات المحاضرات والنّدوات.[7]

وتمّ تعريف مفهوم التّفاعليّة من قبل الباحثين على أنّها: "أحد إمكانيات القوى الدّافعة نحو انتشار استخدام وسائل الاعلام الجديدة، ويذكر (نيوهاجين) أنّ التّفاعليّة هي أكثر الخواص الّتي يُشار إليها غالبا، والمستخدمة لتمييز الشّابكة عن وسائل الإعلام الأخرى؛ لذا فإنّ التّفاعليّة تعتبر الخاصية الوحيدة ذات الأهمية البالغة بالنّسبة للإنترنيت، والتّفاعليّة ليست مفهوما متناغما، وبعبارة أخرى فقد تكون التّفاعليّة بين المرسلين والمستقبلين، بين الإنسان والآلة، أو بين الرّسالة وقرائها،"[8] وهذا التعريف يُدّلنا بأنّ التّفاعليّة مرتبطة بالشابكة، ووسائل التّقانة الحديثة لسرعتها ودنامكيتها.

وتعرف عائشة العاجل التّفاعليّة فتقول في ذلك: "يُقصد بالتّفاعليّة (Interactivity) الأنماط الاتّصاليّة عبر شبكة الإنترنيت الفوري، والبريد الإلكتروني، أو التّعقيب المباشر على مادة الاتّصال (النّص)؛ حيث يتمكّن القارء/المتصفّح من التّعليق على ما يتصفّحه، ويُحاور القارء، أو محرر المادة كما بمقدوره مراسلة الكاتب أيضا."[9] يبقى مفهوم التّفاعليّة متعلقا بالتّقانة بالدّرجة الأولى.

تعدّ التّفاعليّة من أهم الخدمات الّتي تقدّمها الشّابكة في مجال إفادة الصّحافة الإلكترونية، فالشابكة بمثابة وسيط للاتّصال التّفاعلي الّذي يوسع فرص مشاركة القراء عن طريق ما يلي: مواقع التّواصل الاجتماعي، البريد الإلكتروني، مواقع الدّردشة، والرّوابط والمنتديات الإلكترونيّة، وغيرها من سبل الاتّصال التّفاعلي ولكي تصل ظاهرة العلاقات الاتّصاليّة التّفاعليّة إلى مستوى اتّصال حقيقي يجب أن تُلبي مجموعة من الخصائص، وهي كالآتي:[10]

– أن تكون في شكل مفتوح للتّبادل الثّنائي الاتّجاه، أو التّعددي الاتّجاه؛
– إمكانية قلب الأدوار بين المرسل والمتلقي؛
– تثمين النّشاط التّشاركي للمتلقي حتّى في حالة قيامه بدور استقبالي بسيط؛
– الانتباه إلى تأثيرات العمل الاتّصالي؛
– الاستعداد لاعتبار العلاقة الاتّصاليّة نشاطا تبادليا متساويا، وبالتّالي شكلا من المحادثة الّتي يمكن أن تتحقّق.

فأصبح اليوم الحكم على مدى نجاح موقع على الشّابكة من عدمه يتعلّق، أو يرتبط بما يُقدّمه من خدمات تفاعليّة بين مستخدمي هذه المواقع.

3. اللّغة العربيّة ما لها وما عليها في مواقع التّواصل الاجتماعي: لا ريب في أنّ استخدام اللّغة الأم يُضاعف من قدرة الإنسان على التّواصل، والفكر والإبداع؛ لكن الفرد العربي ضاع ما بين لغة أم قادر على التّواصل بها، وأخرى

تلبي حاجته إلى التّعبير عن تطوّرات العصر، معتقدا أنّ اللّغات الأجنبيّة نوع من الارتقاء للسّلم الاجتماعي، والعربيّة اليوم لا ننكر بأنّها تعاني في مواقع التّواصل الاجتماعي من ثلاث مشكلات رئيسيّة وهي:

المشكلة الأولى: تتعلق بمساحة الانتشار، ونسبة تواجدها على هذه المواقع مقارنة باللّغات الأجنبية؛

المشكلة الثّانية: تتعلق بأشكال التّواجد والحضور، ومدى خدمتها للغة العربيّة من غيرها من اللّغات؛

المشكلة الثّالثة: تتعلّق بكيفيّة تواجدها، وتداولها من قبل مستخدمي هذه المواقع وبروز ظاهرة التّهجين اللّغوي للعربيّة بالعاميات، واللّغات الأجنبيّة، فظهرت على مواقع التّواصل الاجتماعي ما أطلق عليها بـ: الفرانكو آراب، العربيزي، الأرابيش (Arabish) دمجا بين كلمتي (Arabic) و(English).[11]

إنّ التّواصل أساس كلّ العلاقات الاجتماعيّة، والتّواصل اللّغوي في ذاته هو علاقة اجتماعيّة قبل أن يكون تناقلا للمعلومات، وتعتبر اللّغة بدورها في مواقع التّواصل الاجتماعي الرّكيزة الأساس لتلك العلاقات، وتدعّمها عن طريق التّفاعل والتّبادل الّذي يتمّ بين أفراد المجتمع؛ ليصبح الإعلام الجديد على مواقع التّواصل الاجتماعي مؤسّسة كبيرة، وواسعة يُشارك فيها مجتمع متفاعل بأكمله غير مختصر فقط على كُتّاب وقُرّاء، وصحفيين بعينهم؛ بل فتحت كل الأبواب والآفاق لكل من يريد أن يتبادل مع الآخرين همومهم، وأفراحهم، واحتياجاتهم، ومشاكلهم وأمورهم الحياتيّة الأخرى عبر تواصل اجتماعي حي ومشوّق كيف لا وهو ما صنعه موقع الفايسبوك أمام الجماعات.

أمّا الاعتقاد السّائد الّذي يقول بأنّ اللّغة العربيّة تحدق بها الأخطار على مستوى مواقع التّواصل الاجتماعي، وبدأ يزول بريقها، وعدد مستخدمي حروفها أخذ ينقص شيئا فشيئا، وعدد المهتمين بها والدّافعين عنها أخذ يضمحل، أنا أقول بأنّ هذا الاعتقاد صادر من باب الحرص عليها، ويظل هذا من باب الاعتقاد

والتّخمين وفقط لا الجزم فيه واليقين؛ لذلك جاءت دراستي هذه لموقعي الخاص الموسوم بـ: (Ouardia Galleze) في الفايسبوك، فيه ألتمس شيئا مخالفا لهذا الاعتقاد، لأستدل بما هو إيجابي في خدمة العربيّة وترقيتها في موقع الفايسبوك وكيف للنّخبة المثقّفة المنتمين لهذا الموقع أن يتعاملوا بعربيّة فصيحة وسليمة، ما عدا الأقليّة منهم الذين يكتبون تعليقاتهم بالعامية.

لتحظى بعدها العربيّة بمكانة كبيرة على مواقع التّواصل الاجتماعي بالنّظر لكثرة عدد المتحدّثين بها ومستعمليها من المشتركين، في وقت أصبح فيه الفايسبوك يُسهم بقوّة في التّأثير على اللّغة، وذلك من خلال جملة من الفضاءات المتاحة للمستخدمين.

وعادة ما تكثر العاميّة على حساب اللّغة الفصيحة في مواقع التّواصل الاجتماعي لأسباب يمكن تلخيصها في ما يلي:

- الجهل بقواعد الإملاء ومصطلحاتها؛
- الجهل بقواعد النّحو والصّرف؛
- كثرة الأخطاء اللّغويّة الشّائعة؛
- عدم السلامة في الأسلوب وتركيب الجمل؛
- إهمال لعلامات التّرقيم؛
- المبالغة في استعمال العامية والكلمات باللّغة الأجنبيّة.

4. موقع الفايسبوك (facebook) وتأثيره على الطاقات الشّبابيّة:

الفايسبوك هو أحد شبكات التّواصل الاجتماعي الّتي رغم أنّ عمرها لا يزيد عن 13 سنة؛ إلاّ أنّ مواقعها أصبحت الأشهر والأكثر استخداما، وتأثيرا على مستوى العالم، ويرى مخترعه (مارك زوكربيرج) أنّ الفايسبوك هو حركة اجتماعيّة (Social Movement)، وليس مجرّد أداة ووسيلة للتّواصل، وأنّه سوف يُزيح البريد الإلكتروني، ويحلّ محلّه، وسوف يُسيطر مستقبلا على كلّ نواحي النّشاط البّشري على الشّابكة، ويوصف كونه **دليل سكان العالم**، وأنّه موقع يُتيح للأفراد

العاديين أن يصنعوا من أنفسهم كيانا عاما، وذلك من خلال الإدلاء والمشاركة بما يُريدون من معلومات حول أنفسهم، واهتماماتهم ومشاعرهم، وصورهم الشّخصيّة، ولقطات الفيديو الخاصة بهم، ولذلك فإنّ الهدف من هذا الاختراع هو جعل العالم مكانا أكثر انفتاحا.[12]

ويظل الفايسبوك شبكة اجتماعيّة يمكن الدّخول إليها مجانا، وتديره شركة فايسبوك محدودة المسؤوليّة كملكيّة خاصة لها، فالمستخدمون بإمكانهم الانضمام إلى الشبكات الّتي تنظّمها المدينة، أو جهة العمل أو المدرسة، أو الاقليم من أجل الاتّصال بالآخرين، والتّفاعل معهم، كذلك يمكن للمستخدمين إضافة أصدقاء إلى قائمة أصدقائهم، وإرسال الرّسائل إليهم، وأيضا تحديث ملفاتهم الشّخصيّة وتعريف الأصدقاء بأنفسهم.

ويمكن للفايسبوك أن يمثّل أداة مفيدة في السّياقات التّعليميّة كونه يسمح بالحوارات المفتوحة عبر وسائل معروفة، والوصول إليها بشكل منتظم، ويدعّم دمج المحتوى متعدّد الوسائط الّتي عادة ما يصنعها الطّلاب من: صور فديوهات، عناوين المواقع، نصوص...الخ. والفايسبوك الشبكة الاجتماعيّة الّتي استأثرت بقبول وتجاوب الشّباب في جميع أنحاء العالم.

5. موقع الفايسبوك (facebook) وترقية اللّغة العربيّة: في هذا العنصر سأقوم بدراسة تطبيقيّة حول موقعي الخاص في الفايسبوك (**f. Ouardia Galleze**)* كونّه موقعا عربيّا مئة في المئة 100 %.

*- موقع الفايسبوك: https://web.facebook.com/ouardia.galleze

الصّورة رقم (1):

الصّورة رقم (1)

الموقع المدروس في الفايسبوك (f. Ouardia Galleze)

5. 1- وصف الموقع: موقع مفتوح من سبتمبر 2016م، يُتعامل فيه باللّغة العربيّة يحتوي على حوالي 90 عضوا منقسّمين إلى: أساتذة جامعيين متخصّصين في اللّغة والأدب العربي، ينتمون لمخابر لغويّة مختلفة، وطلبة جامعيين، وكتّاب وأدباء. أمّا مجموع الأنشطة المتعامل معها في هذا الموقع فيسعى أغلبيّتها لخدمة العربيّة بالدّرجة الأولى.

ويبقى الهدف من الاستدلال بهذا الموقع، والاطّلاع على محتواه، ونوعيّة اللّغة المتعامل بها هو تبيان إمكانيّة مواقع التّواصل الاجتماعي بصفة عامة، والفايسبوك بصفة خاصة أن تُسهم في ترقية اللّغة العربيّة، مع العلم أنّ الفئة المستهدفة من خلال هذا الموقع هي الفئة المثقّفة، وكلّهم من ذوي الاختصاص في اللّغة والأدب العربي. وهو موقع خاص بالبحث والتّلقي، والتّواصل، والتّفاعل بين أساتذة، ومفكّرين لغويين وبحثة، ودور النّشر، ومخابر، ومعاهد تعلّم اللّغات، ويوفّر خدمات أخرى كـ: نشر الكتب والمذكّرات، والأطاريح وتشترك معه مواقع

أخرى خاصة بالمكتبات الإلكترونيّة، **والشكل رقم (1)** يمثّل نسب المشاركين في هذا الموقع.

الشكل رقم (1)

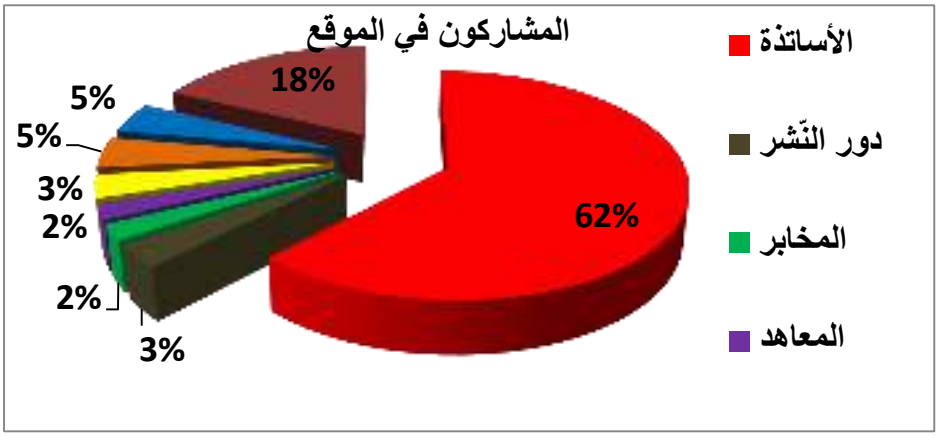

يتّضح من خلال الشّكل ما يلي:

-أعلى نسبة الأعضاء المشاركين في الموقع هم **أساتذة جامعيون** بلغت نسبتهم 62 % تليها نسبة **الطلبة** بـ: 18% أما باقي النّسبة من المئة، فهي: بنسبة 5% وتشمل صفحة المجلس الأعلى للّغة العربيّة، صفحة لمذكّرات موزّعة كالآتي:

-**دور النّشر**: بنسبة 3% وتشمل: دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دار العربيّ للنّشر والتّوزيع، دار الأيام للنّشر والتّوزيع؛

-**المخابر**: بنسبة 2% وتشمل كلّا من مخبري الممارسات اللّغويّة في الجزائر ومخبر الصّوتيات ومعالجة الكلام بغليزان؛

-**معاهد تعلّم اللّغات**: بنسبة 2% وتشمل كلّا من معهد تعلّم اللّغة الإنكليزية، ومعهد تعلّم اللّغة الفرنسيّة؛

-**الأدباء والكّتاب:** بنسبة 3% كالرّوائي عزّ الدّين جلاوجي، والكاتب الجزائري الطيب لعزب، والكاتب والنّاقد عبد السلام محمّد الشّادلي؛

-**صفحات أخرى:** وأطاريح صفحة المكتبة الرّقمية، ومدوّنة التّوظيف والتّعليم بالجزائر؛

المجموعات: بنسبة 5% وتشمل مجموعة باسم: قسم اللّغة والأدب العربي بجامعة مولود معمري تيزي-وزو، مجموعة باسم: معا للتّحضير للدّكتوراه ل. م. د، ومجموعة أخرى باسم: طلبة جامعة محمد بوضياف المسيلة، مجموعة باسم: دكتوراه DZ.

يتّضح مما سبق بأنّ مثل هذه المواقع ترقّي اللّغة العربيّة الفصيحة، وتخدم اللّغة في جانبها التّعليمي، وبجميع مستوياتها؛ كون الموقع يضمّ تقريبا كلّ الأعضاء المتفاعلة فيه أثناء العمليّة الاتّصالية والتّواصليّة التي تتّم بالعربيّة الفصيحة السليمة.

5. 2-اللّغات المستعملة لدى هذه الشّرائح المثقّفة: ما لاحظناه من خلال هذا الموقع وفي التّفاعلات اليوميّة والدّائمة تستعمل فيه اللّغات الآتية:

-**اللّغة العربيّة الفصيحة:** وهي الغالبة في هذا الموقع نجدها عند الأساتذة، والكتاب، والمعاهد، ودور النشر، والمخابر كما في الصّور؛

-**اللّغة العامية:** وبنسبة متوسّطة نجدها عند الطّلبة، أو في بعض الصّور الفكاهيّة كما في الصور؛

- **اللّغة الأجنبيّة:** نجدها عند معاهد تعلّم اللّغة الإنكليزية، والفرنسيّة؛

- **اللّغة العربية المكتوبة بالحروف الأجنبيّة:** تظهر فقط في بعض التّعليقات ونسبتها ضئيلة جدا في هذا الموقع كما في الصّور.

5. 3- نوعيّة المنشورات الّتي تخدم اللّغة العربيّة: تعدّدت المنشورات المتفاعل بها في هذا الموقع بين حكم، كتب، ملتقيات، ندوات، أيام دراسيّة، نماذج من أسئلة الامتحانات المرفوقة بالأجوبة مقدّمة لمسابقات الدّكتوراه، والتّوظيف في مسابقات قطاع التّربيّة بالجزائر...الخ.

- **نماذج من المنشورات:**

فكل هذه الصور والّتي يُتفاعل بها على صفحات الفيسبوك تخدم اللّغة العربيّة بالدّرجة الأولى كونها اللّغة الّتي نشرت بها سليمة من الأخطاء اللّغوية، والطالب بدوره يستفيد من خلال تحميله لمجموع الكتب الّتي تنشر، وهي مرفوقة بموقعها الأصلي وفي ما يلي نماذج أخرى.

- **نماذج من التّعليقات والدّردشات باللّغة العربيّة الفصيحة السّليمة على مستوى هذا الموقع:**

فما هو ظاهر في الصور الثّلاث يُؤكد على أنّ مستقبل اللّغة العربيّة لا خوْف عليه، فكما للفايسبوك سلبياته، فيمكن جعله الوسيلة الأساس لازدهار اللّغة العربية، وترقيتها، وممارستها، بكل عفويّة بين الفئات المتخصّصة والمثقّفة، فاللّغة أمانة بين أيدي هؤلاء.

خاتمة: نتوصّل في الأخير إلى مجموعة من النّتائج هي:

-إنّ تفاعل الأكاديميين المتخصصين في اللّغة العربيّة في مواقع التّواصل الاجتماعي يُؤدي إلى لترقيّة اللّغة العربيّة، وإغنائها بدلا من إضعافها؛

-استخدام الكتابة بالعربيّة السّليمة في التّواصل على هذه المواقع يُنمي اللّغة العربيّة، ويُحافظ عليها؛

-إنّ وضع خطط لرصد ما يحدث بمواقع التّواصل الاجتماعي كموقع الفايسبوك بخاصة من قبل الشّباب وتحليلها، وتفسيرها سيؤدي بنا لمعرفة الأسباب الفعليّة الّتي تقف وراء مجافاتهم للّغة العربيّة.

وأخيرا نقترح ما يلي:

-إنشاء مواقع للتّواصل الاجتماعي الخاصة باللّغة العربيّة، ودعوة المتخصّصين فيها للإفادة منها ولتبيان الأخطاء المرتكبة في حق العربيّة لاسيّما تلك المتعلّقة باستخدام الحروف اللّاتينيّة، والعاميّة؛

-تشجيع المتخصّصين في اللّغة العربيّة، والتّقنيات على إبداع طريقة سهلة للتّواصل بالعربية الفصيحة السليمة في مواقع التّواصل الاجتماعي الحديثة، بعيدة عن التّعقيد؛

-عقد مؤتمرات وندوات محلّية ودوليّة تهدف إلى بناء جسور الثّقة، وجسر الهوّة بين المتخصّصين في اللّغة العربيّة، والتّقانات المعاصرة لتبادل الآراء والحوار والمناقشة؛

-نشر الوعي بالأخطار الّتي قد تنتج عن استخدام اللّغة العاميّة في مواقع التّواصل الاجتماعي أو بالأحرف اللّاتينيّة من خلال الملصقات، والإعلانات؛ لأنّ المسؤولية طبعا ملقاة على عاتق المتخصّصين.

المراجع:

[1]- مي العبد الله، الاتّصال والدّيمقراطيّة، ط1. بيروت: 2005، دار النّهضة العربيّة ص21

[2]– نقلا عن: 2012، محمد المنصور، تأثير شبكات التّواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين – دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعيّة والمواقع الإلكترونيّة العربيّة–. بحث ماجستير، مجلس كلّية الآداب والتّربية: 2012م، الأكاديميّة العربيّة في الدّانيمارك، ص 25.

[3]– المرجع نفسه، ص27.

[4]– يُنظر: بهاء الدّين محمد مزيد، المجتمعات الافتراضية بديلا للمجتمعات الواقعيّة– كتاب الوجوه أنموذجا، دط، السعوديّة: 2012م جامعة الإمارات العربيّة المتّحدة.

[5]–عامر ابراهيم قنديلجي، وإيمان فاضل السامرائي، ط2. شبكة المعلومات والاتّصالات. دب: 2016، دار المسيرة للنّشر، ص341.

[6]–محمد محمد فراج عبد السّميع، دور مواقع التّواصل الاجتماعي في تسويق مصر كمقصد سياحي دولي، دط. مصر: 2012م، كلّية السّياحة والفنادق: جامعة الفيوم، ص11.

[7]–يُنظر: حسنين شفيق، الإعلام التّفاعلي، ط1. مصر: 2010، دار فن للطباعة والنّشر والتّوزيع.

[8]– المرجع نفسه، ص37.

[9]–يُنظر: عائشة العاجل، التّفاعليّة في الصّحافة الإماراتيّة، د.ط. الإمارات: 2003، منشورات دائرة الثّقافة والإعلام.

[10]–مهنا فريال، علوم الاتّصال والمجتمعات الرّقميّة، ط1. دمشق: 2002م، دار الفكر المعاصر، ص416.

[11]–رحيمة الطيب عيساني، اللّغة العربية وإنكليزية في وسائط الاعلام الجديد أو تهجين اللّغة العربيّة في وسائط الاعلام الجديد – الإنترنيت وتطبيقاتها أنموذجا–، ط1. دبي: 2013، كلّية الشّارقة، ص13.

[12]– عباس صادق، الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتّطبيقات، ط1. عمان: 2008م، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع. ص15.

الزّمن في النّص القرآني-نماذج مختارة
-مقاربة عرفانية-

TheTime in the Holy Quran: Quranic Samples
-Essai in Cognitive approach-

ط.د. بوزيدي حدّة♥

أ.د. لحمادي فطومة♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-027-001-006 DOI

تاريخ الاستلام: 18-02-2024 تاريخ القبـول: 31-07-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: تعرض هذه الدّراسة قضية شغلت البحث اللّغوي قديما وحديثا وتتمثّل هذه القضية في الاهتمام بعنصر الزّمن من حيث المفهوم والتشكّل فكيف يمكن إدراك الزّمن في النّصّ القرآنيّ إدراكا لغويّا وذهنيّا، وتصوّراته الدّلاليّة والقصديّة وفهم غاياته؟

تلك إشكالية يسعى المقال إلى تتبّعها عبر تطبيق، البحث اللّسانيّ العرفاني المعاصر آلياته، والغاية من ذلك تقديم نموذج تطبيقي في الدّراسات العرفانية وقراءة النّصّ القرآني في ضوئها كأفق جديد.

كلمات مفتاحيّة: الزّمن؛ العرفانية؛ النّصّ؛ القرآن.

♥ جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة.

البريد الإلكتروني: hadda.bouzidi@univ-tebessa.dz (المؤلف المرسل).

♥ جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر 2.

البريد الإلكتروني: fattouma.lahmadi@univ-alger2.dz.

Abstract: This study presents an issue that has preoccupied both ancient and recent linguistic research. This issue is the concern with the element of time in terms of concept and form. How can time in the Qur'anic text be perceived linguistically and mentally, its semantic and intentional perceptions and its objectives? This is a problem that the article seeks to follow through the application of contemporary graphic linguistic research and its mechanisms, the purpose of which is to present an applied model in customary studies, and to read the Qur'anic text from a graphic perspective as a new horizon.

Keywords: Time; Cognitive; Quran; Text.

1. **مقدّمة:** لقد خطت الدّراسات اللّسانيّة خطوات واضحة، وقدّمت أفكارا جديدة حول اللّغة، وبخاصة مع ظهور الدّراسات العرفانية (الإدراكية)؛ فقد شهدت اللّسانيات ثورة في المفاهيم والتّصوّرات، مناهضة بذلك كلّ التّصوّرات المنبثقة عن الدّراسات الوصفيّة السابقة الّتي عرفها العالم، منذ دي سوسير إلى المدرسة البنيوية (التوزيعية) الأمريكية، وفي ضوء هذا النموذج المعرفيّ اللّسانيّ الجديد (اللّسانيات العرفانية cognitive l'inguistics) سيقارب هذا البحث مسألة التّعبير عن فكرة الزّمن في القرآن الكريم سواء من حيث بنيته اللّغويّة أم تصوّره الذّهنيّ، وسيعمل على كشف مختلف التّصوّرات الذّهنيّة للزّمن ودلالاته الخفيّة وآليات فهمه عقليّا بالاستناد إلى الخبرة المعاشة والوعي الجماعيّ وسياقات الاستعمال انطلاقا من مبدأ تمثيل الرّمز اللغّوي للوجود وللمعرفة، وأنّ إدراك الرّمز اللّغويّ عملية ذهنيّة ليست معزولة عن تجارب الذّات وشروط وعيها وموقعها في العالم.

2. **مفهوم العرفان:** يعرف العرفان على أنّه:" هو السّيرورات والإجراءات الذّهنيّة الّتي يقوم بها الدّماغ لاكتساب المعرفة ومعالجتها عن طريق الأفكار والتّجارب والحواس، وهو مترسّخ طبيعيّا في خصائص الدّماغ، مجاوز للوعي والإدراك، وصالح موضوعا للدّراسة العلميّة، وهذه السّيرورات الذّهنيّة من شأنها

أن تستعمل المعرفة الموجودة فعلا، وأن تكتشف معارف جديدة." (وآخرون، 2022).

La Cognition, Ou activité mentale, comprend l'acquisition, le stockage, la transformation et l'utilisation des connaissances comme on peut l'imaginer, la cognition inclut un large éventail de processus mentaux, qu'elle met en œuvre chaque fois qu'une information est reçue, stockée transformée et utilisée. Ce manuel explore divers processus mentaux tels que la perception, la mémoire, l'imagerie mentale, le langage, la résolution des problèmes, le raisonnement et la prise de décision (W.Matlin, 2001) .

فالعرفان عند مالتان هو عبارة عن نشاط عقلي لاكتساب المعرفة وتخزينها وتحويلها واستخدامها، وهو ائتلاف لمجموعة من العمليات العقليّة الّتي ينفذها الدّماغ في كلّ مرّة، يتم من خلالها تلقي المعلومات وتخزينها وتحويلها واستخدامها، وكذا يستكشف منه_ العرفان_ كلّ العمليات العقليّة المختلفة: كالإدراك، الذّاكرة(التّذكر)، الصّور الذّهنيّة، اللّغة، حل المشكلات والاستدلال واتخاذ القرار.

أمّا العرفان في الاشتقاق العربي اللّغوي لا يقصد به مصطلح العرفان في النّظرية العرفانيّة الغربيّة المعاصرة، ففي الاشتقاق اللّغوي العربي قصد به العلم والمعرفة، أمّا في العرفانيات المعاصرة فيقصد به القدرات والعمليات العقليّة الّتي تجتمع بنشاطها العقليّ من أجل اكتساب المعرفة . فالعرفانية الغربية المعاصرة ذات منزع عصبي بيولوجي. في حين العرفان عند العرب فهو ذو طابع روحاني.

إذن هو استعمال للمعرفة لأجل اكتساب معارف جديدة بدراسة علميّة قائمة على القدرة الذّهنيّة الّتي يتميّز بها الدّماغ من تفكير وتخزين للمعلومات، وكذا

التّحكم بها من خلال تجسيدها في اكتساب المعارف الجديدة والطريقة العلميّة لدراستها ومقاربتها.

وممّا لاشكّ فيه أنّ المقاربة العرفانية تكون بذلك قد أحدثت قفزة نوعية في البحث اللّسانيّ، إذ هي ثارت على النّسق والبناء الصّوري للّغة، للبحث عن تمثيل اللّغة للمعرفة والكشف عن آليات إدراك الرّمز اللّغوي، والشروط الّتي تبني تصوّرات ما عنه، كالتّجربة والبيئة والمعارف ورؤيّة العالم والناحية الشّكلية والنّفعيّة ... إلخ.

3. مفهوم الزّمن: لقد أجمعت معظم المعاجم العربيّة أنّ لفظة الزّمان لها دلالات شتّى، منها: البرهة والوقت، والفترة، والفصل، والسّنة، والسّاعة، والمدّة، والدّهر... إلخ، ويسجّل هنا، أنّ الوقت قد يكون مرادفا للزّمان، وقد يكون جزءا محدّدا منه.

1.3 عند اللّغويين القدامى: ذكر سيبويه (ت 180ه) مصطلح الزّمن في موضعين فقط من كتابه في قوله: "صار بمنزلة الوقت في الزّمن" (سيبويه، 1988)، وقصد به معنى الوقت ودلالته على المقدار والكميّة، كما جعل الوقت والأيام والسّاعات جزءا من الزّمن في قوله الثّاني، وهو ما يفيد إلى أنّها مدلولات اعتبرت جزءا من الزّمن ولفظ الزّمن أعمّ منها.

ويوضّح سيبويه مفهوم الزّمن من خلال قوله:" أمّا الأفعال أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء بنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، فأمّا ما مضى فذهب، وسمع ومكث وحمد، وأمّا بناء ما لم يقع، فإنّه كذلك أمرا: اذهب واقتل واضرب، ومعبرا: كقتل، ويذهب ويضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو الكائن" (سيبويه، 1988).

وعليه فسيبويه قدم ثلاثة تعالقات للزّمن على هذا النّحو:

–ربط مفهوم الزّمن بمفهوم الفعل مما استلزم ارتباط الزمن بصيغة الفعل من خلال تقسيمه في قوله: "لما مضى"،" لما يكون"،" ما هو كائن "؛

-ربط مفهوم الزّمن بمفهوم حدث الفعل.

وقصد من اقتران الحدث بالزّمن أن وقت وجود الحدث دون وقت الحديث عنه، وكان الدّليل هو القول.

أمّا ابن يعيش (ت643هـ) فيقول: لمّا كانت الأفعال مساوقة للزّمان، والزّمان من مقومات الأفعال، توجد عند وجوده، وتنعدم عند عدمه، انقسمت بأقسام الزّمان، ولمّا كان الزّمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل، وذلك من قبل أنّ الأزمنة حركات الفلك، فمنها حركة مضت، ومنها حركة لم تأت بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضي والآنية، كانت الأفعال كذلك: ماض ومستقبل وحاضر." (يعيش، 2001).

ومن خلال هذه التّعاريف يخلص الباحث في التّراث اللّغوي العربيّ إلى أنّ النّحاة القدامى قد حذوا حذو سيبويه في تقسيمهم للزّمن على أوجه ثلاثة، بحسب أبنية الفعل وحدّدت صيغة الزّمن على النحو الآتي:

-الماضي: [أمّا بناء الماضي: فذهب وسمع ومكث]، وهو ما قصد به ابن يعيش بالّذي عدم بعد وجوده ويقع الإخبار عنه زمان بعده [زمان بعد وجوده].

-المستقبل: [أمّا بناء ما لم يقع فإنّه قولك أمرا: اذهب واقتل واضرب، ومعبرا: يقتل ويذهب ويضرب]، فهو الزّمان الذي لم يكن له وجود بعد [الإخبار قبل وجوده] .

-الحاضر: [وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت] وهو زمان الوجود [زمن الإخبار].

وهكذا أخذ تقسيم الزّمن التّرتيب: ماض حاضر ومستقبل، وطابق أقسام الفعل.

2.3 الزّمن عند النحاة المحدثين: لقد مُيِّزَ بين مصطلحي الوقت و الزّمن عند تمام حسان فلم يختلف عما قدمه كمال بشر، فقد فرّق بين (الوقت/ الزمن) حيث قسّمه إلى نوعين؛ [الزّمن الفلسفي / الزّمن اللّغوي]، وذلك بجعله الزّمن

الفلسفي مقابلا للمصطلح الإنكليزي (Time)، وجعل الزّمن اللّغوي مقابلا لمصطلح (Tense) عندهم ، ووضّح ذلك بقوله: " وأوضح ما يفرق بين الزّمن والزّمان أنّ الزّمان كمية رياضيّة من كميات التّوقيت تقاس بأطوال معينة، كالثواني والدقائق، والسّاعات، واللّيل، والنّهار، والأيام، والشّهور، والسّنين، والقرون، والدّهور والعقد، والعصور، فلا يدخل الزّمان في تحديد معنى الصّيغ المفردة، ولا في تحديد معنى الصّيغ في السّياق، ولا يرتبط الحدث كما يرتبط الزّمن النّحوي" (تمام، 1973).

وخلاصة لما سبق؛ فإنّ تمام حسان في تفريقه بين المصطلحين جعل الزّمن أداة إجرائية في تحديد صيغ المفردة من خلال السّياق، حيث تعبّر عن الزّمان الوقتي المتمثّل في السّاعات والدّقائق والأيام والشّهور وغيرها، وبهذا قد يساوي بين :

–المصطلح = (Time) الزمن الفلسفي = الزمان.

–أمّا مصطلح (Tense) فهو مقابل للزّمن اللّغوي.

وينوّه كمال رشيد بأهمية السّياق في ضبط الزّمن بقوله: "السّياق هو المسرح الحقيقي الواسع لفهم الزّمن لأنّه تركيب، والتّركيب أدعى لاكتشاف الحقائق اللّغويّة، ومنها الزّمن، من الكلمة المفردة، ذلك لأنّ الكلمة المفردة تعتمد على أصل الوضع، على المعنى المعجمي وليس غير ولا يمكن الذّهاب بها إلى أبعد من ذلك، أمّا السّياق فلابدّ أن يتفاوت النّاس في طرائقهم وإبداعاتهم، ولا بدّ أن تتفاوت الأساليب، وتختلف لاختلاف المقامات "(كمال، 2008).

فالسّياق محدّد للمعنى، وفقا لقرائنه، كونها توجّها إلى الدلّالة، كما توجّه إلى الزّمن المقصود مباشرة وفقا لأساليب المتكلّمين، وعليه يمكن أن يخلص المرء إلى الفرق بين كلٍ من الزمّن الصّيغي (الصّرفي) الّذي هو معنى الصّيغة، والّتي تدلّ على الإفراد، والزّمن النّحويّ (السّياقي) الّذي هو دلالة النّظم من خلال قرائنه الحالية والمقاميّة، والضّابطة لقصد المتكلّم.

3.3 مفهوم الزّمن التّصوري وطبيعته: احتوت الدّراسات السابقة للزّمن – الزّمن في اللّغة العربيّة – على نوعين: زمن صرفي وآخر نحوي، في حين أن دراسة الزّمن في عرف العرفانيين يتعدّى ذلك إلى المستوى الذّهنيّ القائم على زمن دلالي يؤوّل إلى أنساق تصوريّة.

ويحدّد الزّمن (التّصوّري) على أنّه: زمن دلالي يحيل إلى علاقات تؤوّل على مجموعة من الأنساق من قبيل: اللّحظة، المدّة، الحدث، الحركة، والتواتر باعتبارها تصوّرات تترجم في شكل مقولات معجميّة تجعل من فكرنا مبنيّا وفق خطوات تنسجم مع خصوصيّات تجريبيّة ملموسة مع المحيط العام الّذي يشغل الحيز الفضائيّ للإنسان. (الكبير، 2015).

يمكن القول إن الزّمن ذو نسق قائم على نظام تركيبي لغوي أسهم في إدراك البنيّات التمثيليّة، يكشف النّسق التّداولي الثقافي وفق سمات محددة لخصائصه المعرفيّة الدالة عليه.

وقد اقترح بعض دارسي الزّمن في اللّسانيات من منظور عرفاني، ومنهم عبد الكريم الحسيني معايير لأجل الكشف عن البنى المكونة لنسق الزّمن التّصوّري، ومساره التّحليلي، وهي:

أ–معيار المعنى :(Meaning Criterion) :وهو معيار وهدفه معرفة ما إذا كان الاستعمال اللّغويّ داخل السّياق يحيل إلى معنى الزّمن أم لا، إذ يكون السّياق ضروريا للكشف عن معنى الزّمن المنطلق من تصوراتنا.

ب–معيار التّصور :(Concept Criterion) ويقصد به الكيفية التي نتمكن من خلالها من تنظيم التّصوّر ضمن سيرورة منسجمة. حيث يمكن إدراك المدّة من حيث الطول والقصر.

ج–معيار النّحوية :(Grammatical Criterion) هو معيار يعمل على كشف الطّريقة التي يُمعجم من خلالها الزّمن باعتبارها وحدات مشفرة أو مُرَمَّزَة تحتاج إلى فحص نحوي يؤوّلها بناء على حمولتها النّحوية.... من خلال ما هو

تركيبي ودلالي تميز مجموعة من التّصورات المعجميّة الّتي تتكون منها دلالات تصوّراتنا حول الزّمن (الكبير، 2015)، ومن أمثلته: تصوّر المدّة واللّحظة والبرهة...إلخ.

وخلاصة لما سبق؛ فإنّ تضافر المعايير الثلاثة: معيار المعنى، معيار التّصور ومعيار النحويّة يمكّن من الكشف عن العلاقة الرّابطة بين المحتوى الدّلالي والمحتوى النّحوي المساعدين في بلورة تصوّر الزّمن، أي أنّه من خلال فحص الأدلة المتّصلة بالمعنى، ومعالجة التّصوّر الزّمني لها، كونها مرمّزة نحويا، فهذا يمكن من بناء نسق زمني دلالي تفهم من خلاله الطريقة المتصوّر بها الزّمن في اللّغة العربيّة.

4. نماذج عن إدراكية الزّمن في القرآن الكريم: يلعب السّياق دورا جوهريّا في إدراك الدلالة في القرآن الكريم، ومن أضرب السّياق مناسبة السّورة، فالخطاب موجّه للكافرين الّذين يتسألون عن موعد الحساب والبّعث، فنزل الله هذه الآيات الكريمة للكافرين عن يتساءلون ليوم القيامة بذكره لعلاماتها دون تبيان موعدها وليعلموا أنّهم لن يعرفوا متى سيعرضون لعدل الله:

بسم الله الرّحمان الرّحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿1﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿2﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿3﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿4﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿5﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿6﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿7﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿8﴾ ﴾. سورة الزلزلة

يدرك المتلقي من سياق الآيات الكريمة في نص سورة الزّلزلة، والّذي وضع صورة إثبات البعث من خلال الأحداث المسترسلة فيها، وكيفية تصوير مشاهدها، والمتمثّلة في التّهويل بافتتاح الكلام برابط الظرفيّة، والّذي يوجهنا إلى المستقبل من خلال إحالته على زمن فاصل، معروف في ذهن المتلقي وهو الحاضر.

فالمتلقي يدرك زمن البعث من خلال الأفعال الّتي دلّت على زمن الاستقبال كونها سبقت بـ (إذا) الظرفية الّتي بدورها وجهتنا لزمن المستقبل (زلزلت، أخرجت، قال...)، وكذا الظّرف الإشاري الدّال على زمن مطلق في إحالته والمتمثل في (يومئذ) الّذي يمثل النّهار وليله وهو يوم معلوم. وكذلك من خلال تجربة الذّات في الزّمن وموقعها فيه (الآن) الّذي يتحدّد من خلاله المستقبل والماضي. فالآن في السورة بالمقارنة مع المستقبل هو زمن الحياة الدّنيا وزمن الفعل.

ومن حيث المعيار النّحوي يكشف التّركيب عن تصوّرين للزّمن:

ويمكن إدراك الزّمن في السّورة الكريمة لا من حيث صيغ الأفعال والإحالة الظرفيّة فقط ، بل بالتّصور الاستعاريّ للتّسلسل الزّمني وفق مقاربة (إيفانس فيفيان/ Vyvyan Evans) حيث قال: "إنّ النّسق الزّمني عند الإنسان بني تصوّريا وفق نقطتيّ التقاء، التقاء الذات بالحدث لتؤسس الإحالة المبنية على التحرك للذات، أو نقطة التقاء الزّمن بالذات لتؤسّس الإحالة المبنية على تحرّك الزّمن، إلاّ أنّ هذا الالتقاء لا يمكن أن يتم إلاّ من زاوية وجود سيرورة زمنيّة تفترض في الزّمن أن يكون ذا بعد خطيّ تسلسلي، الأمر الّذي كان سببا في الدّفع بنموذج معرفي نموذج (التّسلسل الزّمني)" (الكبير، 2015).

إنّه وإن كانت السوّرة تشير إلى لحظة زمنيّة مستقبلية غير معلومة إلاّ من خلال بعض الحوادث المتوالية الّتي تسمها، إلاّ أنّ بؤرة الحديث ترتكز على زمن الحاضر باعتباره زمن الفعل (يعمل)، وهنا تتشكّل علاقة جديدة بين المستقبل (يوم الزلزلة) و (يوم الحساب/ يوم البعث والنشور) والحاضر (يعمل) هي علاقة زمنيّة نفسيّة استذكارية للماضي بسعادة أو ندم.

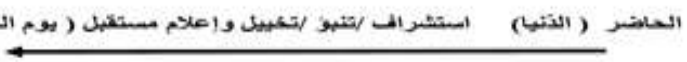

زمن نفسي (فرح (خيرا) / ندم (شرا)

وممّا لاشكّ فيه أنّ نموذج التّسلسل الزّمني – هنا –هو تصوّر الأحداث، وفق وحدات متسلسلة ومتتالية، تعود مرجعيتها للذّات في إدراكها لزّمن مطلق، يربط تلك الأحداث من الماضي إلى المستقبل في ذاكرتنا، والمخطط التّالي يوضح ذلك التّرابط:

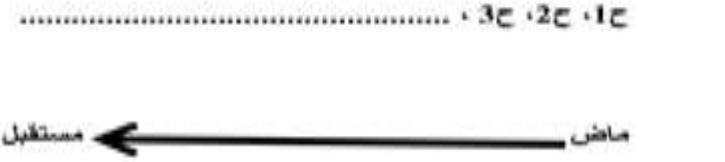

والملاحظ من خلال النّموذج السّابق أنّ الزّمن يمتاز بالحركية يشتغل وفق سيرورة ترابطية للأحداث، سيرورة حيل وتوجّه الذّهن الى المستقبل أي زمن البعث غير المعلوم بدابة من (إذا زلزلت، أخرجت، قال، يومئذ، تحدث...)، وكلّ هذه الأحداث تجعلنا ندرك صورة سيرورتها في الذّاكرة، والمخطط الآتي يوضحها:

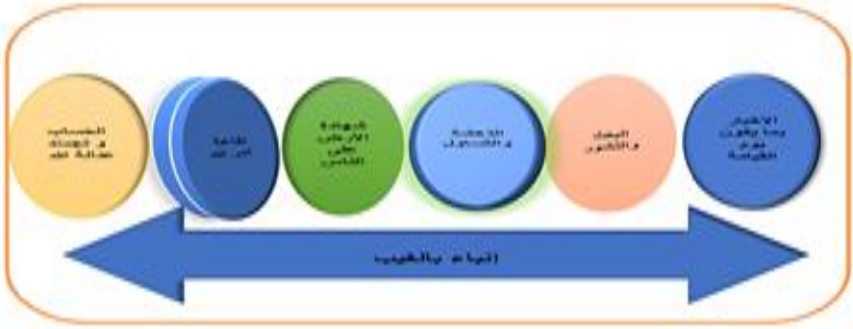

وعلى نحو آخر فيه تظهر الفضاءات الذّهنيّة أيضا:

الذّات

الـزّمن الـدّنيوي (المـألوف	تخييـل	زمــن أخــروي غريــب
فضــاء ذهنــي (رتابــة)		فضــاء ذهنــي (غرابــة)
معقــــــــــــــول	مقـارنـة	غيــــــر معقــــــول
حركيـة زمنيـة متغيّـرة		دهشـــة حيــرة فضـــاء
فضــــــاءالعمل(أخلاقيا)		الحساب
فضاء حرّية الفعل (قانونيا)		فضاء ما يترتب عنه
فضــاء الفعــل (عدالــة)		فضاء الجزاء
فضاء الامتحان (اجتماعيا		فضــــاء النجــــاح أو
/ نفسيا)		الخيبة
الوجود كقيمة (الفعل)		وجود مفرغ من القيمة.

كما اشتغلت الرّوابط في عملية إدراك سيرورة الأحداث وتسلسلها من خلال تحكمها في توجيه المتلقي للآيات الكريمة إلى مسار تأويلي استنتاجي للأحداث، فالرّوابط إذا- ونظّمت الأحداث وفق مسار اتجاهي يراوح التّقدم الى الأمام من أجل إبراز المعنى وفق سياق الآيات وترتيبها في السّورة، فهي مؤشر زمنيّ له سمة اتجاهية تدفع المتلقي لإدراك زمن المستقبل والمتمثل في الصورة المجسّدة ليوم البعث والاخبار عنه ثمّ الجزاء.

ويمكن إدراك الزّمن من خلال ما هو متحكّم في واقعنا وتجاربنا اليومية، وذلك عن طريق السّلوكات، والاخلاق، بخطاطة الميزان، فهذه الأخيرة تعمل على جانب عقلي يساعد الفرد على تمثيل بنيات من خلال تصرّفاته، وربطها وفق حركة زمنيّة، مما يؤدي إلى التوازن، وهذا التّوازن يمكن إسقاطه على ممارسات الحياة منها: الأخلاقية، العاطفية، القضائية...الخ، ويمكن تمثيله بإسقاط استعاري يظهر في التوازن النسقي البسيكولوجي، والتوازن في الجدال العقلي، والتوازن القانوني أو الأخلاقي...الخ. (البوعمراني، 2009).

ففي الآيات الكريمة (6-7-8) ندرك خطاطة الميزان من خلال التوازن القانوني المتمثل في مبادئ الشريعة (الخير/ الشر)، فالخير ميزانه الأعمال الصالحة والشّر ميزانها عدالة الأعمال السيئة، وبهذه الخطاطة يدرك المتلقي الصورة التمثيلية لزمن عدالة الله وجزاؤه للكافرين يوم القيامة.

بسم الله الرّحمان الرّحيم

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿1﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿2﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿3﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿4﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿5﴾﴾ سورة الانشقاق.

الملاحظ للنّسق الزّمني في الآيات الكريمة، من منظور جورج لايكوف في كتابه (الاستعارة الّتي نحيا بها) يمكنه إدراك الزّمن عن طريق استعارة الأحداث والّتي قصد بها: "أنّ أفضل النّظريات التّفسيريّة الموجودة تنظر إلى النّسق البيولوجي على أنّه يملك أنساقا حاسوبيّة تمكن من منسقة تفكيرنا وفق ممارسات اجتماعية معقّدة مرتبطة بالخيال، وبالأنساق الاستعارية والرّمزيّة بشكل عام، الشّيء الّذي يساعدنا على تأويل الظواهر اللّغوية وفق ما نملكه من ملكات تفسيريّة وتأويليّة كبيرتين، لذلك فإنّ أيّ تصوّر زمني لابد وأن يكون ذا قيمة رمزيّة تؤشر إلى حدث...الحدث باعتباره نقطة زمنيّة مرجعيّة. "(الكبير، 2015).

فالتّصميم الاستعاري للأحداث هو محدّد النّسق الزّمني حيث ندرك من خلاله النصّ وتأويله، بداية ممّا هو لغوي وإسقاط مضامينه الجديدة، أيّ أنّ السياق يجعلنا نتصوّر الحدث أنّه نقطة وصول نهائية أو إحالية وفق خطّ زمني.

والأحداث الزّمنيّة الّتي تغيّرت دلالتها (اقتربت، انشقّ، إن يروا، يعرضوا، يقولوا، كذّبوا، اتّبعوا...) من زمن إلى آخر والّتي غلب عليها زمن الحال لأنّ المخاطب (الله سبحانه) بصدد الإخبار عن أوان الساعة حاملة النقطة المرجعيّة للحدث في سؤال المكذّبين أن يريهم صحة ما جاء به محمد – صلّى الله عليه وسلّم– وصدقه وحجّة الله عزّ وجلّ عليهم، فمن السياق ندرك توالي الأحداث في نسق زمني لا يخلو من زمن تصوّري ومرجعيّة للأحداث في تبيان أوان السّاعة، وأنّ أمر الله أعظم من طغيانهم (المكذبون) ولا برهان لهم بعد ما جاء به الرّسل و أمر:

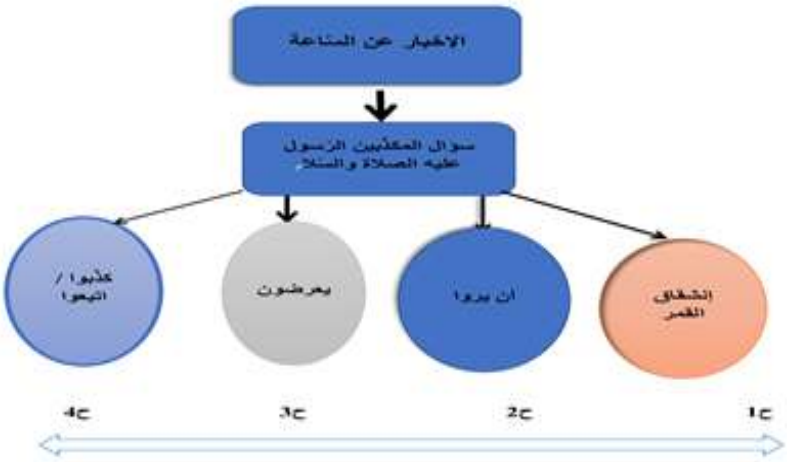

مخطط يوضح النسق الزّمني التصوّري للأحداث

5. خاتمة: يضلّ القرآن الكريم بحرا في أسراره، ويظلّ يمثّل دوما عند الباحثين–لاسيّما العرب– مصدر فضول في البحث والتّجريب، ولم يتوقف الدّارسون العرب في تجريب ما انتهت إليه أفكار البلاغة العربية قديما ومناهج البحث اللّساني المعاصر ومقولاته وآلياته، وهذه المقالة صورة عن هذا الفضول في قراءة النّص القرآني في إحدى موضوعاته ، وهي الزّمن، وهي فكرة جوهرية في حياة المسلم من جهة، وقضية من صلب عقيدته أيضا، وقد سعى المقال إلى تتبّع مختلف آليات إدراك الزمن في النص القرآني من منظور اللّسانيات العرفانية، وخلص العمل إلى بعض النتائج منها:

– القرآن الكريم نصّ مفتوح الدّلالة، يسمح بمقاربته من زوايا مختلفة، وتجريب كلّ المناهج العلمية قديمها وحديثها؛

– اللّسانيات العرفانية تخصّص بيني معاصر، له مقولاته وأدواته التي تمكّنه من فتح أفق جديد لقراءة النّص القرآني؛

– الزّمن في القرآن الكريم كلفظ لم يرد، ولكنّه يغدّ عصب إدراك القرآن الكريم لانّه ذو صلة بعقيدة المسلم؛

– إدراك الزّمن في القرآن الكريم يعتمد على معيار النّحوية ومعيار التّصور؛

– تصور الزّمن في القرآن تتدخّل فيه فضاءات عقدية وسيكولوجية وسلوكية وفلكية؛

– تصور الزّمن في القرآن الكريم يعتمد على نقطة الحاضر كنقطة تحوّل في حياة المرء.

6- قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

المراجع العربية:

1. ابن يعيش. الشرح المفصل للزمخشري (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.(2001). ص 207.

2. أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه. الكتاب (الإصدار ط3). بيروت، لبنان: دار عالم الكتب.(1988).ص 36.

3. الحسني عبد الكبير. البنيات الدّلالية للزمن في اللّغة العربيّة (من اللّغة الى الذّهن) (الإصدار ط1). عمان، الأردن: دار كنوز المعرفة.(2015).ص (7-8-25-26-29-218-220)

4. حسان تمام. اللّغة العربيّة معناها ومبناها (الإصدار ط1). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.(1973).ص 242.

5. رشيد كمال. الزمن النحوي في اللّغة العربية. عمان، الاردن: دار الثقافة.(2008).ص 56.

6. فالسي.ك وآخرون. في الثقافة والعرفان والتّداول مقاربة بينيّة (الإصدار ط1). (ثروت مرسي وطعمة محمّد عبد الرحمان، المترجمون) عمان، الأردن: دار كنوز المعرفة.(2022).ص(10-11).

7. محمّد الصالح البوعمراني. دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني (الإصدار ط1). صفاقس، تونس: دار نهى.(2009).ص 97.

المراجع الأجنبية:

❖ W.Matlin, M. (2001). *Lacognition une introduction à la psychologie cognition* (éd. 4ed). Lyon2: De boeck université.(2001).p17.

8. الهوامش

1. فالسي ك وآخرون، في الثّقافة والعرفان والتّداول مقاربة بينّية، ترجمة: ثروت مرسي وطعمة محمّد عبد الرحمان، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2022.ص10، ص11.

2. Margaret. W. Matlin, La cognition,une introduction à la psychologie cognition .de boeck université.lyon2.(4ed).2001.p17.

3. أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تر: هارون عبد السلام، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1988.ص36.

4. نفسه، ص 12.

5. ابن يعيش، الشرح المفصل للزمخشري، تر: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.ص207.

6. حسان تمام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1973.ص 242.

7. رشيد كمال، الزّمن النحوي في اللّغة العربيّة، دار الثقافة، عمان، الأردن، دط، 2008.ص56.

8. الحسني عبد الكبير، البنيّات الدّلاليّة للزّمن في اللّغة العربيّة (من اللّغة إلى الذّهن)، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 07، ص 08.

9. نفسه، ص 25، ص26، ص 29.

10. الحسني عبد الكبير، البنيّات الدلاليّة للزّمن في اللّغة العربيّة (من اللّغة إلى الذّهن)، مرجع سابق، ص220.

11. محمّد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية تطبيقيّة في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2009.ص97.

12. الحسني عبد الكبير، البنيّات الدلاليّة للزّمن في اللّغة العربيّة (من اللّغة إلى الذّهن)، مرجع سابق، ص 218.

أثر السياق في تحديد معاني الخبر والطلب في كلام العرب "كتاب الصاحبي لابن فارس" نموذجا

The effect of context in determining the meanings of predicate and request in Arab speech, "The Book of Al-Sahbi by Ibn Faris"

أ. ربيعة شلقي♥

أ. مفتاح بن عروس♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-027-001-007 DOI

تاريخ الاستلام: 31-07-2024 تاريخ القبـول: 12-12-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يؤدي السياق دورا محوريا في تفاعل أطراف الخطاب ويربط بنيته بغية تحليلها وفهمها، وعناصر السياق هي المتكلم والمتلقي والمقام، وهي تتشاكل مع بنية النص لتمكنه من توجيه دلالته؛ واهتمت علوم اللغة العربية بالسياق في مؤلفات البلاغة العربية القديمة، فعلم المعاني يكشف أثره الهام في تصنيف أوجه الكلام من خبر وإنشاء، وقد اعتنى العالم اللغوي "ابن فارس" في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة العربية" في البيان عن تَجَاذُب ظاهرة السياق أثناء دراسة نظم لغة القرآن واعجاز معانيه، فأضافت هذه الدراسة مباحث بلاغية نصية منها حال المتكلم ومقام الكلام ومقتضى الحال ولكل مقام مقال وغيرها. ومن أجل ذلك يطرح هذا المقال الإشكالية التالية: "ما دور السياق في البنية اللغوية، وكيف يتفاعل السياق مع الأدوات البلاغية في تصنيف الكلام وتوجيه المعاني"؟

كلمات مفتاحيّة: السياق؛ المعاني؛ الخبر؛ الطلب.

♥ جامعة الجزائر 2.

البريد الإلكتروني: rabiaachelgui@gmail.com (المؤلّف المرسل).

♥ جامعة عمار ثليجي الأغواط.

البريد الإلكتروني: abousoundous02@yahoo.fr.

Résumé: Le contexte joue un rôle central dans l'interaction des parties du discours et qu'il relie sa structure textuelle pour l'analyser et le comprendre. Le linguiste arabe ancien Ibn Faris dans son livre "As-Sahibi dans la jurisprudence de la langue arabe" a prêté attention à l'interaction de contexte en étudiant les systèmes de la langue de Coran et ses significations. cet article soulève ce problème: "Quel est le rôle du contexte dans la structure linguistique et comment interagit-il avec les instruments rhétoriques dans la classification de la parole et la direction des significations"?

Keywords: contexte; significations; reporting; demande.

1. **مقدّمة:** اعتنى اللغويون والنحاة والبلاغيون في القديم بتأسيس قوانين تضبط اللسان العربي وفي الاستعمال والبنية بالفحص والتمحيص فاهتموا بدراسة اللفظ والمعنى ونظم اللغة العربية، بمؤلفات قيمة كثيرة لعلمائها، فراحوا يفسرون المفاهيم ويضعون المصطلحات اللغوية التي أثرت اللغة العربية في مستوى التركيب والاستعمال، بإثراء الجانب الأدبي من جماليات وفنيات النص وكذا الجانب اللغوي في الاهتمام بالعناصر التي تحددها على مستوى البنية والدلالة ومن جملة أهم الأسس التي ترتكز عليها البلاغة العربية في علم المعاني وفي تحديد تواصلية اللغة في بنيتها اللسانية او في استعمالاتها ضمن تواصليتها أبان عن الأثر العميق لمفهوم السياق في تراكيب الخبر والإنشاء في علم المعاني وهذا ما لا يغفله متعلم ولا باحث، ومنه تهدف هذه الدراسة الى وصف واستقراء ظاهرة السياق بين الدرس اللساني والبلاغة العربية لابن فارس في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" نموذجا.

2. مفهوم السياق:

2. 1. لغة: يرجع مفهوم السياق في اللغة الى مادة سوق عند ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حذو الشيء يقال ساق يسوق ساقه سوقا ويقال:" سُقتُ الى امرأتي صداقها "، واسقته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق عليها من كل شيء. والجمع أسواق".[1] (ابن فارس، 1972).

وفي لسان العرب لابن منظور: "ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت... وفي حديث أم معبد: "فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق، أي ما تتابع".[2] (ابن منظور).

وكما ذكر في المعجم المحيط معناه: "ساق الحديث سرده وسلسله وساوقه: تابعه وسايره وجاراه. وتساوقت الماشية ونحوها: تتابعت وتزاحمت في السير وتساوق الشيئان: تسايرا أو تقارنا أو ترافقا... وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه".[3] (الفيروز أبادي، 2005).

وفي أساس البلاغة للزمخشري: "ساق النعم فانساقت، وولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد، بعضهم في إثر بعض ليس بينهم جارية".[4] (الزمخشري 1998).

نستنتج من سابق ما ذكرناه أن معنى السياق في استخدامه لتبيان مفهوم التتابع والسير والتسلسل والنظم في شرح عبارة سياق الموضوع أو سياق الجملة أو سياق العبارة وكذا.

2. 2. اصطلاحا: إن مفهوم السياق اصطلاحا يتمايز انطلاقا من مقاربتين الأولى لسانية حديثة والثانية بلاغية قديمة.

فقد ورد في قاموس السيمائيات أن السياق: "هو مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة وتتعلق بها الدلالة، حيث يمكن له أن يكون صريحا لسانيا، أو يمكن أن يكون ضمنيا، ويتميز في هذه الحالة بأنه سياق خارج لساني أو مقامي"[5] (A. J. Greimas, J. Courtès, 54).

نتج عن ارتباط مفهوم السياق ببنية النص الداخلية نوع يسمى السياق اللساني أي البنية الداخلية الكلية للنص الخاصة بمجموع المكونات الصوتية والصرفية والتركيبية التي تتداخل وتنتظم لتشكيل الجمل في النص، بما يسمى بنسيج النص. كما جاء عند بينفنيست في نظرية التلفظ.

كما حدده رومان جاكوبسون بالمرجع (le réfèrent)، وهو ما يعني أن الوظيفة المرجعية للغة تحيل على السياق الذي يمكن أن دلالة كلها بل بقيمتها أو ب يكون لسانيا أو ما فوق لساني.[6] (Roman Jakobson, 213).

وأشارت الدراسات التي قام بها جورج مونان، وبريكل، ودُبْوَا، أنَّ السياق اللساني يصف مجموعة من العلامات الشكلية المحيطة بالوحدة اللسانية التي لا تفشي بالدلالة كلها بل بقيمتها وموقعها الخاص بالنسبة لعلاقتها بالوحدات الأخرى داخل النظام اللساني الكلي.[7] (Claude Germain, 1981).

كما نجده في تعريف آخر "هو مجموعة العناصر المقالية أو اللفظية للحدث اللغوي."[8] (عبد القادر عبد الجليل، 2006).

فإنها تحقق التركيب والنظم بمراعاة مواقع الكلمات داخله. ولقد توسع المعنى متجاوزا حدود الجملة الى النص ليشمل المقطع كله والنص كاملا وكذا الكتاب كله.

فإنّ أثر السياق يصل الى تشاكل بنية النص الداخلية والخارجية، ما يسمى في النظرية السياقية بالتمام السياقي (contextuel completeness) فهو يتعدى الى تفسير المحذوف منه بالاعتبار الدلالي داخل الجمل النصية أو من الفهم العام لبنيته. ومن بين الظواهر اللغوية التي انبثقت من السياق اللساني ظاهرة التغير الدلالي للكلمة في البنية اللغوية، فينتج منها انتقال دلالي وتغيرات على مستويات المعنى[9] (إبراهيم محمود خليل، 1990).

وللسياق اللساني عناصر لسانية تتشكل داخليا في بنية اللغة بداية من السياق الصوتي: ويتشكل من توالي الأصوات وتكرارها أو تراتبيتها ضمن الكلمات والجمل

على المستوى الوظيفي الدلالي داخل البنية النصية كظاهرة النبر والتنغيم وكذا الوقف والابتداء والمقطع.[10] (عبد المنعم خليل، 2007) وغيرها من الظواهر الصوتية التي لها الأثر السياقي في تحديد دلالات الكلمات في الجملة وفي البنية النصية.

أما عن العنصر الثاني فهو السياق المعجمي: وهو يتشكل من خلال توالي وتتابع الدلالات للكلمة في الوحدة اللغوية سواء داخل بينة الجملة أم النص وفق المحور الأفقي الذي تتفاعل فيه جميع العناصر اللسانية. ليحدد الدلالة المعينة للوحدة اللغوية.[11] (عبد القادر عبد الجليل، 2002).

والعنصر الثالث هو السياق النحوي للوحدة اللغوية: إذ تتأثر الكلمات بالوظيفة النحوية الإسنادية من خلال القرائن السياقية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص. كالإعراب والاشتقاق.

والعنصر الرابع هو السياق الأسلوبي: يبرز هذا النوع من السياق في النصوص الشعرية والنثرية أكثر من اللغة العادية لما يمتلكه من قوة النسج وقوة التوالد الدلالي، لأنه ملك الفرد لذاته. فنتج عنه الظواهر الأسلوبية كالمجاز والاستعارة وغيرها.[12] (عبد القادر عبد الجليل، 2002).

أما العنصر الخامس فهو السياق النصي: وهو تشاكل البينة اللغوية للوحدة اللسانية للنص بجملة من شبكة العلاقات التركيبية الداخلية المكونة لها بظاهرتي الاتساق والانسجام ضمن الإشاريات الشخصية والزمانية وفي نحو الجملة أو النص. فيتعلق تحديدا بنسيج الخطاب وفي استمرار الدلالة من علاقات الجمل التي نرصدها وفق علاقات الإحالة والاستبدال والحذف، والتماسك المعجمي وغيرها. فأفرز مستويات للتحليل: جملي، عبر جملي، فوق جملي.[13] (ماري آن بافو، جورج إليا سيرفاني، 2012).

وقد ساعد في الحصول على آليات جديدة للتحليل مثل: الأشكال النصية والأنماط الخطابية، والتدرج الموضوعاتي لدراسة بنية النص والخطاب. والإعلان عن نظريات نصية وخطابية جديدة.

أما المفهوم الثاني لمصطلح السياق غير اللساني: أو ما يسمى بسياق المقام أو خارج اللساني فقد تعددت تعريفاته، فمنهم من ضمَّن المفهوم الطرح التداولي الذي اعتنى درسه بالاستعمال وتواصلية اللغة مع مستعمليها بالاهتمام بالمتكلم والمتلقي والخطاب، فقدموا السياق المقامي بالتداولي أي خارج بنية النص الداخلية وشرحوا مفهومه بجملة الظروف والملابسات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط بالإنتاج الكلامي للنص ومنهم من عرفه أنه جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي وهو مكمل للسياق اللساني. وله عناصر يتشكل منها وهي:

المتكلم: هو محور العملية التواصلية وما يميزه من صفات وسلوكيات نفسية وانفعالات وعادات وطباع تؤثر على فحوى الكلام. إنّ الحضور الفعلي للمتكلم تعين على فهم الحدث اللغوي بل التعرف على كل صفات المتكلم، ذلك انّ لكل متحدث معجمه الخاص ومفرداته التي يتألق معها.

المخاطَب: المتلقي وهو الذي يقوم بعملية تحليل الدلالات السياقية لفهم المعنى الضمني للكلام وتحديد نوع الرسالة داخل وخارج السياق المقامي لبنيته ويكون على توافق مع المتكلم في فهم دلالات الكلام المقصود في تطابق العادات والصفات العرفية للغة. وقد أولت الدارسات اللسانية الحديثة الانتقال من الاهتمام في دراستها بالمبدع والنص الى الاهتمام بالقارئ والمتلقي. وظهور نظرية القراءة والتلقي.

المقام الموقف الكلامي Contestation : هو مناسبة الموضوع للحالة أو الوضع الذي يقال فيه الكلام كالفرح والحزن والتكريم والاعتذار وغيرها. ولابد من سبب ورود الكلام ومناسبته واتّباع أثره على المتلقي.

ويرى جاليسون وكوست أن المقام هو مجموعة شروط إنتاج القول وهي الشروط الخارجية عن القول ذاته، والقول هو وليد أصل معني، يستمد وجوده من شخصية المتكلم، ومستمعه أو مستمعيه، ويحصل ذلك في الوسط؛ المكان اللحظة، التي يحصل فيها وهذه العوامل كلها المؤشرة على إنجاز القول التي تشكل المقام.[14] (الطيب دبة، 2019).

الموضوع المحدث عنه: يعتبر هو الخطاب او الرسالة التي تضم بنية الكلام المعبر عنه بالطريقة التي تفسر سبب انتاجه فمنه الصريح ومنه الضمني. قد تختلف الأنماط اللغوية باختلاف الموضوعات التي تدور حولها ويعبر عنها الحديث. فيعكس دور المتخاطبين واحوالهم زمن سياق التخاطب.[15] (محمد بدري عبد الجليل، 2003).

الزمان والمكان: يعتبر زمن النص عنصرا هاما في تحديد المعنى، خاصة بالنسبة للنصوص المكتوبة.

إن معرفة الزمان والمكان يرتبط بالبعد الاجتماعي والثقافي للأطراف في الموقف التواصلي وعلاقته بموضوع المتكلم والكشف عن الاتجاه الخطابي للمتلقي وتضم عدة عناصر منها: توزيع الأطراف وتدرج الدلالات في البنية النصية.[16] (حسام أحمد قاسم، 2007).

كما أن الزمان والمكان يمثلان المقام الذي يفرض على كل من طرفي الاتصال احترام المعرفة المشتركة للغة في الخطابات الشفوية والمكتوبة على حد سواء.

ونخلص مما سبق ذكره بيان تصور مفهوم السياق في نحو الجملة ونحو النص لدى التعرف على خطاطة التواصل عند رومان جاكبسون أولا، ثم اورشيوني بعده في إبراز البعد التلفظي السياقي للملفوظ.[17] (ماري آن بافو، جورج إليا سيرفاني، 2012).

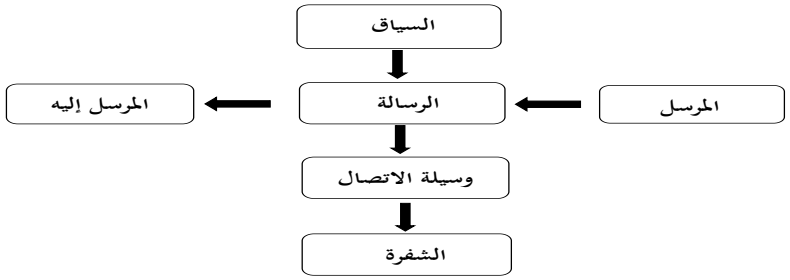

الشكل1: خطاطة جاكوبسون للتواصل

وعملت آن أورشيوني على تعديل النموذج اللساني بإدخال الكفاية الخارج لسانية (المقام التواصلي) أي المتكلم أو ما سمته الذات المنتجة للملفوظ ثم وضعت خطاطة أخرى مقابلها:

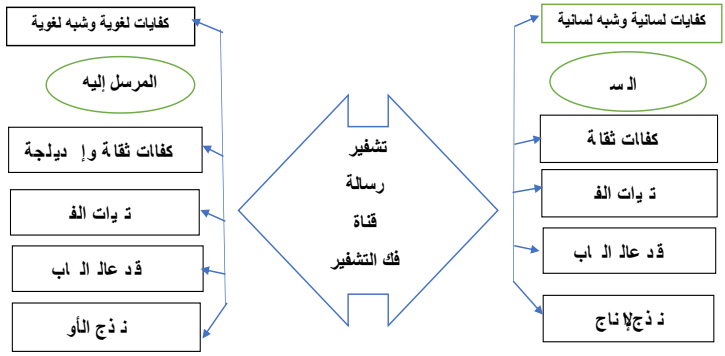

الشكل 2: إعادة صياغة مخطط جاكوبسون للتواصل من طرف أورشيوني

3. ظاهرة السياق في علوم البلاغة: تصور المفهوم وأثر الوظيفة في علم المعاني: لطالما كان الخطاب القرآني محط اهتمام الدارسين المحدثين وعلماء اللغة قديما منذ نزوله حفظا وتدوينا ورسما ودراسة لقراءاته وأحكامه، والبحث عن مظاهر الإعجاز اللغوي والبلاغي فيه، فاهتموا بدراسة اللغة العربية بالاستقراء وسبر أغوارها لفهم دلالات ومعاني القران الكريم في بنيته الكلية والجزئية فاحتاجوا في فهمه إلى أصول وقواعد وقوانين تضبط اللسان بالاستنباط الصحيح لمعاني النص القرآني، فكان السياق له الأثر البالغ في تحديد دلالات البنية النصية.

ينقل الجاحظ في البيان والتبيين تعريفا للبلاغة فيقول: وقال بعضهم –وهو من احسن ما اجتبيناه ودوناه–لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظَه ولفظُه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك".[18] (الجاحظ، 1968) فيقصد هنا الجاحظ في هذا التعريف حسن الصياغة مع تحري المعاني الشريفة في اللغة.

كما يعرفها أبو هلال العسكري: " بأنها كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[19] (العسكري 1958) فأساس البلاغة عند العسكري لا يقوم على المعنى وحده بل على حسن اللفظ أيضا.

إذن فالبلاغة تقوم على الجمع بين المعنى والجانب الجمالي للكلام والتوسع في معرفة وجوه استعمال اللغة العربية والعلم بفاخر الألفاظ ومتخيرها ومعرفة المقامات وما يصلح في كل واحد منها من الكلام. فالمقام عند البلاغيين مقياس من مقاييس البلاغة والنقد فقولهم إن جوهر البلاغة هي: (لكل مقام مقال).

فبلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال ويشير إلى هذا الجاحظ في قوله: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".[20] (الجاحظ، 1968).

كما يبرزه السكاكي قائلا: " ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال".[21] (السكاكي، 1987).

ومن وجوه مطابقة الكلام لمقتضى الحال وجوب تحري الموضوع المتحدث عنه واختيار ما يلائمه من ألفاظ فقد ذكر ذلك الجاحظ في قوله: "فإن كان

الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم والى تلك الألفاظ أميل".[22] (الجاحظ، 1968).

ففكرة المقام في البلاغة تشمل المتكلم والسامع والخطاب ومطابقته لما يقتضيه حالهم جميعا.

كما لم يغفل الجاحظ الإشارة إلى السياق اللغوي في حديثه على أصناف الدلالات في قوله : "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحالة التي تسمى نِصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصِّر عن تلك الدلالات، و لكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، و حلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار و الضار، وعما يكون منها لغوا و بهرجا وساقطا مُطَّرَحا."[23] (الجاحظ، 1968).

وأبان عن قيمة الصوت وسياق تآلفه في الكلمة وبينة النص ودوره في اللفظ والتأليف فيقول: "والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلاّ بالتقطيع والتأليف."[24] (الجاحظ، 1968).

فيظهر أن الجاحظ تكلم عن السياق وقد ربطه بالصناعة اللفظية في حديثه عن اللفظ والإشارة والصوت والحال.

قال الخطابي في تعريفه للفصاحة أو النظم في القول: "يقوم الكلام على ثلاثة أشياء: لفظ حامل ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم."[25] (الخطابي، 1976).

لقد اعتنت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني بالسياق في عدة مواضع منها، وفي تعريفه للنظم، قوله: "ليس النظم إلا توخي معاني النحو وأحكامه

ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم".[26] (عبد القاهر الجرجاني، 1366 هـ) فأشار الى ضرورة رعاية وظيفة السياق النحوي في الجملة وأثره في العلاقة الإسنادية التي تبين دلالة الالفاظ.

وينظر السكاكي الى علم المعاني: "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[27]. (السكاكي، 1987) فهنا يشير العسكري الى عنصرين في تعريفه، تراكيب الكلام ومقتضى الحال.

وأشار الجرجاني الى ظاهرة التماسك السياقي للنص: (السبك) قائلا:" أَنَّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها ببعض. وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس، ولننظر الى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة بسبب صاحبتها، ما معناه وما محصوله؟ وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد الى اسم فتجعله فاعلا أو مفعولا، أو تعمد الى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الاخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه."[28] (عبد القاهر الجرجاني، 1366هـ) فهنا يتضح لنا أن الجرجاني جعل التماسك النصي شرطا أساسيا للبلاغة.

وفي التأكيد على الدلالة الوظيفية للسياق في التركيب النصي. وفي موضع آخر يشير إلى ما سبق بقوله: "ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل."[29] (عبد القاهر الجرجاني، 1366هـ).

فلا يمكن إغفال دور علماء النحو، فهم الأوائل الذين فتحوا باب البحث في الظواهر النصية، ولم يقتصر اهتمامهم بالنحو فقط، إذ لم يكتفوا في كتبهم بدراسة إسناد الألفاظ وإعرابها، بل تجاوزوا ذلك إلى فهم تعالج النحو والبلاغة وأوجه الكلام.

ويشير الصفدي إلى "إنّ نحو المتقدمين غالبه معان وبيان، مثل الرُّماني ابي علي الفارسي وابن جني على تأخر زمانهم. وأكثر ما دوّن في علم المعني قد استنبط من كتبهم الى ان جاء بها الامام عبد القاهر الجرجاني فجمعها ودوَّنها ورتَّبها فصار علما قائما بذاته".[30] (الصفدي، 1971).

ويشير ابن خلدون إلى تعريف علم المعاني فيقول: "هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهومن العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده"؛ ثم يضيف قائلا: "فإن كلامهم واسع، ولكل مقام عندهم مقال تختص به بعد الإعراب والإبانة".[31] (ابن خلدون، 2001).

وكتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس يحمل بين جانبيه مسائل لغوية وأدوات بلاغية هامة. ونشير هنا إلى علم هام من علوم البلاغة في باب علم المعاني. فنجد أن أهم مباحثه وأصوله مدروس في كتاب الصاحبي لابن فارس.

وهو ما جاء به باب معاني الكلام، وفيه يخصه بالأساليب البلاغية فيقول: "وهي عند بعض أهل العلم عشرة: خبر واستخبار، أمر، نهي، دعاء وطلب وعرض وتحضيض وتمن وتعجب.[32] (ابن فارس، 1993).

فنلاحظه يبين أغراض الكلام من تراكيب الجملة في النص بإفادة سياق المعاني داخله من ذلك يمثل فيقول: "فهذا باب الخبر، فأما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنّه إعلام تقول: (أخبرته، أخبره)، والخبر هو العلم".[33] (ابن فارس، 1993).

الفائدة هنا أنه أبرز دور السياق في توجيه دلالة الخطاب النصية بين المتكلم والمتلقي.

ويبرز في موضع آخر دور المتكلم من الموقف الكلامي في إبانة معنى الكلام فيقول: "وأهل النظر يقولون؛ الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم، نحو" قام زيد".[34] (ابن فارس، 1993).

يشير ابن فارس في تفسير الخبر بإبراز عملية نقل الدلالات اللفظية من المتكلم الى السامع في تركيب الجملة الخبرية وكيف يتم توجيه الدلالة التي تصل السامع في النص بواسطة سياق المعنى الذي لازمه زمن التركيب وتزامنه مع لحظة وصوله اليه.

فالسياق اللغوي تحدده الألفاظ المرتبة بالعلاقات الإسنادية النحوية داخل الخبر بالإبانة عن معانيه في قوله: "إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم".[35] (ابن فارس، 1993) فيقع الأمر على سياق الحال والموقف معا في تحديد الخبر.

ويضرب بعدة بأمثلة عن الخبر في قوله:" ثم يكون واجبا وجائزا وممتنعا".[36] (ابن فارس، 1993) وهنا يشير الى أضرب الخبر، بتحديد دلالة الجملة الخبرية بين المتكلم والسامع الى موقف الاثبات والتوكيد والانكار من المتلقي. وهو يعطي للمتكلم والسامع وظيفة مقامية في تحديد دلالة الخبر بما يسمى مقتضى الحال في البلاغة والسياق غير اللساني أو سياق الموقف عند اللسانين.

وهنا يعرض حديثه عن الخبر فيوسع احتمالات الخبر فيقول: "والمعاني التي يحتملها لفظ الخبر كثيرة فمنها: "التعجب نحو: "ما أحسن زيدا"، والتمني: "وددتك عندنا"، والإنكار: "ما له علي حق"، والنفي: "لا بأس عليك"، والتعظيم: "سبحان الله"، والدّعاء: "عفا الله عنه"، والوعد في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾، سورة فصلت الآية 52. والوعيد في قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. سورة الشعراء الآية 226. والإنكار والتبكيت نحو قوله:﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.[37] سورة الدخان الآية 46. (ابن فارس، 1993) وغيرها من مواضع الإبانة عن تفسير الخبر وما يحمله من معاني ودلالات ثم يرجع الى الخبر فيفسر قوله تعالى في دلالات الآيات الكريمة من معاني جمعتها دلالة تراكيب الالفاظ في السياق اللغوي للعلاقات الاسنادية والبلاغية فيذكر هنا: "وربما كان اللفظ خبرا والمعنى شرط وجزاء، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ

عَائِدُونَ﴾ سورة الدخان الآية 15. فظاهره خبر، والمعنى إن نكشف عنكم العذاب تعودوا."[38] (ابن فارس، 1993) فهنا شرط لجواب شرط لازم معنى الخبر. من قضاء وجزاء.

ثم يمر بنا ابن فارس إلى الإشارة الى مخالفة الكلام لمقتضى الظاهر من المباحث البلاغية التي أثرت فهم معاني توجيه السياق لدلالات الجمل في البنية النصية الكلية والجزئية. وهي ما تسمى القرائن اللفظية والحالية؛ المقامية بالسابق والعائد في بنية التلفظ والملفوظ في مبحث الإشاريات.

أما في باب الاستخبار فيقول: الاستخبار طلب خُبر ما ليس عند المُسْتَخْبِرِ وهو الاستفهام. وهناك من فرَّق بين الاستخبَار والاستفهَام، فربما بين الحالتين فرق، لأنك تستخبر فتجاب بشيء فتفهمه أو لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم، تقول: أفهمني ما قلته لي. والدليل على ذلك أنَّ الله تعالى يوصف بالخُبْر فهو "الخبير" أي "العليم" ولا يوصف بالفهم[39]. (ابن فارس، 1993).

فيفسر وجوه معاني الاستخبار والاستفهام وما يكون عليهما من أغراض بلاغية أخرى تنتج عن تظافر عناصر السياق مع الحمولات الدلالية داخل صياغة وتراكيب الجمل النصية في قوله: "ويكون استخبارا في اللفظ والمعنى تعجب نحو ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ سورة الواقعة الآية 8".[40] (ابن فارس، 1993) أي أن ظاهر الصياغة النحوية للجملة هو الاستخبار والمعنى أي الغرض الذي يشير اليه أو يخرجه هو التعجب. وتفسير هذا الوجه هو الوظيفة النحوية للحرف "ما" والتي وجهت دلالة المعنى في تعالقها مع كلمة "أصحاب" للدلالة على صيغة التعجب (ما أفعله) ونحوها. بالنسبة لما سبقها وما يلحقها من معاني الكلمات داخل السياق اللغوي للجملة وحتى المقامي يستدعيه في توجيه مسار التخاطب من المتكلم الى السامع حسب ما تقتضيه العبارة اللغوية.

والملمح الثاني في وجوه تعدد دلالات الاستخبار في سياق الجملة في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾. سورة الأحقاف الآية 19. فيشير هنا إلى أن الاستخبار

يخرج الى التوبيخ.[41] (ابن فارس، 1993) فالدلالة تتوالد عن تظافر جملة من محددات عناصر السياق خارج اللغة وهنا يتشاكل الزمن والمكان والموقف فيفرزان دلالة التوبيخ للقوم المخاطبين من الله تعالى في الحياة الدنيا بما يسمى بالمشيرات المقامية أو السياقية.

وأشار أيضا إلى الاستخبار بمعنى التقرير في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾. سورة الأعراف الآية 172.[42] (ابن فارس، 1993) فظاهر اللفظ استخبار والمعنى الذي يقصد به من النفي هو الإقرار من اللفظ فظاهره استفهام ونفي والقصد به الإثبات والتقرير. فهو مخالف ظاهر مقتضى الكلام.

وبالمقابل، قد يكون الاستخبار بمعنى الإنكار فيما يخالف اللفظ معناه في قوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. سورة الأعراف الآية 27."[43] (ابن فارس، 1993).

وفي باب الاستفهام: يوظف حرف الاستفهام الهمزة، والقصد منه الجزاء، في قوله تعالى: ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾. سورة الأنبياء الآية 34. وهنا يأتي التأويل في الحكم على المقصود منه: "أفهم خالدون إن مت؟".[44] (ابن فارس، 1993) والاستفهام بالهمزة على حال أو وضع طبيعي للإنسان يولد ليعيش ثم يموت. فالتذكير بالموت والجزاء بعده. وابن فارس هنا يفسر مقام الخطاب وأحوال المخاطبين.

في باب الأمر يقول: "الأمر عند العرب –ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصيا ويكون بلفظ (افْعَلْ) و(ولِيَفْعَلْ) نحو: ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ سورة الأنعام الآية 72، وأيضا ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ﴾ سورة المائدة الآية 47.[45] (ابن فارس، 1993).

أما من المعاني التي يحتملها لفظ الأمر: فأن يكون أمرا، والمعنى مسألة بقصد أن يقال لفظ أريد به غير ظاهر معناه والدلالة كقولك (اللهم اغفر لي).

والوجه الثاني الذي يخرج منه لفظ الأمر الى تولد دلالة الوعيد في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ﴾ سورة فصلت الآية 40.[46] (ابن فارس، 1993).

فظاهر معنى الفعل اعملوا زمن الأمر أما في سياق تركيبه فهو يدل على قصد الوعيد والتذكير بعقوبتهم والإنذار في فعل الأمر، ومنه يكون تمام المعنى بالعقاب والعذاب في السياق المقامي لحال الذين يخاطبهم الله تعالى في هذا الموقف الكلامي.

كما رأى أن ابن فارس يرى أن العرب لا تفرق بين أثر دلالة الأمر والنهي في الكلام في قوله: "غير أن العادة بمن أمر خادمه بسقيه ماء فلم يفعل فأن خادمه عاصٍ وأن الآخر معصي، كما لو أنه نهى خادمه عن الكلام لا فرق بينهم في ذلك بين الأمر والنهي".[47] (ابن فارس، 1993) فالأثر واحد لعلة واحدة جامعة بين السياق المقامي للحالتين التي جمعت بين المتخاطبين بشروط معينة في زمان ومكان محدد.

وعلى وجه آخر نظر إليه بدلالة العرض والتحضيض على أشكال عديدة في قوله تعالى: ﴿أَنِ ايْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ﴾ سورة الشعراء الآيتان 9-10.[48] (ابن فارس، 1993).

وهذا بدلالة لفظ الأمر (إئت) تصريحا بالأمر بالتقوى لقوم فرعون مع دلالة العموم على وجه الخصوص به نجد سياق الموقف الذي يوجهنا الى قصد المعنى: الحث والإصرار الى دعوته ولقائه لإنذاره بالتقوى والاستقامة.

وفيه يشير الى التعجب فيقول إن دلالته صريحة بما يطابق لفظه معناه من سياق الحال والموقف الذي يفسرانه ومن ذلك إشارته في قوله: (ما أحسن زيدا) فالتعجب هو تفضيل شخص على شخص في وصف حاله أو غيره على أضرب ومما يشير إلى التعجب قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ سورة البقرة الآية 175. فإنّ معنى الكلام (ما الذي صبرهم)، أو بمعنى ما أصبرهم عليها، ما أجرأهم عليها[49]. (ابن فارس، 1993).

وفي باب الخطاب يعرف ابن فارس أثر الإعراب في توجيه المعاني وأغراض المتكلم فيقول فأما الإعراب فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين ويضرب مثالا بقوله: "فلو أنّ قائلا قال (ما أحسنْ زيدْ)، غير معرب، و(ضرب عمرْ زيد)، غير معرب، لم يقف على مراده، فإذا قال: (ما أحسنَ زيدًا) أو (ما أحسنَ زيدُ).[50] (ابن فارس، 1993).

فالقائل أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده وندرك هنا أن الجملة بعد إعرابها اتضح منها تَشكُّلُ أغراض كلامية هي النفي والتعجب والاستفهام. فالعرب تفرّق بالإعراب المعاني والدلالات التي تدل عليها الألفاظ في سياق بنيتها وتواليها داخل الجملة النحوية. ويقول ابن فارس في موضوع آخر مبرزا أن الإعراب من الأمور التي اختص بها العرب: "الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام".[51] (ابن فارس، 1993).

وهو نفسه ما ذهب اليه الجرجاني من بعده في قوله إنَّ النظم هو توخي معاني النحو في اللغة والعمل على قوانينه وأصوله ومعرفة مناهجه.[52] فالمعاني تجمع بين النحو والبلاغة للبحث في دلالة سياق المقال والمقام والحال في بنية اللغة والنص القرآني تحديدا.

ولقد حدد ابن فارس ثلاثة مراتب للمعنى في باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء. فيقول إن مرجعها إلى ثلاثة هي المعنى والتفسير والتأويل، ويورد في باب المعنى الى أنه يقصد به الشيء الذي يفيده اللفظ، ثم ينتقل الى المرتبة الثانية للمعنى وهي التفسير أي البيان والتفصيل، أما المرتبة الثالثة فهي للتأويل أي آخر الأمر وعاقبته.

وفي هذا أبرز لنا عدة أمثلة توضيحية:

- في المعنى: قال في شرحه للمعنى هو القصد من قولنا عنيت الكلام، أي قصدته. ومنه فالمعنى هو الشيء الذي يفيده اللفظ كما يقال.

- التفسير: وفيه استشهد بقول العباس في قوله تعالى:" ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ سورة الفرقان الآية 33. بمعنى تفصيلا والخليل يرجعه الى دلالة البيان.
- التأويل: دلالة آخر الأمر وما يعود عليه مستقبلا لذلك قالوا آل، مآل، تأويل: غاية الكلام ومراده أي عاقبته. في قوله تعالى:" ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ سورة آل عمران الآية 7. والقصد الآجال والمدد يعلمها الله تعالى ومآل الأمر وعاقبته الى الله تعالى. [53] (ابن فارس، 1993)

فالمعنى يعبر عن الكلمة في ظاهر تركيبها في الجملة، ثم يأتي التفسير الذي يوجه فيه السياق دلالة اللفظ والعبارة اللغوية، ثم التأويل إلى مقاصد وغايات المتكلم وفهم المخاطب له بالتقريب بينهما في المعاني والدلالة.

فهنا لا تكون الألفاظ وحدها ما يصنع المعنى، وإنما الذي يصرفها الى معناها ويحدده هو سياق تركيبها بتواليها وترتيبها بنمط وشكل معين داخل العبارة اللغوية أو الجمل. وهو ما شرحه ابن فارس وأوضحه في عدة أبواب في الكتاب وما ذهب اليه الخطابي في رأيه: "الكلام يقوم على ثلاثة أشياء: لفظ حامل ومعنى قائم ورباط لهما ناظم".[54]

4. خاتمة: وهكذا وصلنا إلى تحديد مفهوم السياق بين اللسانيات والبلاغة العربية باستنباط الأثر العميق للسياق عند تحديد المعاني داخل وخارج العبارة اللغوية، وتصنيف أشكال الكلام من خبر وطلب، والتدقيق في دلالات الألفاظ في البينة النصية بوضوح أكثر للمعاني.

5. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية

1. ابراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، كلية الدراسات العليا، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، د ط، 1990.

2. حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، القاهرة، دار الأوقاف العربية، ط 1، 2007.

3. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ط 1، 1993.

4. أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، ط 3، 1967.

5. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، نصرة الثائر على المثل السائر، تح: محمد علي سلطاني، دمشق، مجمع اللغة العربية بدمشق، د ط، 1971.

6. الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية (دراسة تحليلية ابستمولوجية)، الأغواط، مطبعة رويغي، ط 2، 2019.

7. عبد الرحمن بن خلدون، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، د ط، 2001.

8. عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عمان، دار صفاء، د ط، 2002.

9. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة (نظم التحكم وقواعد البيانات)، عمان، دار صفاء، ط 1، 2002.

10. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (في علم المعاني)، تح: محمد رشيد رضا، القاهرة، دار المنار، ط 3، 1366هـ.

11. عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، الاسكندرية، دار الوفاء، ط 1، 2007.

12. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج 1، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 7، 1998.

13. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998.

14. ماري آن بافو، جورج إليا سرفاني، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2012.

15. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تح محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005.

16. محمد بدري عبد الجليل، تصور المقام في البلاغة العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2003.

17. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، د ط، د س ن.

18. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: محمد علي البجاوي، أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1952.

19. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1987.

المراجع باللغة الأجنبية

1. A. J. Greimas, J Courtès, Sémiotique (dictionnaire raisonqné de la théorie du langage, Paris, classique Hachette, 6eme ed.
2. Claude Germain, La sématique fonctionnelle, Paris, Presses universitaire de France, 1ere ed, 1981.
3. Roman Jakobson, Essaie de linguistique générale, Paris, les editions de Minuit, 1963.

8. هوامش:

[1] أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 3، بيروت، دار الفكر، د ط، د س، ص: 117.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، د ط، د س ن، ص-ص: 2153-2154.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تح محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005. ص-ص: 895-896.

[4] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج 1، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998، ص-ص: 484-485.

[5] A. J. Greimas, J Courtès, Sémiotique (dictionnaire raisonqné de la théorie du langage, Paris, classique Hachette, 6eme ed, p : 54.

[6] Roman Jakobson, Essaie de linguistique générale, Paris, les editions de Minuit, 1963 p: 213.

[7] Claude Germain, La sématique fonctionnelle, Paris, Presses universitaire de France, 1ere ed, 1981. p-p : 179-180.

[8] عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة (نظم التحكم وقواعد البيانات)، عمان، دار صفاء، ط 1، 2002، ص 542.

[9] ابراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، كلية الدراسات العليا، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، د ط، 1990، ص-ص: 37-38.

[10] ينظر: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، الاسكندرية، دار الوفاء، ط 1، 2007، ص: 67.

[11] ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عمان، دار صفاء، د ط، 2002، ص: 214.

[12] المرجع نفسه، ص: 215.

[13] ينظر: ماري آن بافو، جورج إليا سرفاني، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2012، ص–ص: 216–314.

[14] ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية (دراسة تحليلية ابستمولوجية)، الأغواط، مطبعة رويغي، ط 2، 2019، ص: 203.

[15] ينظر محمد بدري عبد الجليل، تصور المقام في البلاغة العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2003، ص 36.

[16] ينظر: حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، القاهرة، دار الأوقاف العربية، ط 1، 2007، ص 354.

[17] ماري آن بافو، جورج إليا سيرفاني، مرجع سبق ذكره، ص–ص: 285–286.

[18] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج 1، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 7، 1998، ص: 115.

[19] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: محمد علي البجاوي، أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1952، ص: 10.

[20] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مرجع سبق ذكره، ص–ص: 138–139.

[21] أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1987، ص: 168.

[22] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مرجع سبق ذكره، ص: 139.

[23] المرجع نفسه، ص: 76.

[24] المرجع نفسه، ص: 79.

[25] أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تج: خلف الله أحمد محمد زغلول، القاهرة، دار المعارف، 1976، ط 3، ص 26.

[26] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجار (في علم المعاني)، تح: محمد رشيد رضا، القاهرة، دار المنار، ط 3، 1366، ص: 403.

[27] السكاكي، مرجع سبق ذكره، ص: 161.

[28] عبد القاهر الجرجاني، مرجع سبق ذكره، ص: 55.

[29] المرجع نفسه، ص: 49.

[30] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، نصرة الثائر على المثل السائر، تح: محمد علي سلطاني، دمشق، مجمع اللغة العربية بدمشق، د ط، 1971، ص: 281.

[31] عبد الرحمن بن خلدون، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، د ط، 2001، ص؛ ص: 759؛ 960.

[32] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ط 1، 1993، ص:183.

[33] المصدر نفسه، ص: 183.

[34]المصدر نفسه، ص: 183.

[35] المصدر نفسه، ص: 183.

[36] المصدر نفسه، ص: 183.

[37] المصدر نفسه، ص–ص: 183 – 184.

[38] المصدر نفسه، ص: 184.

[39] ينظر المصدر نفسه، ص: 186.

[40] المصدر نفسه، ص: 186.

[41] ينظر: المصدر نفسه، ص: 186.

[42] المصدر نفسه، ص: 187.

[43] المصدر نفس، ص: 187.

[44] ينظر: المصدر نفسه، ص: 189.

[45] المصدر نفسه، ص: 190.

[46] ينظر: المصدر نفسه، ص: 190.

[47] المصدر نفسه، ص: 192.

[48] ينظر: المصدر نفسه، ص: 193.

[49] ينظر: المصدر نفسه، ص: 194.

[50] ينظر: المصدر نفسه، ص: 196.

[51] المصدر نفسه، ص: 57.

[52] ينظر: عبد القاهر الجرجاني مرجع سبق ذكره، ص: 64.

[53] ينظر: ابن فارس، ص – ص: 198 – 199.

[54] أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، ط 3، 1967، ص: 27.

نحو مقاربة صوتية لتعليم الصرف في مرحلة التعليم المتوسط (الفعل الأجوف نموذجا)

Towards a phonetic approach to teaching morphology in intermediate education

ط.د. راشدي حميدة♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-001-008

تاريخ الاستلام: 31-10-2024 تاريخ القبـول: 01-12-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يعد علم الصرف من أدق العلوم نظرا لارتباطه الشديد بعلم الأصوات، فأغلب المسائل الصرفية تعلل صرفيا ولا يمكن دراستها بمنأى عن التفسير الصوتي، لذا فإن تعليمه لا بد أن يستند إلى خلفية صوتيّة حتى لا يتسم بالغموض.

ففي مقابل طرائق التعليم المعتمدة على المنهج الوصفي بحجة التيسير على المتعلّمين، هناك دعوة لتدريس الصرف انطلاقا من التحليل المقطعي وتحت ضوء القوانين الصوتية ممّا يكسبه الصفة العلميّة بدلا من تقديمه مادة للحفظ والتطبيق الآليّ فيصبح مادة جافة لا تسهم في تنميّة ذكاء الطفل، فإذا كان الهدف من التعليم هو التدريب على التفكير وتمرين العقول على القيام بالعمليّات الفكريّة المعتمدة على الاستنتاج والمنطق، فإنّه من الأجدر أن يكون تعليم الصرف معتمدا أساسا على تعليل الظواهر صوتيّا...

كلمات مفتاحيّة: الصرف؛ التحليل المقطعي؛ القوانين الصوتية؛ التعليل.

♥ جامعة الجزائر 2.

البريد الإلكتروني: hamida.rachedi@univ-alger2.dz (المؤلّف المرسل).

Abstract: Morphology is regarded as one of the most intricate linguistic sciences due to its close relationship with phonology. Most morphological issues are explained through phonological analysis, making it challenging for researchers to study them independently of phonological interpretation. Therefore, the teaching of morphology must be grounded in a phonological framework to prevent ambiguity and difficulty. In contrast to traditional descriptive teaching methods, there is a call for teaching morphology through syllabic analysis and in light of phonological principles, which lends it scientific rigor rather than presenting it as mere material for memorization and mechanical application. Such an approach risks rendering morphology a dry subject that fails to foster intelligence. Since the goal of education is to develop critical thinking and train minds in logical reasoning and inference, it is more fitting to teach morphology

Keywords: Morphology; phonology; analysis; syllable.

1. مقدّمة: لقد حرص النحويون على تعليل الظواهر اللغوية لاسيما الصرفية منها بل وبالغوا في ذلك ممّا أدّى إلى تعقيده وصعوبة تعلّمه (عصيدة، فادي، 2016ص 67) فجاء من يدعو إلى تيسيره باتباع المنهج الوصفي، وهو ما طبق فعلا في المناهج الدراسية في مختلف المستويات التعليميّة، إلاّ أن الواقع الميداني أثبت عدم جدوى المنهج الوصفي أيضا. وقد ذهب الكثير من الباحثين إلى اعتماد المنهج الصوتي في تفسير الظواهر الصرفية لكونه المنهج الذي يعالج اللغة من داخلها، فالمنهج الصوتي بمعطياته العلمية منهج يعنى بالظاهرة من خلال السماع (أحمد صفاء، 2015، صفحة 188).

فما هي الطريقة المثلى لتعليم الصرف في مرحلة التعليم المتوسط؟ وللإجابة عن هذه الإشكاليّة سأقدم بديلا عن الطريقة المتبعة في تعليم الصرف في

مرحلة التعليم المتوسط فقد يصبح فهمه أيسر إذا ما عللت ظواهره من خلال تحليلها صوتيا، وسيكون لتدريب المتعلمين على استيعاب القوانين الصوتية نتيجة إيجابية لفهم آلية التصريف في اللغة العربية ويمكن للمفهوم الصرفي وهو مفهوم علمي دقيق، أن يقدم للمتعلم بطريقة علمية على غرار المفاهيم الرياضيّة. وقد اتبعت في هذا المقال المنهج الوصفي، التحليلي والمقارن.

2. مستويات التمثل عند المتعلم في مرحلة التعليم المتوسط:

2. 1. مرحلة التعليم المتوسط تعد مرحلة التعليم المتوسط المرحلة الوسطى من سلّم التعليم، بحيث يسبقه التعليم الابتدائي ويتلوه التعليم الثانوي، وفي هذه المرحلة العمريّة يكون المتعلّم قادرا على إدراك المفاهيم المجرّدة، وعلى التعليل والموازنة والاستنباط (إبراهيم، 1976، صفحة 215).

2. 2. مستويات التمثل عند المتعلم في مرحلة التعليم المتوسط: في هذه المرحلة يتمكن المتعلّم من إدراك الشيء في صورته التجريدية، كما يمكنه إنجاز العمليات المركبة. وتحل الرموز في هذه المرحلة محل الأفعال الحركية، وبالتالي يكون المتعلم قادرا على حل المعادلات الرياضية الرمزية، ويتمكن من جمع المعرفة وتخزينها واستدعائها عند الحاجة (بن يحبى؛ حناش، 2008 صفحة: 26-28-29).

وعلم الصرف هو علم دقيق يعتمد على أسس علمية بحتة، فبإمكان الباحث فيه أن يعلّل جميع التغييرات الطارئة على الكلمة بدقة متناهية معتمدا في ذلك على معطيات ثابتة يمكن تعميمها، وقد اعتمد العلماء قديما وحديثا على تعليل الظواهر الصرفية من خلال ظاهرتي التماثل والتخالف، لذا فإنّ المفاهيم المتعلّقة بعلم الصرف هي مفاهيم علميّة يمكن أن تدرّس بالمقاربة نفسها التي تدرّس بها المفاهيم الرياضيّة، وذلك بضبط المفاهيم الصوتية الصرفية وتكييفها لتكون ميسرة لكل من المعلّم والمتعلّم، فيخضع المعلّم لتكوين يمكنّه من تعميق مكتسباته القبلية المتعلّقة بالظواهر المراد تعليمها وتزويده بطرائق تعليمها

فالمفاهيم الصرفية الصوتية هي مفاهيم دقيقة لا يمكن أن تعلّم إلا من قبل معلّم ملم بأدّق تفاصيلها ومزوّد بطرائق وأساليب تجعل من تعليمها أمرا يسيرا.

3. واقع تعليم الصرف في مرحلة التعليم المتوسط:

3. 1. أهم المفاهيم الصرفيّة المتعلقة بالإعلال والإبدال المقررة في السنة الثانية من التعليم المتوسط كما وردت في منهاج الجيل الأول (جبيلي مريبعي، جابري، فيلالي، 2008-2009، صفحة: 12-56):

3.1.1. الفعل المعتل: هو كل فعل أحد أحرفه الأصلية حرف علة وحروف العلة هي الواو والألف والياء، ولا يوجد في الكتب المدرسيّة سواء المتعلقة بالجيلين الأوّل والثاني أم كتب التعليم الأساسي أيّ تعريف لحروف العلّة بينما نجده في كتاب السنة الأولى متوسط الأسبق (بن تريدي، أيت عبد السلام 2003-2004، صفحة60) كما يلي: هو ما كان أحد حروفه الأصلية أو اثنان منها حرف علة.

3. 1. 2 . مفهوم الميزان الصرفي: فاء وعين ولام الفعل مذكورة بغير شرح ولا تذكير. ولم تخصص له حصة، بينما نجده في الكتب المدرسية السابقة؛ هو مقابلة حروف الألفاظ المنصرفة من أسماء وأفعال بحروف مادة (فعل)... (بن تريدي، أيت عبد السلام 2003-2004، صفحة 13).

3. 1. 3. مفهوم الإعلال: ظاهرة الإعلال هي ظاهرة من أدق الظواهر الصرفيّة في اللّغة العربيّة، ولكن لا وجود لهذا المصطلح في المقررات الدراسيّة وإن وجدت الظواهر الصرفيّة المنتميّة له كحذف حرف العلة وانقلابه إلى أصله (هيشور، مغزي، غرمول، زرقان، بوضياف، قلاتي، بوريجي، لعمش، 2017 صفحة 43-58-93)، في دروس إسناد المثال والأجوف والناقص إلى الضمائر.

3. 1. 4 مفهوم المقطع الصوتي: المفاهيم المتعلّقة بالمقطع الصوتي غير واردة في المناهج.

3. 1. 5 مفهوم القوانين الصوتيّة: غير واردة في مقررات مناهج الجيل الثاني، بينما نجد إشارة لها في مقررات الجيل الأوّل؛ في حين نجدها واردة في مقررات التعليم الأساسي كتعليل حذف حروف العلة لاجتماع الساكنين (حروش، كابويا، عبلاوي، أقسوح، 2003-2004 صفحة81).

3. 2. الأجوف في المناهج المتعاقبة للتعليم المتوسط: بمقارنة أهداف الدرس في المناهج الثلاثة؛ منهاج التعليم الأساسي القائم على المقاربة بالأهداف ومنهاج التعليم المتوسط القائم على المقاربة بالكفاءات للجيل الأوّل والجيل الثاني نلاحظ فرقا شاسعا يشبه السقوط الحر فمن درس غني جدا إلى درجة المبالغة إلى درس شبه مفرغ من محتواه، ويمكن أن يلخص ذلك في الجدول التالي:

أهداف الدرس في التعليم الأساسي	الكفاءات المستهدفة في منهاج الجيل الأول	الكفاءات المستهدفة في منهاج الجيل الثاني
يتعرف المتعلم على الفعل الأجوف يميز بينه وبين بقية الأفعال المعتلة يصرفه مع جميع الضمائر في الماضي والمضارع والأمر والمضارع المجزوم والمنصوب. يعرف نوعي الأجوف وأصل حرف العلة.	يتعرف على الفعل الأجوف. يميز بينه وبين بقية الأفعال المعتلة. يصرفه مع جميع الضمائر في الماضي والمضارع والأمر والمضارع المجزوم والمنصوب.	يتعرف على الفعل الأجوف. يميّز بينه وبين بقية الأفعال المعتلة. يصرفه مع جميع الضمائر في الماضي والمضارع والأمر. يدرك مواطن حذف حرف العلة

يـدرك مـواطن حـذف حرف العلة. يعلـل حـذف حـرف العلة يضـبط حركـة فـاء الفعـل فـي الفعـل الأجـوف (الضـم أو الكسر) مع التعليل. يتعـرّف علـى مفـاهيم القـوانين الصـرفية (القلـب والحـذف والنقـل) يوظـف معارفه.	يدرك مواطن حذف حرف العلة يعلل حذف حرف العلة. يضبط حركة فاء الفعل في الفعل الأجوف (الضم أو الكسر). يوظف معارفه	

والسؤال الذي يطرح بعد ملاحظة كم التعلمات المحذوفة من الدرس: هل يعد هذا الأمر تخفيفا؟ وهل يكون التخفيف بإفراغ الدرس من محتواه؟

3. 3 . أهم المفاهيم التي يجب أن تدرج في المناهج

3. 3. 1. الإعلال والإبدال في الفعل الأجوف:

قبل التطرق للإبدال والإعلال لا بد من الإشارة إلى أن هذه التغييرات تصيب حروف العلّة، لذا وجب على المعلّم أن يدرج ضمن تعلّماته وكفاءاته المستهدفة ؛ التعرف على حروف العلّة من خلال خصائصها حتى يتسنى للمتعلّم الفهم الجيد لهذه الظواهر، فحروف العلّة حروف ضعيفة خاصة الواو والياء، وفي هذا يقول ابن جني: "ولو لم يعلم تمكن هذه الحروف في الضعف إلاّ بتسميتهم إيّاها حروف العلّة لكان كافيّا وذلك أنّها في أقوى أحوالها ضعيفة"

ويضيف أن الياء والواو يتبعان ما قبلهما أو حسب تعبيره ما هو منهما (ابن جني، ج2 ص 291).

ولا يتعرض الأجوف إلا للإعلال وله ثلاث صور:

أ. **الإعلال بالقلب:** بقلب الياء والواو ألفا، ويتم ذلك بشروط أهمها:

- أن تحرك الواو والياء؛
- أن تكون الحركة أصلية؛
- أن يفتح ما قبلهما؛
- أن تتصل الفتحة وحرف العلّة في كلمة واحدة؛
- أن يتحرك ما قبلهما إن كانتا عينين.

وقد اكتملت الشروط في كل من قام وباع واستقام واستباع، والأصل: قوم بيع، واستقوم واستبيع.

ب. الإعلال بالتسكين أو النقل: بنقل حركة حرف العلّة المتحرك إلى الحرف الصحيح الساكن قبله، نحو يقْوُل يقُول ويبْيِع يبِيع.

نام ينْوَم ينَام.

ج. الإعلال بالحذف: يحذف حرف العلة في الأجوف إذا كان آخره ساكنا وذلك منعا لالتقاء السّاكنين، نحو: قم، كن قلت، لم يمل.

3. 3. 2. التمييز بين الصوائت والصوامت وأشباه الصوائت ومعرفة مخارج الأصوات وصفاتها: تعد هذه المفاهيم مفاهيم أساسيّة في تعلّم القراءة بصفة عامة وقراءة القرآن الكريم بصفة خاصة لذا فإنّ الأطفال الذين ارتادوا المدارس القرآنيّة هم أكثر المتعلّمين تحكّما فيها.

3. 3. 3. التعرّف على القوانين الصوتية: ومن أهمّها المماثلة والمخالفة ويجب أن ييسر المفهومان حتى يتسنى للمتعلّم في هذه المرحلة استيعابهما وذلك بإعادة صياغة تعريفهما والتخلص من التشعبات التي تؤدي إلى تعقيدهما وحصر الأمثلة فيما يحتاجه المتعلّم.

أ. **المماثلة:** تتأثر الأصوات المتقاربة والمتماثلة في المخرج أو الصفة فيما بينها هادفة إلى التماثل لتحقيق الانسجام الصوتي (أنيس، 1999، صفحة 145)، ومن أهم مظاهره في اللغة العربية: الابدال القياسي في صيغة افتعل في الأفعال التي تكون فاؤها دالا أو ذالا أو زايا أو أحد أصوات الإطباق فصياغة افتعل من دعا أصلها ادتعى فاجتمع صوتان الأوّل مجهور والثاني مهموس فتأثر الثاني بالأوّل وانقلب إلى صوت مجهور مثله فأصبح ادّعى ويسمّى هذا التّأثر بالتّأثر التّقدّمي. لأنّ الثاني تأثر بالأوّل (أنيس 1999صفحة 147).

أما النوع الثاني فهو التّأثر الرجعي والذي يتأثر فيه الصوت الأوّل بالصّوت الثاني وهذا حين تكون فاء افتعل أحد أصوات الإطباق نحو اضترب التي أصبحت اضطرب. واصتبر التي أصبحت اصطبر (أنيس،1999 صفحة147-148).

من صور المماثلة بين الحركات:

- **المماثلة بين الصوامت والحركات:** وهو تأثير الصوامت في الحركات عن طريق تحويلها إلى حركة مماثلة لطبيعتها، وتأثير الحركات في الصوامت عن طريق تعديل مخارجها والتأثير في صفاتها، فصوت الفتحة مثلا يفخم بعد الأصوات المفخمة في الصاد والضاد والطاء والظاء، وتكون بين التفخيم والترقيق مع القاف والخاء والغين، وتكون مرققة مع بقية الأصوات.

نشأة بعض المزدوجات اللفظية: وهذا نتيجة لمماثلة الحركة لشبه الحركة بعدها، نحو قُدوة وقِدوة ونُسوة ونِسوة فنشأت فُعلة إلى جانب فِعلة لمماثلة الضمة للواو. كما

- نشأت فِعلة إلى جانب فُعلة في مُدية ومِدية وكُدية وكِدية لمماثلة الكسرة للياء.
- **المماثلة بين أشباه الصوامت:** ومن أمثلتها كلمة سيّد وأصلها سيْوِد

سوِد ⟵ سيْوِد ⟵ سيْيِد ⟵ سيِّد

يدخل الإدغام ضمن المماثلة ويعرف بأنه إدخال حرف في حرف آخر من جنسه، حيث يصيران حرفا واحدا، مشددا، نحو مرر مرّ، أو مقارب له في المخرج نحو: ادتعى ⟵ ادّعى.

أو الإتيان بحرفين أحدهما ساكن والآخر متحرك من مخرج واحد دون أن يكون فاصل بينهما ثم إدراج الساكن الأول في الثاني المتحرك.

ولا يكون الإدغام فقط بين المتقاربين بل يتعداهما إلى المتقاربين في الكلمة الواحدة أو الكلمتين، (سيبيويه، الكتاب، باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد، صفحات: 445-459).

أ. **المخالفة:** وهي عكس المماثلة ويتم فيها المخالفة بين الصوتين المتماثلين، وهي ظاهرة شائعة في اللّغات السّاميّة.

وهو قانون يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة (الشايب ،2004، صفحة 297) المعروفة في اللاتينية باسم liquida وهي اللام الميم النون والراء.

والمخالفة هي ضد المماثلة فإذا عمدت المماثلة إلى التقريب بين المتخالفين فالمخالفة تعمد إلى التفريق بين الأمثال والمتقاربات لتسهيل عملية النطق وتيسيرها واقتصادا للجهد.

وتتم المخالفة في اللغة العربية بين الأصوات المتماثلة والمتقاربة في الحالات التالية:

- **المخالفة بين الصوامت:** وتتم بطريقتين بالحذف أو بالزيادة؛

– **المخالفة بالحذف بين الأمثال**

➢ **في بداية الكلمة حذف إحدى الهمزتين في الفعل المضارع المزيد بهمزة (أفْعَلُ):** نحو أكرم ⟵ أُ أُ كرم ⟵ أكرم.

فالعربية تلزم حذف إحدى الهمزتين إذا التقيتا في مقطعين متواليين وفي هذا يقول سبويه:" فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا." (الكتاب سيبويه ج ص) وهذا لثقل النطق بهما معا.

حذف الفاء في بداية صيغة تتفعّل وتتفاعل وتتفعلل: ومن أمثلتها تلظّى وأصلها تتلظّي؛ تـتلظّى ⟵ تلظّى.

وحذف نون الوقاية من النواسخ، نحو: إنّـنِـي ⟵ إنّي.

-**المخالفة بالحذف بين المتقاربات:** إذا اجتمعت الأصوات المتقاربة في سياق واحد في اللغة العربية سعت العربية للتخلص من أحدهما إماّ بالإدغام أو بالقلب أو بالحذف، ومن أمثلتها:

حذف التاء من استطاع: استـطاع ⟵اسطاع.

-**المخالفة بالحذف وتحقيق حركة المحذوف:** متى اجتمعت واوان في اللغة العربية تحذف الأولى وتعوض بالهمزة، ويؤكد ابن جني هذا الكلام قائلا:" إذا التقت واوان في أوّل الكلمة، لم يكن من همز الأولى بدّ."، وهذا نحو: وواق ⟵ أ + واق⟵ أواق.

- **المخالفة بين المثلين بالحذف والتعويض بمد حركة الصامت الأوّل:**

في بناء أفعل من الأسماء المهموزة الفاء: أأْدم ⟵أ+ادم ⟵آدم.

في المضارع من الفعل المهموز الفاء:

أخذ ⟵أأخذ ⟵ أاخذ ⟵ آخذ.

أؤمن ⟵ أومن.

إإمان ⟵ إيمان.

- **المخالفة بالحذف ومد الصوت التالي :**

في بناء صيغة افتعل من المثال الواوي: نحو

وصل ⟵اوتصل ⟵ اتّصل

المخالفة بين الحركات: ومن مظاهرها في اللغة العربية؛

•**المخالفة بين الصوامت والحركات:** والمقصود بها المخالفة بين الحركات وأشباه الحركات، من خلال المزدوجات في اللغة العربية، فالمزدوج هو اقتران الحركة وشبه الحركة في مقطع واحد، ويمكننا أن نميّز بين نوعين من المزدوجات؛ المزدوجات الهابطة والمزدوجات الصاعدة.

المزدوجات الهابطة: هي التي يكون فيها العنصر الأوّل من المزدوج أوضح من الثاني، وهيaw ay iw iy uw uy،

المزدوجات الصاعدة: هي التي يكون فيها العنصر الثاني أوضح من الأول وهي wa ya wu yu wi yi،

المخالفة ب

–المخالفة بين عنصري المزدوجات الهابطة خالفت العربية بين الأربع مزدوجات التالية؛ iy iw uy uw عن طريق التخلص من الصامت وتنمية الحركة فيها. فتتحول كل من uw و iy إلى كسرة طويلة وضمة طويلة.

Uw ⟶ Ü

Iy ⟶ Ï

وقد خولف بين الكسرة والياء وبين الضمة والواو لأنهما بمثابة الأمثال المتتابعة، وعلى هذا الأساس فقد تفسر الكثير من الظواهر الصرفية، التي سأتطرق لها في مبحث لاحق. ومن أمثلتها تحول فعلْن إلى فعين

بقي ⟵ بقيْن ⟵ بقين

دعو +ن ⟵ يدعون

أما بالنسبة لـ uy و iw

فقد خالفت العربية بينهما بتحويلهما إلى حركة طويلة لصعوبة تتابعهما في النطق، وفي هذا الشأن قال ابن جني: " لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة

المفردة أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح". (ابن جني، ج1، صفحة19-18).

Iw ⟵ Ï

Uw ⟵ Ü أحْوَرَ ⟵ حْوْر ⟵ حْور

-المخالفة بين عنصري المزدوجات الصاعدة: أبقت العربية على مزدوجين فقط وهما؛ wa ya أما المزدوجات الأربعة الباقية؛wi wu yi yu فقد عمدت العربية إلى المخالفة بين عنصري كل منهما فتتطور إلى حركة طويلة إذا وقعت في حشو الكلمة،بينما تبقي عليها في بداية الكلمة؛ نحو:

يدعو ⟵ يدعوون ⟵ يدعون

يغزو ⟵ تغزيين ⟵ تغزين

يمشي⟵ يمشيون ⟵ يمشون

4.3.3.التعرف على المقاطع اللّغويّة في اللّغة العربيّة:

تعد المقاطع اللّغويّة من أسهل المفاهيم التي يمكن للمتّعلّم أن يكتسبها، إذ يتعلّمها ضمنيّا أثناء القراءة، إلاّ أنّ تعلّم قواعدها يكون ضروريّا لتعليل التغييرات الطارئة على الكلمات وعلى الأفعال.

1-مفهوم المقطع اللّغوي: عرفته مريم وستر في قاموسها بأنّه:" عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة مكتفية بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة." (أنيس إبراهيم موسيقى الشعر، ص145).

أولا أنواع المقاطع الصّوتيّة: يقسمها إبراهيم أنيس إلى مقاطع مغلقة ومقاطع مفتوحة، بينما يجعلها كمال بشر مقاطع قصيرة ومتوسطة وطويلة (أنيس، 1999، صفحة134). (بشر،2000، صفحة510-511).

أ. **المقاطع المفتوحة:** ويندرج تحتها نمطان الأوّل طويل والثاني متوسط وهي كالتالي:

***النّمط الأوّل:** وهو مكوّن من صوت صامت + حركة قصيرة (ص ح) نحو: بَ: ب / َ / (ص ح) وهو المقطع القصير.

***النّمط الثاني:** وهو مكوّن من صوت صامت + حركة طويلة (ص ح ح) نحو: يا. يَا: ي/ َا (ص ح ح) وهو مقطع متوسط.

ب. المقاطع المغلقة: وتتدرج تحتها ثلاثة أنماط؛ الأوّل مقطع متوسط والثاني والثالث مقطعان طويلان.

***النمط الأوّل:** ويتكوّن من صوت صامت + حركة قصيرة + صوت صامت (ص ح ص) نحو: لَوْ: ل/ َ/ وْ (ص ح ص)، وهو مقطع متوسط.

***النّمط الثاني:** ويتكون من صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت (ص ح ح ص) نحو: نامْ: ن/ َا/ مْ (ص ح ح ص)، وهو مقطع طويل.

***النّمط الثالث:** ويتكوّن من صوت صامت + حركة قصيرة + صوتان صامتان (ص ح ص ص) نحو: هَمْ: ه/َ/مْ/مْ (ص ح ص ص)وهو مقطع طويل

ثانيا خصائص البنية المقطعية: (شداد، 2009، صفحة270).

تتميز المقاطع في اللغة العربية بخصائص أهمها:(الشايب، 2004 صفحة 102-103).

*كل المقاطع في اللغة العربية تبتدئ بصامت ولا وجود لمقطع يبتدئ بحركة.

*لا يلتقي صامتان في مقطع واحد في بداية الكلمة ولا في حشوها ولا في آخرها إلا في حالة الوقف فقط؛

*لا تلتقي حركتان في مقطع واحد؛

*اقتصار ورود بعض المقاطع العربية على حالة الوقف فقط وذلك مثل المقطع؛

*الطويل (ص ح ص ص) والمقطع المديد (ص ح ح ص ص)، وقلة ورود المقطع؛

*الطويل مفرد الإغلاق (ص ح ح ص ص)، في الكلمة؛
*تقصير الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة؛
*كره العربية لتوالي المقاطع القصيرة؛
*كره العربية لتوالي المقاطع الطويلة المفتوحة؛
*ميل العربية إلى إغلاق المقاطع المفتوحة في غير الشعر.

وفي مقابل هذه المقاطع المستكرهة تتصرف اللغة لتحقيق التوازن اللّغوي، بحثا عن الخفة والانسجام، فيلجأ المتكلم بطريقة آلية وتلقائية، إلى إصلاح البنية المقطعيّة، ويتم ذلك في حالات عديدة منها؛ التقاء الساكنين والتقاء الحركات.

ثالثا: طرائق إصلاح البنية المقطعية جراء التقاء الساكنين (شداد، 2009، 163صفحة-172).

أ. الحذف:

•الإصلاح المقطعي لالتقاء الحركات (شداد، 2009، صفحة 172)

التقاء الحركة مع الحركة في البنية العميقة للمقطع:

هو اندماج حركتين اندماجا تاما إذا كانتا من الجنس نفسه، أما إذا كانتا من جنسين مختلفين فإن اللغة تلجا إلى التخلص من الحرج الصوتي الناشئ عن هذا الاندماج بوسائل عديدة أهمها: حذف إحدى الحركتين أو انزلاق شبه حركة بينهما (الواو أو الياء).

التقاء الفتحة مع الفتحة: سقوط حرف العلة في الفعل الأجوف إذا وقع بين فتحتين ثم اندماج الحركتين القصيرتين في حركة طويلة:

قوَل ← قَ Ø ل ← قَال

kawala kaØala Kaala

مرحلة الصحة البنية العميقة البنية السطحية المعالجة

واحدة طويلة سقوط شبه الحركة امتزاج الحركتين في حركة

التقاء الضمة مع الكسرة:

*في المبني للمجهول:

قُوِل ق ـُ و ـِ ل ← قُ ـُ Ø ـِ ل← قُ ـُ ـِ ل ← قِيلَ فتلتقي الضمة والكسرة لتصبح كسرة طويلة وتبدل الضمة كسرة لمناسبة الياء بعدها ثم يتم إشمامها ضمة للإشعار بصيغة (فُعِل). (سيبويه، صفحة 342).

●حذف الصائت الطويل في الفعل المضارع الأجوف المجزوم (شداد 2009، صفحة 175).

تَقُولُ ← لا تَقُول

(ص ح/ ص ح ح/ص ح) (ص ح ح/ ص ح/ ص ح ح ص)

لا تَقُلْ (ص ح/ ص ح/ ص ح ص)

الملاحظ وجود مقطع طويل في لا تقول وهو قُولْ: (ص ح ح ص)، وهو مقطع مستكره وللتخلص منه تحذف الحركة الطويلة "الواو"، أو بتقصير الحركة الطويلة، يصبح: (قُلْ) (ص ح ص). (شداد، 2009، صفحة).

• في صياغة فعل الأمر من الأجوف.

قَال ← يقُول

(ص ح ح / ص ح) (ص ح / ص ح ح/ ص ح)

قُولْ ← قُلْ

(ص ح ح ص) (ص ح ص)

نتخلص من المقطع المستكره (ص ح ح ص) بتقصير الحركة الطويلة لنحصل على مقطع متوسط مغلق: (ص ح ح)

• في الفعل الماضي الأجوف المسند إلى ضمائر الرفع المتحركة:

تاب ⟵ تابْت

(ص ح ح/ ص ح) (ص ح ح ص / ص ح)

تُبْتُ (ص ح ص/ ص ح)

في المضارع الأجوف المسند إلى نون النسوة:

قال ⟵ تُقولن

(ص ح ح/ ص ح) (ص ح / ص ح ح ص/ ص ح)

تقلن (ص ح/ ص ح ص/ ص ح)

4. درس تصريف الفعل الأجوف انطلاقا من القوانين الصوتية والتحليل المقطعي:

1.4. شروط تعليم المفاهيم الصوتية الصرفية: يمكن للمعلّم أن يعيد صياغة المفاهيم السّابقة ليقدّمها للمتعلّم بطريقة ميسّرة، موظفا رموزا موحّدة متفق عليها مسبقا حتى تبدو عمليّة التعليل وكأنها برهان رياضيّ.

وحتى تتم العمليّة بنجاح على المعلّم أن يخضع لتكوين إضافي في المجالين الصوتي والصرفي وفي الدورات تكوينية لمواكبة أحدث الطرائق المعتمدة في تعليم الصرف في هذه المرحلة بما يتناسب والعمر العقلي للمتعلّمين في هذه المرحلة.

ويبنى الدرس استنادا إلى ثلاث مقاربات؛ المقاربة النصية فينطلق من نص فهم المكتوب مستخرجا الأمثلة التي تخدم الظاهر أو المفهوم والمقاربة بالكفاءات بتحديد الموارد المستهدفة من الدرس، والمقاربة بالمفاهيم وهذه الأخيرة بالرغم من أنها مستعملة ضمنيّا، إلاّ اننا لا نذكرها ضمن المقاربات المستعملة في تعليم اللّغات، فهي تعتمد على تعليم المفهوم من خلال مساعدة المتعلّم على اكتشاف ماهية المفهوم المستهدف بالدرس وتحديد خصائصه وما يميزه عن بقيّة المفاهيم، ثم التوصل إلى فهمه وتمثله ثم استعماله استعمالا صحيحا.

ويتبنى المعلّم طريقتي القياس والاستقراء معا في تعليم هذه الظواهر إذ يبدأ بالاستقراء في عمليتي الإدماج والتّكيف لينتقل إلى القياس والاستدلال ثم يعود إلى الاستقراء. (حاج صالح، 2006، صفحة 238). وتكون التمرينات التي تعتمد وتبنى على القياس غير خالية من الاستقراء أيضا، ويتم ترسيخ المكتسبات عن طريق:

الحكاية المتكررة أو التكرار للقواعد ثم تمارين التصريف والتّحويل ثم التمارين التحليلية التركيبية؛ كالإعراب وتركيب الجمل ...إلاّ أنّ تمارين الحفظ والتصريف هي الأكثر ورودا وتداولا في المناهج وهذا ما سبق التطرق له، فيلجأ المتعلّم إلى الحفظ فقط أمّا وسائل الترسيخ التّحليليّة التركيبيّة فهي مفيدة جدًّا (حاج صالح 2006، صفحة238).

ومن الضروري أن يبدأ الدرس بتمرين، يتدرج فيه المتعلّم إلى المقابلة بين الأصول والفروع، كأن يستخرج من النص فعلين يشتركان في الجذر ولا يكون في النص سواهما حتى يسهل عليه الأمر، مثل قال ويقول وذلك لمعرفة أصل حرف العلّة، وفي مرحلة لاحقة يتدرب على التصرف في الصيغ المختلفة، ويرى عبد الرحمان الحاج صالح بضرورة توفر المخابر اللّغويّة في المدارس ليتمكن المتعلّم من التدرب بشكل فعّال على الظواهر اللّغويّة المختلفة (الحاج صالح، 2006، صفحة 240).

تقسيم الأفعال ضمن مجموعات تحكمها علاقات الاحتواء ويمكن أن نستعمل فيها المكممات المستعملة في الرّياضيات. كرمز الانتماء والاحتواء والتقاطع والاستنتاج والتكافؤ وغيرها...

مثال: نرمز لمجموعة الأفعال المعتلّة بـ (ع) ونرمز لمجموعة الأفعال الجوفاء بالرمز (ج).

تندرج تحت الأفعال الجوفاء مجموعتان؛ (ج و) و (ج ي) حيث، تمثل الأولى الأفعال الجوفاء الواوية والثانية الأفعال الجوفاء اليائيّة.

لدينا الفعل المعتل (مال) نرمز له بالرمز س، علما أنّ أصله ميل، أملأ الفراغ باستعمال أحد الرمزين التاليين: ∃ و. ∉

س...ع / س... ج / س .... ج ي / س... ج و

س ⟵ سَ ⟵ ملنا

• ننطلق من الصيغة س(مال) لنصل إلى الصيغة النهائيّة مِلْنا. مرورا بالمرحلة سَ.

مرّ الفعل مال بمرحلتين:

مرحلة الحذف: حذف حرف العلّة.

مرحلة النقل: نقل حركة حرف العلة إلى فاء الفعل (الميم).

•اشرح العمليتين باستعمال الرموز المناسبة: الانتقال: والحذف: علل التغيير الطارئ على الفعل حسب التحليل المقطعي.

4.2. درس نموذجي:

المقطع: الأخلاق والمجتمع / المستوى: الثانية متوسط

الميدان: فهم المكتوب (قواعد اللغة) / الزمن: ساعة

المحتوىالمعرفي: إسنادالأجوفإلىالضمائر الوسائل: كتاب التلميذ ص 77 دليل الأستاذ، كتب خارجية المهمات (المقاربات المستهدفة):

1-يتعرّف على الفعل الأجوف ويميّز بين نوعيه الواوي واليائي.

2-يسند الفعل الأجوف إلى الضمائر في الماضي والمضارع والأمر.

3-يستنتج مواضع حذف حروف العلّة في الفعل الأجوف عند إسناده إلى الضمائر في الماضي والمضارع والأمر.

4-تعليل بعض هذه التغييرات (حذف حرف العلّة) على ضوء التحليل الصوتي والمقطعي.

النص: فضائل الأخلاق.

مرحلة الانطلاق: ويمهد فيها للدرس من خلال تذكير المتعلّم بتعلّماته السابقة؛ مفهوم الفعل الأجوف، مفهوم حروف العلّة وخصائصها، مفهوم الإعلال، تمرين بسيط حول التحليل المقطعية كيفية التخلص من المقاطع المستكرهة.

مرحلة بناء التّعلّمات.

الأمثلة: تسخلص من نص فهم المكتوب (القراءة).

1-وكنْ عَلىَ الدَّهْرِ مِعْواناً لذي أملٍ.

2-مَنْ جادَ بالمالِ جادَ النّاسُ قاطبةً.

3-وَعاشَ وَهُوَ قَرِيرُ العَيْنِ جَذْ لان.

الملاحظة والمناقشة: اقرأ الأمثلة المدونة قراءة سليمة.

س-استخرِجْ من الأمثلة الأفعال المعتلّة.

ج-الافعال المعتلة هي: (كن _ جاد _ عاش).

س_أين ورد حرف العلة.

ج-في الوسط.

س-كيف نسمي الفعل الذي عينه حرف علة؟

ج-الفعل الأجوف: الفعل الأجوف هو ما كانت عينه حرف علة.

ما هي مصادر الأفعال السابقة: كن الكون، جاد الجود، عاش العيش.

هل ظهر حرف العلّة في المصادر؟ ماذا تلاحظ؟

إذن الألف في الفعل الأجوف إما أن يكون أصلها واو أو ياء.

ما هو أصل جاد؟

أصله انطلاقا من مصدره جَود هو جود.

ما هو أصل عاش؟

أصله عيش انطلاقا من الجذر عيش هو عيش

علل الانتقال من جود إلى جاد صوتيا

استنتاج القاعدة الصوتيّة الأولى:

س _صرف الفعل الماضي عاش مع الضمائر؟

أنا عشت، نحن عشنا، أنت عشت، أنت عشت، أنتما عشتما، أنتم عشتم.

أنتن عشتن، هو عاش، هي عاشت، هما عاشا، هما عاشتا، هم عاشوا، هن عشن

اسْتَنتج حالات حذف حرف العلة في الفعل الماضي الأجوف؟

يحذف حرف العلة من الماضي إذا اتصل الفعل بتاء الفاعل مثل قلت ونا الفاعلين

مثل قلنا أو بنون النسوة مثل قلن.

علل صوتيا وانطلاقا من التحليل المقطعي التغييرات الطارئة على الفعل قُلْتُ

مراحل التعليل:

المرحلة الأولى: نسند القعل قال إلى ضمير الرفع المتحرك (ت المتكلم) قياسا على صيغة الصحيح فَعَلْتُ)

قال ⟵ قَالْتُ

المرحلة الثانية: (التخلص من التقاء الساكنين) يلتقي ساكنان حرف العلة الألف واللام الساكنة فيحذف حرف العلّة (الساكن الأوّل).

قَالْتُ ⟵ قَØ لْتُ.

يمكن أن نعلل هذه المرحلة من خلال التحليل المقطعي كالتالي:

قَالْتُ ص ح ح ص / ص ح للتخلص من المقطع الطويل ص ح ح ص نقوم بتقصير الحركة الطويلة ح ح لنحصل على مقطع متوسط ص ح ص فننتقل من قَالْتُ إلى قَØ لْتُ

المرحلة الثالثة: (نقل الحركة): تنقل حركة حرف العلّة المحذوف إلى فاء الفعل إذن تحرك القاف بالضم للدلالة على الواو المحذوفة.

قَ◌ْلْتُ ← واو ← قُلْتُ.

س–صرف الفعل المضارع يجود مع الضمائر؟

أنا أجود، نحن نجودن أنت تجود، أنت تجودين، أنتما تجودان، أنتم تجودون. أنتن تجدن، هو يجود، هي تجود هما يجودان، هما تجودان، هم يجودون، هن يجدن.

استنتجْ حالات حذف حرف العلة فعل الأمر الأجوف.

يحذف حرف العلة من المضارع إذا اتصل الفعل بنون النسوة مثل يقلن _ يبعن.

علل صوتيا وانطلاقا من التحليل المقطعي التغييرات الطارئة على الفعل: يجود

مراحل التّعليل:

<u>المرحلة الأولى</u>: نسند جاد إلى ضمير الغائب المفرد على صيغة المضارع يَفْعُلُ: تنقلب الألف إلى أصلها الواو لأنّ الضمة تناسبها

جاد ← يَجْوُدُ (وهي صيغة ثقيلة)

<u>المرحلة الثانية</u>: (نقل حركة حرف العلّة إلى الصحيح الساكن قبلها استخفافا) :

يَجْوُدُ ← يَجُودُ

س– صَرِّفْ فعل الأمر (كُنْ)مع الضّمائر: أنتَ – أنتِ – أنتما – أنتم – أنتنّ. أنت كن، أنت كوني، أنتما كونا، أنتم كونوا، أنتن كن.

استنتجْ حالات حذف حرف العلة في فعل الأمر الأجوف.

يحذف حرف العلة من الأمر إذا أسند الفعل إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر

مثل قل _ بع.

*علل صوتيا وانطلاقا من التحليل المقطعي التغييرات الطارئة على الفعل: كن

مراحل التّعليل:

المرحلة الأولـى: كان ⟵ أُكْوُنْ (نظرا لثقل اللفظ) ننقل حركة حرف العلة للضمة للساكن قبله فنحصل على أُكُوْنْ.

المرحلة الثانية: التخلص من همزة الوصل لتحرك فاء الفهل بالضم

أُكُونْ ⟵ كُونْ

المرحلة الثالثة: التخلص من التقاء الساكنين بحذف الساكن الأوّل.

كُونْ ⟵ كُنْ

أو انطلاقا من التحليل المقطعي:

كُونْ ص ح ح ص بالتخلص من المقطع الطويل ذلك بتقصير الحركة الطويلة نحصل على المقطع المتوسط ص ح ص: كُنْ

مرحلة الختام:

تطبيق فوري: صرّف الفعليْن –لاَمَ، سَارَ – في الماضي والمضارع والأمر مع جميع الضّمائر.

حدد التغييرات الطارئة عليهما: في الماضي عند اتصالهما بضمائر الرفع المتصلة.

مع التعليل صوتيا وبالتحليل المقطعي.

تمرين نموذجي أوّل:

لدينا الفعل الثلاثي قام قمنا بإسناده لضمير الرفع المتحرّك للمتكلّم المفرد (تُ). فأصبح قُلْتُ، علما أنّ أصل حرف العلّة فيه هو الواو.

1–حدد أصله.

2–قال ⟵ س ⟵ قُلْتُ.

3–ثم الانتقال من الصيغة قال إلى الصيغة قُلْتُ مرورا بالصيغة س.

بيّن استنادا إلى القوانين الصوتيّة كيف تمّ ذلك؟ محددا طبيعة المجهول س.

التمرين الثاني:

4-نرمز للمقطع القصير ب (ص ح) وللمقطع المتوسط ب (ص ح ح) أو (ص ح ص) ونرمز للمقطع الطويل ب (ص ح ح ص)، علما أنّ المقطع الطويل مكروه في اللغة العربية، بين كيف تم التخلّص منه عند الانتقال من الصيغة قُال إلى الصيغة قُلْتُ.

التمرين الثالث:

لاحظ الجملة التالية: أَنْتَ تَنَامُ باكِرًا

1-أدخل عليها لا الناهية.

2-استخرج الفعل من الجملة التي توصلت إليها ثم

3-بين نوعه وأصله ثم حلله مقطعيّا مبيّنا كيفية صياغته.

التمرين الرابع:

س ⟵ جاعْنا ⟵ ع

1-حدد س وع مكتشفا القانون الصوتي الذي طبق في هذه العمليّة.

2-علما أن حركة فاء الفعل (ع) أي أوّل حرف منه هي الضمة، علل ذلك.

5. خاتمة: يمكن للمعلّم أن يبني التعلّمات منتهجا تيسير المادة بما يتمشى والعمر العقلي للمتعلّم في هذه المرحلة، على أن يكون قد تلقى الأساسيّة منها منذ المرحلة الابتدائيّة حتى يتمكن من استيعاب ما سوف يقدم له لاحقا من تعلّمات أكثر تعقيدا من الأساسيّات وأقل بساطة من التعلّمات التي ستبنى عليها لاحقا، فمفهوم حروف العلّة وخصائصها يعد في غاية الأهميّة، ومع ذلك غفل واضعو المناهج عن توضيحه واكتفوا بتحديد ها لا أكثر ولا أقل، كما قاموا بحذف درس الميزان الصرفي وهو أساس ضروري تبنى عليه دروس الصرف التي لا يمكن أن تفهم وتستوعب من قبل المتعلّم ولا يتم تمثّلها بشكل جيد من قبله، ومن ثمّ تتغيّر طبيعة التمرينات لتتحوّل إلى تمرينات تحليليّة تعتمد على

البرهان عبر التحليل الصوتي أو المقطعي وذلك بالانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحيّة، أو بالبرهان على أصل البنية السطحيّة.

ولا يمكن للمتعلم فهم الظواهر الصرفيه الخاضعة للإعلال والإبدال والحذف الصرفي بمنأى عن التعليلات الصوتية والقوانين الصوتية المتحكمة فيها، ومنه فلا بد من معرفتها وفهم آلياتها من قبل المعلم والمتعلم على حد سواء، كما يستوجب ذلك معرفة دقيقة بمخارج وصفات الأصوات.

والمقصود هنا بالقوانين الصوتية تلك القوانين المتحكمة في بناء الكلمة ومن أهمها ظاهرتا المخالفة والمماثلة التي فسرت من خلالها أغلب الظواهر السياقية التي تحدث لعلاج أحد الأمرين: كراهية توالي الأضداد أو كراهية توالي الأمثال في اللغة العربية وهو ما يتنافى واتجاه الذوق العربي.

ويمكن للمعلم صياغتها بما يتناسب ومستواه العقلي والإدراكي حتى يتسنى له فهمها ثم اكتساب التعلّمات المتعلّقة به، أما عن تأثير الأصوات المتجاورة على بعضها ببعض وإدراج ذلك ضمن المقررات فمن العبث أن ندعي أن هذا من باب التعسير على المتعلّم، فبمقابلة ما يقدم له في الرياضيات من مفاهيم وعمليات دقيقة تعتمد على تحديد قيمة مجهول يرمز له بحرف (X) أو (Y) وما يترتب على حذف الأقواس المسبوقة بإشارة الطرح (–) من تغيير في الإشارات في المجموع الجبري داخل القوسين، فإن فهمه واستيعابه لهذه المفاهيم المجردة يجعل من مفهوم تأثير الأصوات على بعضها بعض في مدرج الكلام مفهوما قابلا للاستيعاب بالنسبة للمتعلم في هذه المرحلة العمريّة.

أمّا إدراج التحليل المقطعي في مرحلة التعليم المتوسط بما يتناسب ومستوى المتعلّمين في هذه المرحلة، فهو أمر ممكن وقد شرع في تعليم المقاطع في مرحلة التعليم الابتدائي فيما يسمى بالقراءة المقطعيّة، وهي مرحلة تمهيديّة لتحضير أذهان المتعلّمين لمراحل لاحقة للتحليل المقطعي الذي من المفروض أن يدرج ضمن المقررات في مراحل تعلّمية لاحقة.

قائمة المراجع:

1-إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط2، 1952.

2-إبراهيم عبد العليم(1976). دط. الموجه الفني لمدرس اللغة العربية. مصر. دار المعارف.

3-ابن جني أبو الفتح عثمان ، د ت. دط. الخصائص. المكتبة العلمية.

ابن جني أبو الفتح، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دن، دط دت، ج1، ص18-19.

4-الأسمر راجي. (1997). دط. المعجم المفصل في علم الصرف. بيروت. دار الكتب العلمية.

5-أنيس إبراهيم (1999). دط. الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

6-بشر كمال (2000). دط. علم الأصوات. ا دار غريب القاهرة.

7-بن تريدي بدر الدين (2010).دط. قاموس التربية الحديث. منشورا المجلس الأعلى للغة العربيّة. الجزائر.

8-بن تريدي بدر الدين، أيت عبد السلام رشيدة، (2007-2008). و(2003-2004). استكشاف كتاب السنة الثانية متوسط الجيل الأول د.ط. الجزائر. الديوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة.

9-بن يحيى محمد زكريا، حناش فضيلة، (2008)، (المقاربة المفاهيميّة) دط الجزائر، منشورات المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم.

10-حاج صالح عبد الرحمان. (2006) دط. بحوث ودراسات في علوم اللسان. الجزائر. منشورات المجمع الجزائري للغة العربية موفم للنشر.

11-حروش موهوب. ومجموعة من الأساتذة. (203-2004). دط. قواعد اللغة العربية. الجزائر. المعهد التربوي الوطني.

حسان تمام. اللغة العربية مبناها ومعناها

12-سيبويه عمر بن عثمان. (1982). دط. الكتاب. ج4.مكتبة الخانجي. القاهرة.

13–الشايب فوزي (2004). دط. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية. عالم الكتاب. الأردن.

14–شداد. مناع عبد الله مصلح. (2009). دط. المقطع في بنية الكلمة العربية رسالة ماجستير منشورة. السودان. جامعة أم درمان.

عبد العزيز،أ (2005). التعليل الصرفي في الدراسات اللّغويّة الحديثة. 15–مجلة جامعة اليرموك للدراسات الإنسانيّة جامعة الأنبار كلية التربية المجلة 10 العدد ص188.

16–عفيفي أحمد. (1996) ط1. ظاهرة التخفيف في النحو العربي. القاهرة. الدار المصرية اللبنانية.

17–عصيدة، فادي صقر أحمد (2016) جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، ط1 ، القدس ، دار الجندي للنشر والتوزيع.

18–عمر أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي.

19–غرمول ميلود؛ هيشور كمال؛ مغزي أحمد سعيد؛ بوضياف أحمد؛ زرقان عزوز؛ قلاتي نور الدين؛ بوريجي رضوان؛ لعمش الطاهر. (2017). الكتاب المدرسي الثانية متوسط الجيل الثاني. دط. الجزائر. أوراس للنشر.

20–كابويا ومجموعة من الأساتذة. (2000). دط. كتاب قواعد اللغة العربية السنة الثانية أساسي. الجزائر. المعهد التربوي الوطني.

21–اللبدي. محمد سمير نجيب. (1985). ط1. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. بيروت. مؤسسة الرسالة.

22–مجاهد عبد الكريم. (2005) ط1. علم اللسان العربي فقه اللغة العربية. الأردن. دار أسامة.

23–مريبعي شريف، ومجموعة من الأساتذة، (2008–2009). كتاب السنة الأولى متوسط الجيل الأول. دط. الجزائر. الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

سلطة اللّغة في الخطاب النّقدي عند محمّد بنيس

authority of language in the critical discourse of Mohamed Bennis

د. هشام باروق♥

أ. فوزية بوالقندول♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-027-001-009 DOI

تاريخ الاستلام: 10-08-2024 تاريخ القبـول: 17-11-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: تعتبر مسألة اللغة من أهم القضايا النظرية التي تناولها الخطاب النقدي عند محمد بنيس، وهي قضية أساسية ومركزية في النقد المعاصر تعاظم شأنها في إطار الانشغال بتحديث الشعر العربي، وقد شكّلت همّا نظريا لدى المنشغلين بها؛ في الشعرية العربية القديمة، وصولا إلى الرومانسيين العرب الذين حاولوا إعطاء تصوّر مختلف لها. أما في الشعر المعاصر فقد طُرحت المسألة بمزيد من الاهتمام والتفصيل والتأمل النظري، من خلال البحث في وظيفتها، وفي أبعادها الوجودية، وهو ما نلحظه ماثلا في خطاب محمد بنيس النقدي.

كلمات مفتاحيّة: محمد بنيس؛ لغة؛ لغة شعرية؛ شعر معاصر؛ كتابة.

♥ جامعة قسنطينة 1-الإخوة منتوري.

البريد الإلكتروني: hicham.barouk@doc.umc.edu.dz (المؤلّف المرسل).

♥ جامعة قسنطينة 1-الإخوة منتوري.

البريد الإلكتروني:boulkandoul.fouzia@umc.edu.dz

Abstract: The issue of language is one of the most important theoretical topics addressed in the critical discourse of Mohammed Bennis. It is a fundamental and central issue in contemporary criticism, whose significance has grown in the context of the preoccupation with modernizing Arabic poetry. This issue has formed a theoretical concern for those engaged with it; from ancient Arabic poetics to the Arab romantics who tried to provide a different perspective on it. In contemporary poetry, the issue has been raised with more attention, detail, and theoretical reflection, through the exploration of its function and its existential dimensions, which is evident in the critical discourse of Mohammed Bennis.

Keywords: Mohamed Bennis; language; Poetic language; Contemporary poetry; writing.

1. مقدّمة: ناقش محمد بنيس في خطابه النقدي بعض القضايا النظرية التي تشكل في مجموعها المادة الأساس لمشروعه الذي افتتحه في "ظاهرة الشعر المعاصر"، وصولا إلى آخر أعماله النظرية؛ التي جمعها في "الأعمال النثرية"، إذ تعتبر قضية اللغة من أهم القضايا التي تناولها بالدراسة والتحليل ذلك لأنها «رحم مختبر الشعر المعاصر... فيها وبها توزعت شعب البحث عن حداثة شعرية عربية، وتقاسمت الممارسات النصية هذه الخصصية، كلّ واحدة منها تهتدي بنظرية تستحوذ على النص وتشغّله»،[1] فهي من الظواهر الأساسية في تشكيل بنية القصيدة المعاصرة، وفي توسيع أفقها، إذ تختزل اللغة كلّ «مكونات القصيدة الشعرية من خيال وصور موسيقية ومواقف إنسانية».[2]

فليس غريبا أن تنال اهتمام الباحثين، قديما وحديثا، وأن يقاس تطوّر الشعر بتطوّرها، من هنا سينزع بنيس نحو استيعاب مغاير لوضعيتها، وتبيان عناصرها، والبحث في وظائفها، وتأمّل تاريخها في الثقافتين العربية وغير العربية، عبر مسارات الشعر العربي وإبدالاته، من المختبر الشعري بما هو

ساحة للتجريب، كان الشعر الحرّ مفتتحا له، إلى الشعر المعاصر بما هو حالة جامعة لإبدالات مختلفة، وصولا إلى الكتابة الجديدة كأقصى ما بلغه هذا المختبر، فلم يكن غريبا في هذه الحال «أن يتخلى الشعر الحديث عن المعايير التقليدية للنحو والبلاغة والعروض، ويتوجه نحو مغامرة تأسيس لغة مضادة تفاجئ أو تصدم، ولكنها لا تصالح ولا تتواطأ. لغة تدمر معيار الذاكرة وترحل في خلجان الجسد وممنوع التاريخ والمجتمع».[3]

2-مركزية اللغة: في مقام التمييز بين زمن العولمة وزمن الشعر يضعنا بنيس أمام حقيقة أنّ هجران الشعر ما هو إلا هجران للغة "وديعة الوعد" كما يسمّيها،[4] فالشعر في هذا السياق يضطلع بمهمة صعبة وعاجلة، تحاصر منطق العولمة السائد وهجران اللغة، بحيث «يقتضي كل استئناف للوعد إلحاحا على أن من واجب الشعراء تأمل أوضاع اللغة في المدينة الكونية، بما هو تأمل مستعجل»،[5] تأمل يتغيّا الإجابة عن أسئلة من قبيل: ما الذي يستطيع العالم لإنقاذ الشعر حتى ينقذ اللغة؟ وما الذي يستطيعه الشعر أمام انحصار اللغة في وظيفة التواصل؟ ولماذا تهجر الشعوب لغاتها؟

لقد تمركزت اللغة في صميم الدفاع عن الشعر، وهو في الحقيقة دفاع عن اللغة في حدّ ذاتها في زمن العولمة، ذلك أنّ وظيفة الشعر لا تكتفي بتفجير المعاني؛ بل في حماية اللغة نفسها من بطش العولمة والمؤسسات المنتجة للثروة على حساب المعنى والحوار والتواصل، هكذا يحذّر بنيس من خطاب المصلحة والاستهلاك، الذي تعممه العولمة، الذي «لا يهجر الشعر وحده، بل هو يعمل أيضا على هجران اللغة. وضعيتان، بدقة، متكاملتان ... فمن يهجر الشعر مجبر على التخلي عن اللغة. هجران الشعر هو، في الوقت ذاته هجران للغة ووعدها»،[6] فعندما نمجّد لغة المنفعة، والتداول الإعلامي، والاستهلاك نتخلى عن الالتزام باللغة، بما هي "رؤية للعالم" و"متتالية منتظمة للأفكار"

و"شعلة بواسطتها تكمن الحيوية الروحية للإنسانية وتظلّ باستمرار في حالة استنفار".[7]

يدعونا بنيس إلى مواجهة "هجران اللغة"، بما هو فعل شنيع من صنيع العولمة، التي تمجّدُ المصلحة ولغة النافع في خطابات الاستهلاك والإعلام وتعطي سلطة للمغلق، الذي يجعل من الشعر مجرّد خطاب لا يعنيه تطوير اللغة وتثويرها، وهنا يكمُن الفرق الأساس بين زمن العولمة وزمن الشعر فمركزية اللغة وأساسيتها في الثاني تجعل من المستحيل على الكائن البشري أن يظل حاضرا وفاعلا في تعيين الذات والمصير، إن هو فصل بين اللغة والحياة والشعر، وكل «شاعر حديث، في عالمنا معني بمسألة التمييز التي تترجمها العناية بالذات وبالمصير، يجد نفسه وجها لوجه أمام هجران اللغة، والشاعر العربي لا يختلف، في هذه المواجهة عن سواه من الشعراء».[8]

3-اللغة في "المختبر الشعري": ينظر بنيس إلى اللغة الشعرية على أنّها سؤال لا جواب، سؤال يبحث في تعدّد الممارسات الذي تخلقه اللغة في لا نهائيتها، وكيف يمكن لهذه اللغة في تحولاتها أن تصير رحما لهذا المدهش والعجيب الذي ينتجه النص الشعري، فاللغة هي مركز الفتنة والحيوية فيه فمعظم ما في النص من جمال، ومعنى وفاعلية، فإنّ اللغة هي سببه ومسبّبه فليس مبالغة القول بأنّ «في كلّ قصيدة عربية عظيمة، قصيدة ثانية هي اللغة»،[9] فعلى الشاعر المعاصر أن يرصد دفق اللغة اللانهائي في إنجازه للكتابة ونزوله إلى مجهولها، وعليه أن يرصد أيضا ما يتهدّدها.

ومن بين ما يتهدّد اللغة الشعرية -حسب بنيس-؛ وضعيتها المشروطة بالمقدّس، حيث «كشف القرآن على خصيصته السرمديّة، فهو سابق على كلّ لغة ولاحقٌ لها، ... زمنه معلّقٌ، فلكٌ في مائه تغتسل اللغات وتتطهّر»،[10] وهي وضعية جعلت لغة الشعر تابعة وتالية للغة أرقى وأعلى، كنموذج للاقتداء، وضعية نتقاسم شرائطها مع لغات شعرية عريقة، فجميعها «تنهل من

حوض اللغات المقدسة، في الصين واليابان والهند، ... أما في أوروبا فإن التصور اليوناني للغة انضاف إلى التصور المسيحي بعد هجرة المسيحية إلى روما، ومنها إلى العالم الأوربي»،[11] وهذه المسلمة المتداولة كان أدونيس مصدرها، في "الثابت والمتحوّل"، ولكنه تراجع عنها في "الشعرية العربية"، حين رأى أنّ «النص القرآني الذي نظر إليه بصفته نفيا للشعر، بشكل أو آخر، هو الذي أدى على نحو غير مباشر إلى فتح آفاق للشعر غير معروفة، ولا حدّ لها، وإلى تأسيس النقد الشعري بمعناه الحق».[12]

فمصير اللغة كان مرتبطا بالمتعاليات التي فرضتها الأنظمة والأنساق السائدة، لأنّ وضع قواعد اللغة قد ارتبط منذ القديم بنسق ماضوي يحرسها ويرفض كلّ محاولة لإعادة تركيبها، وفق رؤية جديدة وحساسية مختلفة، ولم ينجح في هذه المهمة المقدسة إلا قلة من الشعراء عبر العصور، تجاوزوا هذه الرؤية المتعالية للغة، ونقلوا غايتها من الإخبار والإعلام والوصف والاستهلاك إلى مجال الغواية، والسرّ، والمتعة، فاللغة «التي لا تحترف الانشقاق والنقصان، أي الخروج على النمطية الوهمية، اعتمادا على أرقى المعارف العلمية، عاجزة عن أن تستوعب الذات المترنحة واللحظة التاريخية اللتين تريد أن تحيا بهما ولهما».[13]

كما يمكن الإشارة إلى متعاليات أخرى ذكرها بنيس، وكان لها أثرها في تراجع لغة الشعر في زمننا الحديث، من بينها ظاهرة الانقطاع عن الكتابة فهي من العوائق التاريخية التي تهدّد لغة الشعر، في جميع الأقطار العربية، فلهذه الظاهرة أسبابها الاجتماعية والسياسية والثقافية، ولكن غلبة السياسي على الثقافي هو المسبب الأساس لها، «فالشعراء يتوقفون قبل البدء في كشفهم عن سر اللغة الشعرية وعن طبيعة العلائق المنشبكة بين الجسد والعالم في مرحلة تاريخية دون غيرها، وعن ماهية الشعر بكل اختصار»،[14] أي عندما يفقد الشعراء الأمل في أن يكون للغة الشعر أي جدوى.

حتى إذا ما نظرنا إلى تاريخ شعريتنا الحديثة، أدركنا أنه لم يكن بمقدور شعراء النهضة العربية، مثلا، أن يحدثوا تحولا وطفرة في وظيفة وقيمة اللغة الشعرية، «أي القدرة على تركيب نص مغاير يخترق الجاهز المغلق المستبد إلا في حدود مساحة مغفلة إلى الآن، تمت في زمن مختصر»،[15] وسننتظر الطفرة التي أحدثها جبران في الثقافة العربية، الذي كان رهان اللغة رهانه الأكبر، حين سعى إلى بناء مسكن حر، «باحثا عن ذلك الذي يجعل من الشعر لغة الاستثناء، نكاد نلمسه ولا نعرف كيف نسميه».[16]

ينبني هذا المسكن من خلال فعل الإبداع، الذي أساسه "قوة الابتكار"، إذ سنكتشف مفهوم "قوة الابتكار" التي أكّد جبران على قيمتها، وعدّها الأساس في تطوّر اللغة، فهذه القوة ليست مرتبطة بالممارسات الشعرية والفنية فحسب، ولكنها تحتل مكان المحرّك في كلّ مبادرة إبداعية، فهناك علاقة جدلية بين قوة الابتكار في المجتمعات ووضعية اللغة فيها، إذ يقول: «إنّما اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الأمة، أو ذاتها العامة، فإذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها، وفي التوقف التقهقر، وفي التقهقر الموت والاندثار».[17]

إنّ ما استوقف بنيس في هذه التجربة الرائدة، هو هذا الإدراك الكونيّ لمسألة اللغة العربية، وموقع اللغة الشعرية في حركية اللغة برمتها، والدور الذي يؤديه الشاعر فيها، كوسيط كونيّ بين قوة الابتكار والبشر، هذه الوساطة التي تهب الشاعر القوة الباعثة لأسرار الأشياء، يقول جبران: «إنّ خير الوسائل، بل الوسيلة الوحيدة لإحياء اللغة هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر، وهو السلك الذي ينقل ما يحدثه عالم النفس إلى عالم البحث، وما يقرّره عالم الفكر إلى عالم الحفظ والتدوين».[18]

وستتحوّل هذه الوساطة التي يمنحها جبران للشاعر إلى سؤال يطرحه بنيس حول علاقة جبران بالشعر الجاهلي والوحي والكتابة الصوفية، حيث عبّرت هذه النصوص الغائبة عن طبيعة المعجم المختلف والمغاير الذي اعتمده جبران والرومانسيون العرب، فمصادرهم متنوعة، كالكتاب المقدس، والنصوص العربية الصوفية، والترجمات من اللغات الفرنسية والإنكليزية، وحتى الروسية،[19] ويكون الشاعر بذلك صوت الأمة التي «في قلبها جوع وعطش وشوق إلى غير المعروف»،[20] في مقابل اعتماد التقليديين على معجم مستنبط من المتداول في الشعر العربي القديم.

4-اللغة في "الشعر المعاصر": فإذا ما انتقلنا إلى "الشعر المعاصر" سوف نشهد تحوّل اللغة إلى حقل للتأمل، إذ نلحظ نزوع الشعراء نحو البحث عن لغة تعتمد معجم الحياة اليومية المعيشية، والناظر في قصيدة الكوليرا وما كتبته نازك حولها، من أنّ لغتها الشعرية تغيّت التعبير وضرورته، وهي مصدر الشعر الحرّ؛ الذي عدّ من طرف مبدعيه ونقاده تحولا عروضيا، وقد تناسوا أثر الإبدالات النصية، وما تفعله العناصر بعضها في بعض، «لأنّ إبدال عنصر من العناصر النصية له مفعوله على العناصر الأخرى»،[21] وكأن عدوى الإبداع تنتقل من عنصر إلى آخر، وقد كان لنازك إحساس بقيمة هذا التغير إحساس بأنّ الشاعر سيدخل «تغييرا جوهريا على القاموس اللفظي المستعمل في أدب عصره، فيترك استعمال طائفة كبيرة من الألفاظ التي كانت مستعملة في القرن المنصرم، ويدخل مكانها ألفاظا جديدة لم تكن مستعملة».[22]

يستأنس محمد بنيس بمجموعة من المواقف النظرية حول قضية اللغة في الشعر المعاصر، يقوم بعرضها، ونقدها في الوقت نفسه، مرجحا موقف أدونيس عليها، وفق الخطاطة التالية:

***نقد موقفي النويهي والخال (اللغة اليومية)**: مع اتساع تجربة الشاعر المعاصر، وتأثره بنماذج شعرية غربية، تحوّل إلى استعمال اللغة اليومية،

والتأكيد على قيمتها نقديا، فهذا النويهي يعود إلى دراسة إليوت "موسيقى الشعر"،[23] فبنى على أساسها رؤيته للغة في الشعر المعاصر، وقد شكلت "اللغة" مسألة مهمة في كتابه: "قضية الشعر الجديد"، الذي حاول فيه إثبات أنّ شعراءنا كان تأثرهم بإليوت «تأثرا مشروعا، من النوع الذي تُغنى به الآداب وتزداد إخصابا، فكلّ ما فعلته دراسة إليوت بهم أن لفتت أنظارهم إلى إمكانيات مهملة لم تستغل بعد في لغتهم وشعرهم، وأن شحذت من قدرتهم على استكشاف هذه الإمكانيات وتنميتها والسير بها في طريق الإنضاج»،[24] وقد كان لهذا التأثر دوره في حمل الشعر العربي الجديد على الاقتراب من لغة الكلام العادي والحديث اليومي، التي يتكلمها الناس في واقع حياتهم.

ولكن من مساوئ قراءة النويهي لإليوت كما يرى بنيس أنّه لم يستفد من مفهوم "تعدّد اللغات"، ولجأ إلى الاختزال،[25] فسمّى الشعر العربي المتطابق مع الشعر الانكليزي بـ "الصّادق الأصيل"،[26] وقد كان لرغبته في إعادة الشعر العربي إلى أصول لغوية مارست سلطتها عليه، وكانت بمثابة المتعاليات التي نقدها بنيس من قبل، الدور في هذا الاختزال، فسلطة الشعر الجاهلي بلغته وطبيعة اللغة العربية كما تتجلى في القراءات القرآنية، هي التي جعلت من لغة الشعر الجديد مجرّد عودة بالشعر العربي إلى سرّ حيويته، التي تتجلى في الاقتراب من لغة الكلام التي ينطق بها أبناء الأمة،[27] ما يُبيّن أن النويهي يُمارس قراءة متعالية للشعر العربي.

كما نجد أنّ دعوة إليوت إلى اعتماد لغة الحديث اليومي في الشعر قد وجدت صداها عند يوسف الخال أيضا، فقد مال إلى الاعتقاد بأنّ أهمّ أسباب تخلفنا الشعريّ، وعدم قدرة شعرائنا على مضاهاة أقرانهم من الغربيين، أنّ هؤلاء يفكّرون ويكتبون باللغة الحية لمجتمعهم، في حين أن شاعرنا العربي يفكّر ويتحدّث بلغة ثانية، [28] فنحن أمام لغتين، تطوّرت إحداهما عن الأخرى

واتسعت الهوة بينهما إلى حدّ الانفصال، [29] ولردم هذه الهوة يقترح الخال "**اللغة المحكية**" كمخرج من هذا المأزق اللغوي.

يناقش الخال مسألة اللغة في الشعر العربي، متحدثا عن تطوّر اللغة العربية بالكلام، ولكن هذا التطوّر لم يكن معترفا به من قبل أبنائها، ومستعمليها، فبقيت تُكتب نحويا وصرفيا وفق الطريقة القديمة، فكان لا بدّ من تجاوز إشكالية الإزدواجية اللغوية (فصحى/لهجة)، إلى ثنائية (المنطوق/المكتوب)، فاللغة المكتوبة (الفصحى) خاضعة لطقوس العربية بقواعدها وقوانينها القديمة، في حين أنّ المنطوقة (العامية) تكوّن لغتها الخاصة عبر التمرّد على القواعد السابقة، وهو ما يسميه الخال "جدار اللغة"، مشيرا «إلى الخروج من مرحلة القناعة والاطمئنان إلى مرحلة السؤال والقلق، من مرحلة العلاقة المحايدة باللغة إلى مرحلة الاصطدام بها، فلم تعد معطى قبليا، يُطِيع الشاعر في لحظة الكتابة وحالتها، بل صفة الحاجز هي أقربُ ما تلتصق به».[30]

ولكن محمد بنيس لم يقتنع بهذه المسلمة، التي كانت الدعوة إليها هي إعجاب الخال بما حقّقه بعض الشعراء الغربيين، ومحاولتهم تقريب اللغة الشعرية إلى اللغة اليومية، فلم يخف بنيس كغيره من نقاد الخال عدم رضاه على هذا الاقتراح، متسائلا: هل إشكالية اللغة الشعرية منحصرة في الانتقال من اللغة المكتوبة إلى اللغة المحكية، لغة الكلام اليومي وحديث الناس؟ وهو السؤال المسكوت عنه لدى النويهي ويوسف الخال، في قراءتهما لإليوت.[31]

***مع موقف أدونيس (اللغة الشعرية):** يشيد بنيس بتجاوز أدونيس للتصوّرات السابقة، منطلقا من النظر إلى اللغة الشعرية في مقابل اللغة غير الشعرية، متأثرا بالشعرية الفرنسية، معيدا بذلك «قراءة الشعر العربي القديم وخاصة شعر أبي نواس، وأبي تمام، أو كتابة النفري ... وهو يغيّر مكان قراءة اللغات والرؤيات الفردية والجماعية ابتداء من الستينات»،[32] فنحن أمام تيارين مختلفين، تيار يعتمد لغة الحياة اليومية لبناء النص الشعري، ممثلا في إليوت،

وتيار آخر يتأسس في "كيمياء الفعل" التي دعا إليها رامبو، «وقد هاجر الفرق بين هذين المفهومين إلى الشعر العربي المعاصر، ومن ثم يصبح النقاش بين الخال وأدونيس هو بالأساس نقاش ينطلق من مفهومين أوربيين، لا غنى عن الرجوع إليهما معا، واستيعاب مكامن الاختلاف بينهما».[33]

إنّ طبيعة اللغة الشعرية هي أساس الاختلاف بين أدونيس وجماعة "شعر" كما يؤكد ذلك محمد بنيس؛ فهو لا يطرح الدارجة كبديل عن الفصحى، لأنّ ذلك يتنافى وموقع اللغة داخل العمل الشعري، فهؤلاء يعتقدون أنهم باعتمادهم الدارجة سيحلون قضايا الأمة الثقافية، ولكن هذه النظرة تبسيطية تنظر إلى اللغة «من حيث إنّها وسيلة عملية للتخاطب والتفاهم، لا من حيث أنّها وسيلة إبداع، ينظرون إليها أفقيا لا عمقيا»،[34] فالهوة الحقيقية كامنة بين لغة الشعر –سواء كانت دارجة أم فصيحة– وبين لغة التواصل، ولذلك يقول أدونيس باستحالة اللغة الطبيعية في الشعر.

ثم يستمر متحدّثا عن الفرق بين الدعوتين، بين دعوة الخال، وبين دعوته إلى ضرورة إتقان اللغة قائلا: «في الشعر، في الأدب إجمالا، لا يكفي أن نعرف اللغة وإنّما أن نتقن أصولها وأسرارها»،[35] فالإتقان هو الذي سيحفر الهوة بين الشاعر–الخلّاق والآخرين، بين من يهتمون بالوظيفة التواصلية للغة وبين من يبحثون عن السرّ في اللغة، فالمشكلة ليست في اللغة التي نتكلم أو نكتب بها، ولكن المشكلة «أننا نكتب بروح تقليدية، ولغة تقليدية شبه ميتة مشكلتنا هي انعدام الإبداع وضعف روح التجدد، وانحطاط المستويات الثقافية نحن بمعنى آخر لا نكتب باللغة العربية، بل نكتب بأسلوب لغوي، انحطاطي ميّت، ترفضه اللغة العربية بالذات».[36]

يتحدّث أدونيس عن تغيير مدلولات اللغة، لخلق لغة شعرية مختلفة فالشاعر المبتكر هو الذي يصنع طريقته الشعرية الخاصة، وهو مدعو إلى القيام بثورة في لغته الشعرية، ثورة ضد اللغة القديمة، لغة الوضوح والمباشرة، فكان لا بدّ

من «تهديم وظيفة اللغة القديمة، أي إفراغها من القصد العام الموروث. هكذا تصبح الكلمة فعلا لا "ماضي" له، تصبح كتلة تشعّ بعلاقات غير مألوفة»،[37] وذلك بشحن اللغة بطاقات تعبيرية غير ما كانت تحمله، وهذه الإمكانية خطيرة «لأنّ عملية الشحن تتطلّب من الشاعر أولا، طمس آثار المعنى المعجمي كلية، وفتح أفق جديد لقرائن تدل على بزوغ محمول جديد على أنقاض اللفظ القديم، حتى لا يكون القصد عكسيا».[38]

ثم ينتقل إلى الوقوف عند خصائص هذه اللغة، حين يفرّق بين اللغة الشعرية واللغة العادية، فمن خصائص اللغة الشعرية الانحراف عن المعاني المألوفة، بإطلاق صراح الكلمة في فضاء دلالي مكثّف بالإيحاءات والرموز فعلى «اللغة أن تحيد عن معناها العادي، ذلك أنّ المعنى الذي تتخذه عادة لا يقود إلا إلى رؤى أليفة ومشتركة. إنّ لغة الشعر هي لغة الإشارة في حين أنّ اللغة العادية هي لغة الإيضاح»،[39] وهي اللغة التي يؤكد بنيس في كلّ مرّة على أنها لغة إيحاء لا لغة تواصل، ينتقل بها الشاعر من القوانين العامة التي تؤسس لغة التواصل بين الناس، إلى القوانين الخاصة المؤسسة للغة الإبداع التي لم يكتشف النقد الحديث جلّ أسرارها.

5-اللغة في "الكتابة": ارتبطت اللغة العربية بمتعاليات، جعلت قواعدها أهم ما فيها، هذه القواعد المقدسة التي لا يجب المساس بها أو تغييرها، قد سيّدت مطلقية اللغة، وأخضعتها إلى دائرة مستبدة فكان من نتائج هذه الدائرة أنّ الشعر قديما كان يقوم على الكلام، أي على البديهة والارتجال والوضوح، ما جعل الشعر صناعة، ولكنّ الشعراء المبدعين عبر العصور قد رفضوا الإذعان إلى هذه القواعد وتقديسها، وراحوا يخترقون قوانينها، ويتجاوزن متعالياتها، فقد نقلوها إلى مجال الغواية والمتعة، فكّكوا مغاليقها، وانتهكوا علّيتها، «إن اللغة التي لا تحترف الانشقاق والنقصان، أي الخروج على النمطية الوهمية، اعتمادا على أرقى المعارف العلمية، عاجزة عن أن تستوعب الذات المترنحة واللحظة

التاريخية اللتين تريد أن تحيا بهما ولهما»،[40] إنّ اللغة أعقد من التصور المتداول لها، فهي ما يركب النص زمانا، ومكانا، ونحوا، وبلاغة.

يمكننا الإشارة إلى أنّ مشروع "**بلاغة الكتابة**" الذي عمل بنيس على إرسائه؛ قد بدأ في التشكّل منذ ظهور التحوّلات التاريخية التي أعلت من النزعة الفردية فانبثقت بعض ملامح الكتابة، على مستوى البنيتين النحوية والدلالية، ثم انضافت بلاغة المكان إلى هاتين البنيتين مع الأندلسيين والمغاربة، ولكنّ الشعر ظلّ كلاما شأنه شأن المعرفة، فما الذي ينقصنا حتى نؤسس لهذا المشروع؟ وكيف يمكن للغة أن تكون الأساس في بناء هذا المشروع؟

عندما أراد بنيس تأمل تاريخية اللغة، والتحوّلات النوعية التي طرأت عليها انطلق من الكتابة الصوفية فلاحظ أنّها تتعامل مع اللغة بطريقة مختلفة متجاوزة كلّ الخطابات السائدة، حتى الشعرية القديمة منها، «بعد أن مزجت بين الصناعة والحلم، محطمة بذلك القواعد المتعارف عليها في بنينة الأنساق وقوانين الربط الصوري بين الأشياء والأسماء»، [41] داعيا إلى الإشادة بالتحولات النوعية التي حدثت في الكتابة الصوفية، ولكن تحوّلات اللغة لم تتوقف، ولم تهدأ ثورتها، وخاصة مع الشعر كخطاب نوعي، استفاد من فردانية مبدعيه حديثا، حيث نجد أنّ اللغة فيه تحيد عن الأشكال والقيم والقواعد المتعارف عليها، لتستمتع بحريتها، في الشعر وبالشعر، من خلال الكتابة.

أكّدت الكتابة على اختلاف الزمان فيها عن الأزمنة القديمة والحديثة، أزمنة التاريخ والنحو والتقنية، لأنّه يتشكّل في الدواخل، إنه النفس، بكل توتراته وانبساطاته، فلا يخضع إذا لقواعد سابقة، بهذا يختلف زمان الكتابة عن زمان الكلام الشعري، فهذا الأخير خاضع لميتافيزيقا البداية والنهاية، تتوحّد فيه الوقفات الإيقاعية والنحوية والدلالية، ومن ثم توافق الزمان الأوحد مع النفس الأوحد داخل القصيدة، فينبني إيقاع الشعر على النمطية والتكرار، في حين يقوم الزمان في الكتابة على تكسير وحدة الوقفات، مع ممارسة «إعادة تبنين

النص وفق اتجاهات النفس وتماديه في خرق الجاهز، وبالتالي تهجير الجسد من خطه الميتافيزيقي المستقيم المعلوم نحو أفق آخر يمنح لكل من الحياة والموت دلالة مغايرة»،[42] الزمان في الكتابة تجربة وممارسة، يعيد فيه الجسد تكوينه باختياره، ضدا في القالب–الذاكرة؛ الذي يطوّع الجسد للحبسة والمتعاليات، حتى يتخلّى عن نشوة المغامرة وجلال الخلق.

ولن يتم إبدال مفهوم الزمان في الكتابة دون إبدال مفهوم المكان نفسه، فقد جعل بعض الشعراء والنقاد الأندلسيين والمغاربة القدماء، من التركيب الخطي بعدا بلاغيا، يفتح النص على البصر بعد أن اكتفى بالسمع زمنا طويلا، حيث كان التناظر الصارم هو القالب الأساس لتخطيط القصائد، تبعا لقالب الإيقاع الخارجي، في حين نتعجّب من تجاهل النقاد حديثا لبنية المكان في الشعر، وسنكتشف أنّ «اللغة من حيث هي منطوق زمان، ومن حيث هي خط مكان»،[43] وما اهتمام العرب بالزمان إلا لأنّ الشعر كان عندهم كلاما، أي أصواتا، أما المكان فلم ينتبه الشعراء إلى تركيب قوانينه إلا مع ظهور "الكتابة".

احتفت الكتابة بالمكان في الشعر، فأخضعته للوعي النقدي؛ ودعت إلى إعادة تركيبه، حتى يتجاوز المفاهيم السائدة عنه، فلا ينظر إليه كحلية تتضاف إلى (الكلام، الصوت، الزمان)، فالكتابة لا تعتبر الخط مجرّد قناع أو حامل للمعاني، ولكنه نسق مغاير يخترق اللغة ويعيد تأسيسها، وكلّ بلاغة جديدة للنص يجب عليها اختراق (الكلام، الصوت، الزمان) بالخط؛ «الذي يملك سرّه الخاص لقلب المفهوم السائد للشعر، وهو فعل يجذّر مادية الكتابة وجدليتها»،[44] فمفهوم الخط كما دافع عنه بنيس، يُمكِّننا من الخروج على دائرة الكلام المغلقة، ويحرّر الجسد، إذ «ينفتح الخط علي تاريخيته، يدمر ميتافيزيقيته، وهو يتبع حركة الجسد ونشوته، تحرر حواسك، أليافك، كل الدلالات تصبح ممكن، تحطم استبدادية المعنى، الكلام، الصوت الخفي. ينقل الخط النص من المعنى إلى ما بعد المعنى».[45]

ولكن بنيس يحتفي بقيمة الفراغ في الكتابة، فهو الفضاء الذي تمارس فيه الذات وجودها وكينونتها، وعبره يعيد الجسد بنينة المكان، منتشيا بموسيقية الخط، فإعادة تركيب المكان لا تكون بالخط وحده، لأنّ **الفراغ** يصحب **الخط** عبر لعبة الأبيض والأسود، لتصبح **قوانين ملء-إفراغ** المكان متعدّدة ولا نهائية، «ومن ثمّ تؤكد الكتابة على **صناعيتها وماديتها**، وعدم الاحتفال بالفراغ سقوط في الكتابة المملوءة التي لا تترك مجالا لممارسة حدود الرغبة، إذ أن كل كتابة مملوءة هي كتابة مسطرة لحد واحد يدّعي تملّك الحقيقة، يتوجد ضمن خط الحياة الميتافيزيقي، ببدايته ونهايته المعلومتين».[46]

يرى بنيس أنّ النص الشعري ليس «ركاما من الأدلة المتجاورة فيما بينها، بل هو نسج معقّد لأدلة متحركة ضمن علائق ترابطية وتواردية»،[47] فهو لا يتشكّل عبر قوانين لغة التواصل، أو الكلام العادي، فالشعر يخترق هذه القوانين، ليؤسس قوانينه الخاصة، وهذا الخروج أمر مقصود من الشاعر، وهو نواة لتركيب النص وتعيين رؤيته للعالم، ومن مظاهر هذا الخروج أيضا أن تعمل البنية الإيقاعية على خلخلة البنية النحوية، فيؤدي الصراع بينهما إلى انتصار الإيقاع، وما الإيقاع إلا النفس، «ولذا فإن ما يحدّد المتتاليات داخل النص هو هذا النفس، ضوء الجسد النافذ إلى عتمة الكلام اليومي وقوانينه العامة»،[48] ليتعمّق دور الجسد ومركزيته في مساءلة القوانين العامة للغة خاصة عندما يتعاضد مع الوعي النقدي، في «تفتيت متعالياتها، وإعطائها خصيصتها التاريخية، من خلال استحداث قوانين مضادة، تمحو العليّة وتفصح عن مادية الكتابة وجدليتها».[49]

6-خاتمة: توصلنا من خلال ملازمتنا لوضعية اللغة في الخطاب النقدي عند محمد بنيس إلى النتائج التالية:

-تمركزت اللغة في صميم الخطاب النقدي عند بنيس، فقد كانت من أهم القضايا النظرية التي أخذت حيّزا كبيرا من اهتمامه، بحث في قيمتها، وفي وظيفتها، وجعلها مجالا للتأمل النظري في جلّ أعماله؛

-انتقلت اللغة في المختبر الشعري العربي من كونها "لغة تعبير" في الشعر العربي القديم، وفي بعض الشعر الرومانسي ولدى بعض الحديثين من أنصار الشعر الحر، إلى "لغة خلق" في الشعر المعاصر عند رواد الحداثة العربية؛

-انشغال الشعراء المعاصرين بطرح إشكالية اللغة لا يقل أهمية عن انشغالهم بإشكالية بناء النص والبحث عن مسكن حر، وهو بالتالي إعادة الاعتبار لما هو أساسي في علاقة الإنسان العربي باللغة؛

-يؤكد بنيس على أن اللغة الشعرية لغة إيحاء لا لغة تواصل، ينتقل بها الشاعر من القوانين العامة التي تؤسس للغة التواصل بين الناس، إلى القوانين الخاصة المؤسسة للغة الإبداع؛

-نفرق في "الكتابة" بين مصدر الكتابة (اللغة الخالقة، التعبير الذاتي) وبنائها (الشكل المفتوح)، ففي مصدر الكتابة تأويل، وفي بنائها وصف، والقول باللغة الخالقة والتعبير الذاتي يذهب بنا نحو اللغة التي تكتب نفسها وتكتبنا في الآن ذاته.

6. قائمة المراجع:

1) أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989.

2) أدونيس، ديوان الشعر العربي، الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط 1964.

3) أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، 1972.

4) أدونيس، فاتحة لنهايات القرن، بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، دار العودة بيروت، ط1، 1980.

5) أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979.

6) بنيس محمد، "بيان الكتابة"، مجلة الثقافة الجديدة، المغرب، ع19، س1981، ص ص34-55.

7) بنيس محمد، حداثة السؤال، بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، المركز الثقافي العربي، المغرب-لبنان، ط2، 1988.

8) بنيس محمد، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ج3، الشعر المعاصر، دار توبقال، المغرب، ط3، 2001.

9) بنيس محمد، الحق في الشعر، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2007.

10) بوسريف صلاح، رهانات الحداثة، (أفق لأشكال محتملة)، دار الثقافة للنشر الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.

11) جبران خليل جبران، الأعمال العربية الكاملة، هاشيت أنطوان للنشر، بيروت لبنان، 2015.

12) الخال يوسف، الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، 1978.

13) خير بك كمال، حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، المشرق للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1982.

14) الملائكة نازك، مقدمة: "شظايا ورماد"، ضمن: ديوان نازك الملائكة، مج2، دار العودة، بيروت، د.ط، 1997.

15) النويهي محمد، قضية الشعر الجديد، المطبعة العالمية، القاهرة، 1964.

16) الورقي السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، (مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية)، دار النهضة، بيروت، ط3، 1984.

7. هوامش:

(1) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ج3، **الشعر المعاصر**، دار توبقال، المغرب، ط3، 2001، ص78.

(2) السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، (مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية)، دار النهضة، بيروت، ط3، 1984، ص05.

(3) محمد بنيس، حداثة السؤال، بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، المركز الثقافي العربي، المغرب–لبنان، ط2، 1988، ص187.

(4) المصدر نفسه، ص17.

(5) محمد بنيس، الحق في الشعر، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2007، ص26.

(6) المصدر نفسه، ص20.

(7) حسب فلهليم فان همبولد (1767–1835) Wilhelm Von Humboldt، ينظر: المصدر نفسه، ص20.

(8) محمد بنيس، الحق في الشعر، ص18.

(9) أدونيس، ديوان الشعر العربي، الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1964 ص ص11–12.

(10) محمد بنيس، ج3، الشعر المعاصر، ص78.

(11) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(12) أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989، ص66. والملاحظ أنّ محمد بنيس قد بنى جزءا من متعاليات الشعرية العربية على هذه المسلمة، ولم ينتبه إلى هذا التراجع وقيمته المعرفية.

(13) محمد بنيس، "بيان الكتابة"، مجلة الثقافة الجديدة، المغرب، ع19، س1981، ص44.

(14) المصدر نفسه، ص37.

(15) المصدر نفسه، ص34.

(16) محمد بنيس، حداثة السؤال، ص75.

(17) جبران خليل جبران، الأعمال العربية الكاملة، هاشيت أنطوان للنشر، بيروت، لبنان 2015.ص554.

(18) المرجع نفسه، ص560.

(19) محمد بنيس، ج3، الشعر المعاصر، ص80.

(20) جبران خليل جبران، الأعمال العربية الكاملة، ص554.

(21) محمد بنيس، ج3، الشعر المعاصر، ص80.

(22) ينظر: مقدمة: "شظايا ورماد"، ضمن: ديوان نازك الملائكة، مج2، دار العودة، بيروت د.ط، 1997، ص11.

(23) وردت الدراسة ضمن كتاب: الشعر بين نقاد ثلاثة، ترجمة واختيار: منح خوري، دار الثقافة، بيروت، 1966، ص27. في حين ترجم النويهي الدراسة وضمّنها كتابه: "قضية الشعر الجديد".

(24) محمد النويهي، قضية الشعر الجديد، المطبعة العالمية، القاهرة، 1964، ص06.

(25) محمد بنيس، ج3، الشعر المعاصر، ص83.

(26) محمد النويهي، قضية الشعر الجديد، ص41.

(27) المرجع نفسه، ص06.

(28) كمال خير بك، حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، المشرق للطباعة والنشر بيروت، ط1، 1982، ص116.

(29) يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص91.

(30) محمد بنيس، ج3، الشعر المعاصر، ص 84.

(31) المصدر نفسه، ص84.

(32) المصدر نفسه، ص85.

(33) المصدر نفسه، ص86.

(34) أدونيس، فاتحة لنهايات القرن، بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، دار العودة، بيروت ط1، 1980، ص60.

(35) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(36) المرجع نفسه، ص61.

(37) أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، 1972، ص131.

(38) صلاح بوسريف، رهانات الحداثة، (أفق لأشكال محتملة)، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص ص47-48.

(39) أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979، ص88.

(40) محمد بنيس، "بيان الكتابة"، ص44.

(41) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(42) المصدر نفسه، ص45.

(43) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(44) المصدر نفسه، ص46.

(45) المصدر نفسه، ص47.

(46) المصدر نفسه، ص46.

(47) المصدر نفسه، ص48.

(48) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(49) المصدر نفسه، ص49.

السّرد في المجموعة القصصيّة الكيس الأسود لحسام أبو العلا

The narration in the collection of the story The Black Bag by Hossam Abu Al-Ela

د. هرمة فاطمة♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-001-010

تاريخ الاستلام: 09-07-2024 تاريخ القبـول: 18-11-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يعد السرد مكونا رئيسيا في البناء القصصي، فبواسطته تلتحم أجزاء القصة، ويعبر الكاتب عما يختلج في دواخل شخصياته من أفكار وشعور، فلا يمكن بناء قصة أو رواية من دونه، فهو الركيزة الأساسية التي تبنى عليها، ومن خلاله تتضح لنا أركانها من حدث ومكان وزمان وشخصيات وللسرد أساليب ووظائف ورؤى أو زوايا يمكن للراوي أن يروي بها عمله الأدبي.

لذلك حاولت من خلال هذه الورقة البحثية كشف الرؤى السردية في المجموعة القصصيّة "الكيس الأسود" لحسام أبو العلا من خلال التطرق لمفهوم السرد والرؤية السردية وزواياها في "الكيس الأسود"، وكيف جاءت لغة السرد والحوار فيها؟

كلمات مفتاحيّة: السرد؛ حسام أبو العلا؛ الرؤية السردية.

♥ جامعة غرداية.

البريد الإلكتروني: herma.fatma@univ ghardaia.dz (المؤلف المرسل).

Abstract: Narration is a major component in narrative construction. Through it, the parts of the story are united, and the writer expresses the thoughts and feelings that rage inside his characters. It is not possible to build a story or novel without it, as it is the basic foundation on which it is built, and through it, its pillars become clear to us: event, place, time, and characters. Narration has methods, functions, visions, or angles through which the narrator can narrate his literary work.

Keywords: Narration ; Hossam Abu Al-Ala; The narrative vision.

1. مقدّمة: إن السرد مفهوم واسع، إذ يشمل القصة والرواية والسينما والتاريخ..، فهو يضم مختلف الخطابات الأدبية وغير الأدبية، هو حاضر في الحكاية والقصة اللتيْن لا غنى للشعوب عنهما، ومن خلال السرد تبنى الأحداث الحقيقية أو الخيالية والتي بدورها تعرض عن طريق اللغة المكتوبة أو المنطوقة.

والقصة القصيرة وفدت إلى أدبنا العربي كفن مكتوب من خلال الاحتكاك بالآداب الأخرى عن طريق الترجمة، فهي قد تكون قصصًا خيالية من نسج خيال الكاتب أو صورة عاكسة للمجتمع، تصور واقعه الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

وفي هذا البحث تطرقت إلى السرد من خلال المجموعة القصصية "الكيس الأسود" لصاحبها الصحفي والقاص المصري حسام أبو العلا، من خلال طرح إشكالية كيف وردت الرؤية السردية ولغة كل من السرد والحوار في تلك المجموعة القصصية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية تطرقت لمفهوم السرد والرؤية السردية أو زاوية النظر التي اعتمدها القاص، واللغة التي عرض بها أحداث قصصه وأنواع الحوار التي جسدها من خلالها.

-**نبذة عن الكاتب:** حسام أبو العلا، ،صحفي وقاص مصري، من مواليد مدينة كفر صقر، محافظة الشرقية، متحصل على شهادة الليسانس في الآداب سنة1995، من قسم التاريخ جامعة الزقازيق، عضو في نقابة الصحفيين المصريين، صحفي في مجلة أكتوبر-دار المعارف- وكاتب مقالات في عدد من المواقع والصحف، حاصل على درع التميز في المجال الإعلامي من السفارة المصرية بالسعودية في مايو 2004، وحاصل على درع محافظتي الفيوم وبني سويف ودرع وزارة الثقافة المصرية، من إصداراته: "قلب مهزوم" وهي عبارة عن قصص قصيرة سنة 2007، الكيس الأسود2018، موعد الفراق2020، وداع2022.

وقد جاءت المجموعة القصصية" الكيس الأسود" محل الدراسة في 104صفحة، متكونة من15 قصة تتناول قضايا متنوعة ما بين اجتماعية واقتصادية وثقافية، فتطرق للتضامن في قصة "الكيس الأسود" و"ليلة العيد"، عقوق الوالدين في "جحود"، قسوة الآباء في "الكهلة"، الحب والفقد في "دنيا" و"الفراق"، المرأة المضطهدة والمكافحة في "رحلة العمر" و"اغتصاب" و"شروق"، التسامح الديني في "أخي القبطي"، المرأة اللعوب والمهملة في "سحر العيون" و" الابتسامة المفقودة " الطبقية في "عودة مخيبة " و" الغفران".

2-مفهوم السرد: جاء في لسان العرب لابن منظور تقدمة شيء إلى شيء ما، تأتي به ملتصقا أثره في أثر بعض متتابعا. ويقال سرد الحديث ويسرده سردا: إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا: إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا: إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم: لم يكن سرد الحديث أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه[1] (ابن منظور1999)، فالسرد بالمنحى اللغوي يعنى تتابع الأحداث وتواليها.

وهو" الحديث أو الإخبار لواحد أو أكثر من واقعة حقيقية أو خيالية، من قبل واحد أو أكثر من الساردين، وذلك لواحد أو أكثر من المسرود لهم"[2] (علي المانعي2010).

عد السرد" فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة، وهو فعل حقيقي أو خيالي، ثمرته الخطاب، ويشمل السرد–على سبيل التوسع–مجمل الظروف المكانية والزمنية والواقعية والخيالية التي تحيط به، فهو إذن عملية إنتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج، والمروي له دور المستهلك، والخطاب دور السلعة المنتجة"[3] (لطيف زيتوني2002).

والحكي يقوم على دعامتين:

أولاهما: أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداثًا معينة.

ثانيهما: أن يعين الطريقة التي يحكي بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سردا، ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة، ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي."[4](حميد لحمداني2000)، فالسرد إذن يمثل حلقة تتكون من راو ومروى له وخطاب ويقوم على قصة أو حكاية متعددة الأنماط في طريقة إخراجها كنص منطوق أو مكتوب.

3–الرؤية السردية: الرؤية، الرؤية السردية، زاوية الرؤية، البؤرة، التبئير... كل هذه مصطلحات نقدية نجدها، في مجال النقد الروائي الحديث... وهي مصطلحات تركز في معظمها–رغم بعض الفروقات البسيطة على الراوي، الذي من خلاله، تتحدد "رؤيته" إلى العالم الذي يرويه(بشخصياته) وأحداثه. وعلى الكيفية التي من خلاله في علاقته بالمروي له...[5](أمنة يوسف2015)، وهي كشف الطريقة التي تدرك بها الحكاية من قبل السارد.

لقد غلب نمط السرد الذاتي في هذه المجموعة القصصية، حيث نجد المؤلف كأنه هو البطل فيروي القصص على لسانه، من خلال غلبة ضمير

المتكلم .من ذلك" استعوضت الله في حقوق أبنائي، وبدأت في البحث عن عمل...التحقت بوظيفة عاملة نظافة في مستشفى خاص، لكن كانت الجنيهات القليلة لا تكفي نفقات الأولاد الثلاثة، فاضطررت إلى العمل فترتين ..."[6](حسام أبو العلا2018)، ونجد أيضا قوله" حاولت كثيرا الاقتراب منها لأزجرها كي تتوقف عن خلط أنفاسها الدافئة بأنفاس محملة بقطران التبغ ، ثم أتراجع لأن المسافة بيننا أكثر من شاعرة ومعجب ..."[7](نفسه).

وتتعدد رؤى السرد في القص والرواية، وفي هذه المجموعة القصصية وجدت نوعين من الرؤية السردية هما:

3-1-الرؤية مع: هي الرؤية التي تتساوى فيها أو-تتصاحب-معرفة الراوي بمعرفة الشخصيات الروائية، لذلك كثيرا ما نجد شخصية الراوي تتطابق مع الشخصية القصصية فيتم السرد بضميري المتكلم والغائب "[8] (محمد عزام2003)، ومن بين المقاطع التي تتطابق فيها شخصية الراوي مع الشخصية القصصية في المقطع التالي: "لاحظت أن عينيها تفتقدان الإحساس بحركاتي"[9](حسام أبو العلا2018)، يبين لنا هذا المقطع أن السارد لم يكن يعلم بأن العجوز كفيفة، وعرف ذلك من خلال حركاتها فقط وبالتالي فشخصية السارد هنا متساوية مع الشخصيات من حيث المعرفة.

ونجد أيضا: "وصلت إلى بيتها فلم أجدها تجلس كعادتها. وأخبرتني جارتها بأنها مريضة وترقد بالداخل"[10](نفسه)، الساردة هنا لم تكن على علم بما جرى من أحداث بعدها إلا عند قدومها.

وأيضا: " وفي نهاية الزيارة كانت ترحل الضيفة وتخفي بين طيات ملابسها كيسا أسود، ما أصابني بالحيرة وظل الفضول يؤرقني وكنت شغوفا لأعرف ما الذي تخفيه أمي بالكيس...الكيس كان به بقايا طعامنا..."[11](نفسه)، فالسارد عرف محتوى الكيس من والدته، أي من طرف الشخصية، ولم يكن عالما بكل الأحداث.

ومن أمثلة هذه الرؤية أيضا:" أخبرتني أنها تحتاج إلى جراحة، وطلبت من ابنها أن يمنحها مبلغا من المال لتتمكن من العلاج، لكنه تجاهل طلبها، ولم تكترث بناتها بالذهاب للأطباء قبل أن تسوء حالتها"[12](نفسه)، في هذا المقطع عبرت الشخصية عن معاناتها مع المرض ومع بناتها الجاحدات، والساردة هنا عرفت المعلومة من طرف الشخصية وبالتالي تحققت الرؤية مع.

في المثالين التاليين نجد ضمير المتكلم مما يدل على الرؤية مع من خلال الأفعال التامة: بدأت –التحقت –سافرت.

"بدأت في البحث عن عمل...التحقت بوظيفة عاملة نظافة في مشفى خاص..."[13](نفسه).

فقد سافرت للعمل بالخارج عدة أعوام... وخلال إجازتي القصيرة كنت ألتقي شقيقي القبطي لمعرفة أخباره والاطمئنان على أحواله..."[14] (نفسه).

3-2-الرؤية من الخلف: هي الرؤية "التي تكون فيها، معرفة الراوي أقل من معرفة الشخصيات الروائية"[15](أمنة يوسف2015)، ومن نماذج هذه الرؤية المقطع التالي: "عفويتها ونقاؤها وزهدها أعطتني طاقة إيجابية لتحدي ما أعانيه من وجع"[16](نفسه)، فالسارد هنا عالم بما تحمله أم يوسف بداخلها من صدق ونقاء.

"كان أبي باردا في أحاسيسه ولا أتذكر يوما أنه احتضنني أو قبلني"[17](حسام أبو العلا2018)، فالسارد هنا يسترجع ذكرياته مع والده التي تنم عن الألم وقسوة الأب التي تركت بداخله جرحا دفينا.

"في المرات القليلة التي تحدث معي فيها كانت نظراته الثاقبة تتفحصني تشير إلى أنه يعاني حرمانا..."[18](نفسه)، في هذا المقطع كانت الساردة على علم بالمشاعر التي يحملها زوج الطبيبة لها والأفكار التي تختلج بداخله نحوها.

كان عبوسا وملامح وجهه معقدة يصعب فك غموضها، وكان لسانه سليطا يقطر سما وينطق بأقذع الألفاظ"[19](نفسه)، في هذا المقطع يبين لنا السارد ما تحمله هذه الشخصية من الصفات السيئة.

"...تم اصطحابي إلى حفل كبير بحضور مسؤولين، جلست لا أفهم شيئا ثم سمعت صوت أحد منظمي الحفل يطالبني بالصعود إلى المسرح..."[20](نفسه) من خلال هذا المقطع يتبين لنا أن شخصية الساردة شخصية عادية مثل باقي الشخصيات الأخرى، فهي مجرد طرف مشارك في الأحداث.

فالرؤية السردية الغالبة هي (الرؤية مع)، ذلك أن السارد هو الذي يحكي الأحداث وهو البطل، ليس المؤلف.

4-لغة السرد: اللغة كما يعرفها الفارابي: "نظام اجتماعي تتكلمه جماعة عينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتتحقق به وظائف معينة، وتتشكل من جيل إلى جيل."[21](نادية رمضان النجار، دط)، أي أنها تحمل تراكيب وقواعد معينة ينتجها المجتمع بهدف التواصل.

وقد جاءت لغة السرد في هذه المجموعة القصصية بسيطة قريبة المأخذ تخلو من التعقيد، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الموضوعات التي طرقها، والتي يغلب عليها الطابع الاجتماعي، فهي لغة تكاد تخلو من الانزياح فلم يكسر فيها الكاتب أفق توقع المتلقي ومن ذلك نجد قوله:" فاللغة في هذه المجموعة القصصية فصيحة تكاد تخلو من اللغة العامية إلا ما ندر على نحو قوله في قصة (شقيقي القبطي): "يابني طول عمرنا متربيين سوا مسيحي ومسلم، بنقسم اللقمة سوا، وشغلنا سوا... "[22] وفي قوله" هتقعدوا هنا وكل طلباتكم مجابة...هبقى أزوركم مرة فالأسبوع...مش عاوزة شقاوة عشان أمي صحتها على قدها"[23](حسام أبو العلا2018).

فاستخدام الكاتب للغة العامية فيه محاولة منه للغوص في أعماق المجتمع الذي يعيش فيه وإضفاء بعد واقعي على مجموعته القصصية.

كما أن لغته جاءت بسيطة بساطة الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي تدور فيه أحداث القصص وشخصياتها، نجد من ذلك: "بعد جولة مرهقة وفي طريق عودتي إلى البيت، لم أشعر إلا وأنا في شارع يبدو من مبانيه المتصدعة الفقر المدقع لساكنيه، وفجأة تسمرت قدماي أمام عجوز تجلس على عتبة بيتها، ملابسها السوداء الرثة والتجاعيد على وجهها العابس أصابتني بالخرس ..."[24](نفسه).

يمكن القول إن لغة الكاتب تسير في منحى واحد فلا نجد اختلافًا بين الراوي ولغة الشخصيات.

كما أن لغته في أغلبها بسيطة واضحة، لكننا نجد بعض الإنزياحات الطفيفة تتخلل بين طيات بعض القصص، حيث استخدم اللغة الشعرية على نحو قوله في قصة (جحود):"...لكن يكفي هذه العجوز الرحوم أنها، دون أن تدري أو تقصد، فتحت بقلبي طاقة أمل ونور فجرت نهرا من الخير والعطاء..."[25](نفسه)، فاللغة هنا جاءت موحية تقترب من لغة الشعر.

5-الحوار: الحوار عنصر ضروري في القصة والرواية والمسرحية، فهو يكشف لنا تطور الأحداث، ويخدم الشخصية في العمل السردي، وهو "أنواع وفنون، ولكن أصله أن يكون طرفان يتداولان الحديث حول مسألة ما أو قضية فيجري بينهما كلام حول تلك المسألة أو القضية هذا الكلام هو الحوار أيا كان موضوعه أو أطرافه، إنه عملية لغوية تواصلية"[26](السيد خضر2009)، وينقسم الحوار إلى قسمين: حوار داخلي (مونولوج)، وحوار خارجي، وهو الشائع بكثرة وكان الحوار في هذه المجموعة القصصية كالتالي:

5-1-الحوار الداخلي: هذا الحوار هو حديث بلا صوت يجري داخل الشخصية ويكون مجالها النفس، ففيه تتحاور الشخصية مع نفسها، تعبر عن مشاعرها ومن أمثلته نجد:

"كنت شغوفا لأعرف ما الذي تخفيه أمي بالكيس... ولماذا تعطيه لهذه السيدة؟!"[27](حسام أبو العلا، ص:8)، فالسارد هنا كان يحادث نفسه طيلة سنين عن محتوى الكيس ولم يستطع أن يبوح لوالدته عن فضوله هذا، إلا بعد سنين لما وقعت أمه على فراش الموت.

وفي المقطع التالي: "ظل قلبي يعاتبني. كيف كانت منسية بين أوراقي المطوية؟!"[28](نفسه، ص:95)، يسأل السارد نفسه كيف نسي الرسائل التي تركتها شروق. وهو حوار فيه نوع من الندم والخوف من تصفح تلك الرسائل.

5-2-الحوار الخارجي: وهو حوار يدور بين شخصيتين أو أكثر في إطار المشهد داخل العمل بطريقة مباشرة، ويطلق عليه تسمية الحوار التناوبي أي الذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر بطريقة مباشرة، إذ إن التناوب هو السمة الإحداثية الظاهرة عليه[29](بسام خلف،ص:4)، ومن مثلته نجد:

حوار السارد مع والدته: قالت بصوت وهن: "سأكشف لك السر الذي كان يؤرقك"[30](حسام أبو العلا، ص:9).

وحوار السارد مع العجوز: قالت بصوت خفيض: إن زوجها هجرها منذ أعوام لا تذكر عددها بعد أن اشتد عليه الفقر والمرض وبات عاجزا عن تحمل النفقات"[31](نفسه، ص:14).

وفي المقطع التالي حوار السارد مع زوجته حول مبلغ السلفة الذي اقترحت عليه أن يعطيه للعم أحمد لشراء لبس العيد لأبنائه، لكنه كان ينتظر منها تغيير رأيها بعد هذا السؤال: "باغتها بسؤال: "كيف أجبر خواطر أبناء عم محمد وأكسر قلب ابني؟"[32](حسام أبو العلا، ص:80).

وفي الحوار الذي دار بين السارد وشروق نجد: قالت: "بعد رحيلك في أحلك أيام حياتي، ماتت أمي، ثم تزوجت من ابن عمي في مسقط رأسي بالجنوب لكنه قتل بسبب خصومة ثأرية وأخذ ابني بثأره وحاليا يقبع خلف قضبان السجن..."[33](نفسه، ص:98)، من خلال هذا المقطع عبرت شروق عن مسيرة

حياتها بعد رحيل السارد، وبذلك عرفت المتلقي والسارد بأحداث ماضية لم نكن لنعرفها لولا هذا الحوار.

5. خاتمة: من النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الورقة البحثية:

-تمثل المجموعة القصصية (الكيس الأسود) لحسام أبو العلا نموذجا للواقع الاجتماعي والاقتصادي والنفسي للمجتمع المصري والعربي بصفة عامة؛

-إن الكاتب اعتمد في سرد قصصه على السرد الآني الذي اتخذ فيه من السارد شخصية قصصية تدير ضفة السرد؛

-اعتمد الكاتب على الرؤية مع والرؤية من خلف مع غلبة الرؤية مع، كون السارد طرفًا في القصة وشخصية من شخصياتها، استلم كفة السرد في كل القصص؛

-لغة القاص لغة بسيطة سهلة المنال لا تحتاج لإعمال ذهن حتى تفك شفراتها، هي لغة بسيطة بساطة الطابع الاجتماعي الذي عالجه القاص في مجموعته، تجد فيها بعض العبارات العامية الهدف إضفاء واقعية على النص السردي. كما استخدم اللغة الشعرية ليضفي بعض الجمالية والخيال لجذب المتلقي؛

-جاء الحوار واضحًا وسلسًا، مفهوم في التراكيب والألفاظ، تطغى عليه لغة الجرائد التي تستوعبها كل فئات المجتمع، كون القاص صحفيًا قبل أن يكون

كاتبًا، فانعكست لغته على كتاباته، وقد ورد الحوار بنوعيه في المجموعة القصصية (الداخلي والخارجي)، تعرفنا من خلاله على ما تفكر فيه الشخصيات، وأسهم في تطور الأحداث.

6. قائمة المراجع:

[1] –ينظر: بن منظور، لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، –محمد الصادق العبيدي، مادة:(س ر د)، ج:6، دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، ط3، 1999، ص:121.

[2] –علي المانعي، القصة القصيرة المعاصرة في الخليج العربي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2010، ص:36.

[3] –لطيف زيتوني، معجم المصطلحات (نقد الرواية)، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2002، ص:105.

[4] –حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2000، ص:45.

[5] –ينظر: آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص:47.

[6] –حسام أبو العلا، الكيس الأسود، النخبة للنشر والطباعة والتوزيع، الجيزة–مصر– ط2، 2018، ص:32.

[7] –نفسه، ص:44.

[8] –تنظر محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحديثة، اتحاد الكتاب العرب، ط2، 2003، ص:101.

[9] – الكيس الأسود، ص:14.

[10] –نفسه، ص:15.

[11] –نفسه، ص:9.

[12] –نفسه، ص:14.

[13] –نفسه، ص:32.

[14] –نفسه، 41.

[15] –أمنة بلعلى، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، م س، ص:47.

[16] –نفسه، ص:16.

[17] –الكيس الاسود، ص:20.

[18] –نفسه، ص:33.

[19] –نفسه، ص:19.

[20] –نفسه، ص:37.

[21] –نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، مرجعة وتقديم عبده الراجحي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية–مصر، دط، ص:41.

[22] –الكيس الأسود، ص:39.

[23] –الكيس الأسود، ص:51.

[24] –نفسه، ص:13.

[25] –نفسه، ص:17.

[26] –السيد خضر أبحاث في النحو والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ج:1، ص:125.

[27] –الكيس الأسود، ص:8.

[28] –نفسه: ص:95.

[29] –ينظر: بسام خلف سليمان، الحوار في رواية الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل–دراسة تحليلية–مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مجلد:7، ع:13، 2013، ص:4.

[30] –الكيس الأسود، ص:9.

[31] –السابق، ص: 14.

[32] –نفسه، ص:80.

[33] –نفسه، ص:98.

الكيتش في شعر العصر العثماني
(التوجيه البلاغي–أنموذجا)

Kitsch in the poetry of the Ottoman era
Rhetorical guidance - paradigm

د. محمد بن راضي بن نجا الشريف♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-027-001-011 DOI

تاريخ الاستلام: 28-05-2023 تاريخ القبـول: 10-08-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يزخر شعر العصر العثماني بالمظاهر الكيتشية؛ التي تلتبس فيها المقدرة الفنية بالخروج على جوهر الفن وأصالته؛ فلقد عُدّت المحسنات البديعية في هذا العصر علامة إبداع وتفوّق، ويكاد التأليف في تعريفها ورصد شواهدها هو المنجز النظري الوحيد فيه. وفن التوجيه البلاغي الذي يعتمده البحث فنّ دقيق يخفى مسلكه على كثير من الأدباء والدارسين. يهدف البحث إلى رصد جانب من الإسراف في استخدام المحسّن البلاغي في العصر العثماني، من منظور الكيتش (Kitsch) الذي يعتمد التزيين السطحيّ، ويعتمد الرداءة الخلاّبة التي يؤخَذ بها المتلقي. باعتماد المنهج الاستقرائي الوصفي من خلال شواهد لهذا الفن في أزمنة مختلفة؛ يحاول البحث أن يتبنّى موقفا نقديّا من هذه الظاهرة البلاغية التي اعتمدها الشعر العربي في العصر العثماني من خلال توظيف مصطلح الكيتش كأداة، وذلك بوساطة تحليل أبيات شعرية اعتمدت هذا المحسن البلاغي في إطار كيتشي.

♥ جامعة الحدود الشمالية–عرعر– المملكة العربية السعودية أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية/ كلية التربية والآداب.

البريد الإلكتروني:smr314@hotmail.com (المؤلّف المرسل).

كلمات مفتاحيّة: العصر العثماني؛ الكيتش؛ التوجيه؛ الإيهام؛ التورية؛ الرداءة الخلابة.

Abstract: The poetry of the Ottoman era is full of kitsch manifestations. in which the artistic ability is confused by deviating from the essence and originality of art; rhetorical ornamental devices in this era are considered a sign of creativity and excellence, and authorship in defining them and monitoring their evidence is the only theoretical achievement in it. The art of rhetorical guidance (in Arabic ,'التوجيه البلاغي') which the research adopts, is a subtle art whose path is hidden from many writers and scholars. The research aims to monitor an aspect of the extravagance in the use of the rhetorical enhancer in the Ottoman era, from the 'kitsch' perspective, which relies on surface embellishment, and relies on the picturesque mediocrity with which the recipient is taken. By adopting the descriptive inductive approach through evidence of this art in different times; The research attempts to adopt a critical position on this rhetorical phenomenon that was adopted by Arabic poetry in the Ottoman era by employing the term kitsch as a tool, by analyzing poetic verses that adopted this rhetorical enhancer in a kitschy framework.

Keywords: the Ottoman era - kitsch - rhetorical guidance - illusion - puns - picturesque mediocrity.

1- المقدمة: يزخر العصر العثماني بمادة شعرية ضخمة متنوعة لم توفّ حقها من البحث الدقيق المتعمّق؛ لذا يحاول هذا البحث اكتشاف جانب مهم في شعر هذه الفترة، ليجلّي عن ظاهرة وصف بها هذا الشعر باستخدام مصطلح حديث ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي من شأنه أن يقارب ويفسّر طغيان

الزخرف اللفظي والمحسّن البديعي على هذا الشعر. وقد اختار الباحث فن (التوجيه) البلاغي لإثبات فرضية البحث التي تذهب إلى أن الكيتش وراء تدثر شعر هذه العصور بالصنعة المفرطة التي عدّت من أبرز الملامح التي ميّزت هذا الشعر، ولم يسبق–حسب علم الباحث–الاستعانة بالكيتش بوصفه مدخلاً نقديًّا في دراسة شعر ذلك العصر. ومن ثم يهدف البحث إلى إبراز العامل الذي يجعل جلّ شعراء هذا العصر يحتفلون بهذا المحسن البديعي، ويطمح إلى إجابة الأسئلة الآتية:

-ما مظاهر الكيتش في شعر هذا العصر؟

-ما الأمر الذي يقف وراء اعتماد الشعراء لهذا المنحى الشعري؟

-كيف أشاد النقاد والدارسون بهذا الصنيع وجعلوه علامة تفوّق شعري؟

-هل جاء الاحتفال بالتوجيه البلاغي على حساب جودة هذا الشعر؟

الصعوبات:

-سعة العصر وامتداده الزمني وكثرة المادة الشعرية؛

-بعض الدواوين الشعرية ما زالت مخطوطة؛

-عدم استقرار فن التوجيه ووضوحه عند البلاغيين في المدوّنات القديمة والحديثة.

الدراسات السابقة:

لا توجد –حسب علم الباحث–دراسات استخدمت مصطلح الكيتش ووظفته لدراسة الشعر، لكن هناك دراسات اختصت بالكيتش في الرواية وفي فن النحت، وهي:

-"الكيتش" الرّداءة الخلابة بين ميلان كونديرا في روايته "كائن لا تُحتمل خفّته"، وسعيد صافي في روايته "الكيتش2011 "، للباحثة ويزة غربي، نشر في مجلة 2021؛

-تماثيل الكيتش في سورية، للباحث عمّار المأمون، نشر في مجلة قلمون، 2020.

منهج البحث:

يحاول البحث تبنّ موقفا نقديّا من ظاهرة بلاغية اعتمدها الشعر العربي في العصر العثماني من خلال توظيف مصطلح الكيتش كأداة، وذلك بوساطة تحليل أبيات شعرية اعتمدت هذا المحسن البلاغي في إطار كيتشي.

هيكل البحث:

1. المقدّمة.
2. الجانب النظري.

1.2 مفهوم الكيتش.

2.2 مظاهر الكيتش في شعر العصر.

3.2 فن التوجيه.

3. الجانب التطبيقي.

1.3 التوجيه بأسماء الأعلام.

1.1.3 التوجيه بأعلام الرجال من أنبياء وخلفاء وملوك وسلاطين وولاة ومشاهير.

2.1.3 التوجيه بأسماء الرواة.

3.1.3 التوجيه بأسماء القبائل والمذاهب.

4.1.3 التوجيه بأسماء الكتب وسور القرآن.

2.3 التوجيه بقواعد العلوم ومصطلحاتها.

1.2.3 التوجيه بالمصطلحات النحويّة.

2.2.3 التوجيه بمصطلحات العروض والموسيقى.

3.2.3 التوجيه بالمصطلحات البلاغية.

4.2.3التوجيه بمصطلحات علوم متفرقة ويشمل مصطلحات علم المنطق والأدوية وعلم النجوم وعلم الهندسة.

4. الخاتمة:

1.4 النتائج.

2.4 التوصيات.

2. الإطار النظري

1.2 الكيتش: لا يوجد تعريف دقيق للكيتش (Kitsch) لغويا، فالكلمة ألمانية ظهرت في القرن التاسع عشر، وانتقلت إلى لغات العالم كلّها، وكأنها تلبية لحاجة جمالية ظهرت مع هيمنة استنساخ العمل الفني الرخيص وإنتاجه بكميات كبيرة.

ولا يزال غموض المصطلح قائما، وكأن الكيتش صفة داخل أي عمل فني يحاول العمل نفيها عنه؛ لأنها تهدد قيمه الجمالية، وبالتالي لا يمكن وضع تعريف واضح للكيتش، لكن يمكن رصد الشروط التي يظهر ضمنها، والتي ترتبط بالإنتاج والتلقّي، وطبيعة الجماليات التي يختزنها. (المأمون، 2020).

فمصطلح الكيتش يستخدم لوصف الفن الرديء بما يحويه من رخص وابتذال سيء الإنتاج، وذلك عندما تستخدم العبارات الرنانة والادعاءات الكبرى والنتاج المتكلّف لإرضاء الحس الشعبي وتلبية الأغراض التجارية الخالصة، وبعبارة أخرى الكيتش يشير إلى أعمال تفتقر إلى القيم الجمالية الأصيلة، وتعتمد البهرجة لتكتسب جاذبية لدى العامة، فيما هي جوفاء وضحلة أكثر منها صنعة فنية أصيلة. (مكاريك، 2006، ج3، ص217).

يرتبط الكيتش ارتباطاً وثيقاً بفكرة المزيَّف والمثقل بالتفاصيل وبالذوق السيئ. وكان يشير في البداية إلى "المنتوج الصناعي للأشياء الرخيصة"، التي اعتمدت على التقليد والمبالغة، ومن الممكن أن نطلق عليها اسم (الذوق الرديء)، وقد

أُستعمل مصطلح الكيتش بين تجّار القطع الفنيّة في ميونخ للإشارة إلى قطع فنيّة رخيصة. (لعيبي، 2015).

اشتهر المصطلح مع قراءات خاصة للكلمة من قبل بعض الكتاب، وأبرزهم الروائي ميلان كونديرا الذي يتحدث في روايته (كائن لا تحتمل خفته) عن أصل كلمة (كيتش) فيذكر أنها "كلمة ألمانية ظهرت في أواسط القرن التاسع عشر العاطفي، ثم انتشرت بعد ذلك في جميع اللغات. ولكن استعمالها بكثرة أزال دلالتها الميتافيزيقية الأصلية وهي: إن كيتش في الأساس نفي مطلق للبراز. وبالمعنى الحرفي كما بالمعنى المجازي (الكيتش) تطرح جانبا كل ما هو غير مقبول في الوجود البشري...، (ويضيف كونديرا بأنه): الإنكار المطلق للانحطاط. (فيقول أثناء حديثه عن ادّعاء تنزّه البشر واستشرافهم أي ادعائهم الشرف المطلق): "الوفاق التام مع الكينونة يتّخذ مثاله الأعلى عالما يُنتفى منه البراز، ويتصرّف كل واحد فيه وكأن البراز غير موجود. هذا المثال الجمالي يدعى "الكيتش". (كونديرا،2013، ص 250).

كما يتحدث كونديرا عن الكيتش بوصفه حاجة إنسانية مؤسفة، فليس الكيتشُ مُجرّدَ وصفٍ لعملٍ فنيٍّ فاقدٍ للأصالةِ ومبتذل، بل ثمة الإنسانُ الكيتش، وهو الحاجة إلى أن ينظرَ المرءُ إلى نفسِه في مرآةِ الكذبِ التي تُجمِّل؛ لكي يتعرّفَ إلى نفسه برضا يُثير العاطفة، بذلك يصير الكيتشُ احتياجا خفيًّا للإنسان ومُسكِّنا عن الحقيقة التي لا تُجمِّلنا ولا تُرضينا. (كونديرا،2013، ص 250).

لا يوجَد إجماع حول مصدر ومعنى كلمة كيتش، لكن يشار إلى ترادُف قوي بين كيتش و(فن عديم القيمة) أو (خردة فنيّة) أو ببساطة (فنّ سيّء).

يقوم الفن الهابط بتقديم تزيين سطحيّ، ويستنسخ غالباً الأعمال المعترف بها كأعمال كلاسيكية. لذا فإن الفن الهابط هو جوهرياً نتاج تغيّر اجتماعيّ وتاريخيّ.

الكيتش باختصار هو الرداءة الخلاّبة. يؤخَذ به المتلقي لأنه يصل إليه عبر مسّ عاطفة أو ذكرى أو مضمون يتماهى الشخص معه.

وبذلك فإن "الكيتش – أي الفن غير الأصيل–يستحيل ظهوره أو شيوعه، إلا من خلال إنسان هو نفسه كيتش، ... فهو الذي ينتج الكيتش في الحالة الأولى ويبذل أمواله بسخاء للحصول عليه في الحالة الثانية، ... والكيتش باتفاق الجميع انعدام الأصالة، ... فالكيتش في بعض جوانبه طريقة لتقليد الفنون الأخرى بدقة، متوخيا الإبهار وليس التعبير، أما الفنان الأصيل فيبدع في إطار أخلاقي مستهدفا الجدية والإتقان. ونستطيع أن نتبين معالم الكيتش في عصور الاضمحلال". (العطار،2000، ص69).

ويضيف كونديرا ((من الجلي أنه يجب أن يتشارك أكبر عدد من الناس الأحاسيس التي يثيرها الكيتش، من هنا لا حاجة تدعو الكيتش لأن يخالف ما هو مألوف. بل يستعين بصور أساسية راسخة بعمق في ذاكرة الناس: الابنة العاقة، والولد المهجور، والصبية الراكضون على مرجة، والوطن الذي جرت خيانته، وذكرى الحب الأول.)). (كونديرا،2013، ص 252).

مكمن الخطورة في الكيتش أنه مراوغ يفسد نتاجه المشهد الأدبي الأصيل ويربكه فهو "يشبه الحقيقة ويرتدي ثوبها ويستعير مصطلحاتها، لكن بقليل من التعمق تجده لا يملك من الحقيقة شيئا، هو فقط ظلّها المبتذل، المبالغة السخيفة في الأدب هي كيتش، وتحويل حدث عفوي إلى "تريند" متعمد هو كيتش والموضة ذاتها هي كيتش، لأنها ليست اختيارا أصيلا للمرء إنما مجاراة منه لتيار بدأ من مكان ما، ورسم جيفارا الثائر الاشتراكي، الذي صنعه مُحب يوما للتعبير عن حالة أصيلة تألّقت لزمن ثم خبت، استُورِد من جديد على هيئة ملصقات دعائية في المقاهي وعلى ظهر الحافلات والدراجات البُخارية، حتى صار ملصقا يُباع على القمصان من شركات رأسمالية للربح بينما لا يعرف مَن يرتديه مَن هذا ؟! وهو الذي حارب ذاك الكيتش طوال حياته حتى صارت

صورته "كيتشا" حزينا، تلك طريقة كلاسيكية لتحويل أيقونة أصيلة إلى شيء أكثر رداءة، جيفارا صار منتجا رأسماليا للبيع، تلك فكرة مبسطة عن كيفية عمل الكيتش في تحويل شيء أو فكرة لتصير في النهاية عكس الغرض المرجو منها، لتصير وسيلة للتظاهر لا أكثر". (سيد،2020).

الكيتش حاضر في الرواية ولعل مقولات ميلان كونديرا تلك أصبحت الأكثر حضورا عند الحديث عن الكيتش، وقد احتفلت الرواية العربية بالكيتش، إذ نجد رواية (الكيتش) للصافي سعيد يستهلها بتعريف للكيتش مفاده أن " الكيتش هو أن تكون نفاية دون أن ترى نفسك نفاية إلا حين يبدأ عمال التنظيفات في جمع النفايات". (سعيد، 2017، ص42).

كذلك نجد الأستاذ منصف الوهايبي ينشر مقالا بعنوان "هل الأدب العربي الحديث أدب كيتش: أحلام مستغانمي نموذجا؟ حيث يصرّح بعدم تردده بنعت كتابتها بالكيتشية "من خلال محاولة تجميل الواقع وإدانته في آن معا، أو على أساس من تجميع الكلمات بطريقة الكيتش، حيث كلمة من الشرق وأخرى من الغرب، ومحاولة صهرهما في تركيب بالنعت أو بالإضافة، أحزاب البكاء/ لغم الحب / منصة السعادة/ مساء الولع / أنغام الرغبة / فتيل قنبلة الغيرة / ضيافة المطر / فاجعة الضوء / مقبرة الذاكرة / حفريات رغباتها / كبريت حزنك / قعر محيط النسيان / رماد الكلمات ... " ويذكر أن" هذا وغيره ممّا يُعجب به كثير من العرب المعاصرين، يضعنا إزاء لغة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة، بل لا شيء فيها من ‘ماء اللغة’ بل هي ورد بلاستيكيّ لا غير" ويذكر أن ذلك جاء" ثمرة ولع بالتراكيب الإضافيّة التي أفسدت نصّها ونسخته عالما استعاريّا، كما هو الشأن في نماذج غير قليلة من الشعر العربي الحديث، الذي ينضوي إلى "الكيتش"، ويكتبه كلّ من هبّ ودبّ من العرب، وحتّى من لم يهبّ ولم يدبّ". (الوهايبي،2017).

الكيتش بماهيّتِه شفّاف، جمهور الكيتش لا يركّز على التشكيل أو تقنية الكيتش، لكن ينظر مباشرة إلى موضوع الكيتش، شيء عاطفي عادةً أو ذي تهذيب أخلاقي.

ما يصنعه الكيتش هو تقليد التأثيرات الناتجة عن تجربة حسيّة حقيقية؛ حيث يعرض صورة أو لغة أو موسيقى مشحونة بصورة تُحدِث ردّة فعل عاطفيّة تلقائيّة دون تأمُّل. الكيتش يصقل الحقائق القاسية، ويُخدّر الألم الحقيقي. وحسب هارولد روزنبيرغ، كاتب وناقد فنّي أمريكي. "لا يوجد مفهوم معاكس للكيتش، مضاده ليس فكرة، إنّما الواقع نفسه".

الأَمر مؤسِف. أستَطيع أن أتفهَّم كون الكيتش مصدرا للراحة للأغلبيّة. معظم الناس لا تملك القدرة على استنباط القيم الفنيّة للأعمال الفنيّة، ولا تملُك الوقت أو المال لاكتساب هذه القدرة.

ويعرّف الفيلسوف الألماني تورستن بودتز بأن الكيتش" هو العمل الذي يقلّد عملا أصليا، ولكن بخامات رخيصة، وفي نفس الوقت يخاطب مشاعر الجماهير بصورة ساذجة، مثل الصورة المقلّدة والموسيقى المكررة". (بوابة الوسط، 2019).

وهو "نوع من المبالغة السخيفة تبدو جميلة ولكنها جميلة في عين الجهلة، وهو نوع من الجمال الذي يعجب غير المتعلمين الذي يرضي الناس بسرعة دون أن يساعدهم على التفكير". (الشروق الجديد،2009).

إذا ... جوهر الكيتش " هو الحالة التي يعاد فيها إنتاج شيء جميل وأصيل لكن بصورة أكثر رداءة تنزع منه كل جوهره، ... فلم يحتكرها مجال بعينه؛ لأنها تعبّر بشكل فريد ومختصر عن حالة من الزيف أو الابتذال يُمكن أن تُصيب أي شيء وتنزع عنه فرادته، الظل المزيف لشيء جميل تحلَّل وفقد رونقه وصار مبتذلا ". (سيد، 2020).

ويرى برهان حاوي أنه "على الرغم من طغيان هذا المفهوم للكيتش باعتباره فنًا وأدبًا بلا قيمة إبداعية ومن دون أصالة فنية وأدبية وجمالية، فن وأدب مبتذل ورخيص، إلا إنه حظي بدراسات لا بأس بها من قبل علماء الاجتماع والنفس والسياسة". (حاوي، 2019).

فثمة من يرى أنه ذلك الفن "الجماهيري" الذي يميل لاستدرار عواطف الجمهور المتلقي، مثل تقديم لوحات عاطفية عن طفلة تحمل جروًا وثمة دمعة تنحدر من عينيها، أو مثل النهايات العاطفية الرخيصة في غالبية أفلام هوليوود وبوليوود، أو الطقوس الدينية والفنية والرياضية والسياسية التي تسبب هيجانًا عاطفيا لأتباعها.

كما أن فن الكيتش وأدبه هو ذلك الذي يفهم مباشرة دونما إشغال الفكر أو إيقاظ الحواس، ودونما تفكير. ذلك الفن الجماهيري الهابط، والذي نجد أمثلة له في الأغاني الشائعة والمنتشرة والتي تهز الأجساد للرقص عليها، والتي يتقبلها الناس ويرددونها دونما تفكير في معانيها الرخيصة والمبتذلة.

كما أنه ذلك الأدب الذي لا يدفعنا للتفكير وطرح الأسئلة، ولا يسمح لنا حتى بمساحة قليلة من تداعي الأفكار والمشاعر، بل يدفعنا إلى الخمول الذهني والعقلي.

ومع كل هذه المواصفات الرخيصة والمبتذلة لفن وأدب الكيتش فهو عادة الأوسع انتشارا في العالم كله. إنه الفن والأدب الجماهيري، لأن له جاذبية التقبل السهل دونما تشغيل للفكر أو الحواس، فهو يدغدغ المشاعر السطحية والعواطف السهلة. على شاكلة (الجمهور عاوز كدا). فـ "المنظرون يرون أن (الكيتش) لا يعتمد في انتشاره على أية قيمة فنية أو أدبية، ولا على ثوابت الفن، وإنما على الحالة الاجتماعية والسياسية والمزاج الاجتماعي والجماهيري. فتأثيره وفعاليته في الخمول الذهني والجمود الفكري يجعل علاقته بالمتلقي

علاقة مستقبل ومستهلك، وليس علاقة فكرية أو تقبلا فنيا أو جماليا... ". (حاوي،2019).

وبعد هذا الاستعراض لتعريفات الكيتش المتعددة المشارب والزوايا يمكننا القول بأن الكيتش هو التقمّص وادّعاء المشاعر المثالية، وهو أن تلغي أصالتك ذات البصمة المميزة، المعتمدة على الجمالية الحقّة وتعمل لإرضاء الآخرين، وأن الكيتش متجذّر في الأدب شعرا ونثرا، يتوسل لإرضاء الناس بالعبارات والصور، بالمواقف الإنسانية التي تثير المشاعر، ليضاف إلى الكيتش الفردي كيتشا جماعيا، فتصرُّف المنتجِ الأولِ للنصِّ كيتشا يكرّسه ردّة فعل الجماعة في ادّعاء التأثّر بالعبارة أو الموقف.

2.2 مظاهر الكيتش في شعر العصر: طالما زاحم الشعر الأصيل على مدى عصوره المتعاقبة شعرٌ هزيلٌ يتوسّل إلى متلقيه بشرف المضمون أو بزركشات ذات مظهر خادع تموّه بأطيافها المتموجة، وهذا غير خاص بشعر العصر العثماني، بل إنه موجود منذ العصور المتقدّمة، لكنه شاع وطغى في عصر الدول المتتابعة التي يعدّ العصر العثماني جزءا منه.

علّق ياقوت الحموي (ت 574هـ –1178م) في معجمه للأدباء على شعر أحد العلماء بعد أن وصفه بالإمام الأديب ابن الأديب وأورد نظما له بقوله: "ولهذا الإمام أشعار على هذا النمط، تركُ الكاغدِ أبيضَ خيرٌ من تسويده بها". (الحموي،1993، ج5، ص63).

وقبل ياقوت الحموي ذكر عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ – 1078م) في كتابه (أسرار البلاغة) أنه "قد تجد في كلام المتأخرين كلاما حمل صاحبه فرطُ شغفِه بأمور ترجع إلى ما له اسم من البديع، إلى أن ينسى أنه يتكلّم ليفهم ويقول ليبين، ويخيّل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده، كمن ثقّل العروس بأصناف الحلي

حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها". (الجرجاني 1991، ص9)، فكلام الجرجاني هذا يؤكد إلى ما يذهب إليه البحث من الاحتفال بالزخرف اللفظي والمبالغة في حشده؛ مما يجعل السامع/ المتلقّي منصرفا عن توخّي الجمال والأصالة في هذا الشعر إلى لمعان هذه الزركشات البرّاقة، وهذا الصنيع هو الكيتش عينه.

يزخر شعر العصر العثماني الممتد عبر قرون بالمظاهر الكيتشية، فقد كان جل شعراء العصر من العلماء؛ لأنه ليس في العامة من يستطيع نظم الشعر الفصيح، واقتصر نظم شعراء العامة قصائدهم على اللهجة المحكية العامية كل حسب طريقته وفنّه. وقلّ أن تجد ترجمة لعالم مبرّز تخلو من شعر لذلك العالم، وجل ذلك الشعر لا يتجاوز النظم إلى الشعر، وقد بلغ ذلك حدّ الهوس، وبلغ من الثقل مبلغا، مع أنه يقع منهم مبلغ الإعجاب. فلقد عُدّت المحسنات البديعية علامة إبداع وتفوّق، ويكاد التأليف في تعريفها ورصد شواهدها هو المنجز النظري الوحيد في هذا العصر.

إذ نجد الشاعر شهاب الدين التَّلَّعْفَري من شعراء القرن السابع، يقول:

وإذا الثنيـــة أشـــرقت وشـــممت مـــن أرجائهـــا أرجًـــا كنشـــر عبيـــر

سل هضبَها المنصوبِ أين حديثُها الْـ ـمرفوعُ عن ذيل الصبا المجرور

ليعلّق عليه ابن الوردي بقوله: "هو غاية في الحسن، فإنه قال المنصوب وهو منصوب والمرفوع وهو مرفوع والمجرور وهو مجرور" (سلام،1971، ج2، ص108).

وقد "توالى وضع المؤلفات في علم البديع، فتنوعت أفنانه، وتكاثرت ونمت على تعاقب العصور والأجيال حتى انتهت إلى مائة وواحد وخمسين محسنا بديعيا عند صفي الدين الحلي، في القرن الثامن للهجرة" (يوسف،2003 ص300).

فالميزة البارزة في "أوائل عصور الانحدار هي كثرة الكتب المؤلفة، ...، [يعد هذا من مظاهر الكيتش، وهو كثرة الإنتاج على حساب القيمة والجمال] ولكن هذه الكتب المختلفة على كثرتها وتعدد مختصراتها ومطولاتها وشروحها وحواشيها ونقد بعضها بعضا، لم تكن من حيث مادتها لتتصف بصفات الأدب الحي، ولم يكن الإنتاج النثري والشعري بعيدا عن نزعة الكتب المؤلفة، لم يكن يشع بالحياة التي هي أولى صفات الأدب، بل كان تقليدا واجترارا وحرصا على الزينة اللفظية حتى بات أديب ذلك العصر بهلوانا يحسن اقتناص ضروب البديع من جناس وتورية ونكتة متحجرة بقيود اللفظ غير منطلقة في أجواء الخيال الفكري والتعبير الروحي. ... لم يعد ذاك التلاحم الفني بين الفكرة والصورة وتلك الجودة في التعبير هما معيار الجودة الفنية، وإنما أصبح معيار الفن في عصور الانحطاط تقليدا أعمى للأقدمين يتجلى في البحث عن تشبيه أو تورية أو طباق أو تضمين لغز، وأصبح واحدهم يعدّ نفسه مجوّدا كلما أكثر من هذه البهلوانية اللفظية دون أن يعبأ بالحكم الصائب والجمال الفني الصحيح، بل لعل هذا الجمال الفني قد انقلب مفهومه في فكر أديبهم، فأصبح يرى بحثه عن البديعيّات يقرّبه من المثالية الفنية القديمة، وهو لا يدري أو لعلّه يدري أن عمله هذا يبعده عنها أشواطا وأشواطا. هكذا كانت صفة الأدب في هذه العصور، لفظية في التعبير، وفراغا في الفكرة، وهما سمتان طبعت شعر العصر ونثره". (الركابي،1982، ص142).

ومن أبرز مظاهر الكيتش في هذا العصر قصائد البديعيّات، إذ يعتورها الكيتش من جهتين، حيث كثرة الاحتفال بالمحسنات والزركشات البلاغية والعزف على وتر له قداسته بمدح رسول الأمة ﷺ، كذلك التاريخ الشعري باستخدام حساب الجُمّل الذي عدّ مؤشرا على البراعة والبلاغة، مع أنه يبعد المتلقي عن الإبداع الشعري ليأخذه في رحلة حسابية لاستخراج الرقم الدال على التاريخ.

ومن الأسباب الكامنة وراء ظهور الأدب الكيتشي اكتفاء الشاعر بثقافة ظاهرية يظن بإصابتها أنه جدير بكتابة الشعر وأنه "أصبح في عداد العلماء والشعراء، فإذا ما استقام له الوزن في بيت أو عدّة أبيات انطلق ينشرها بين الناس، ويذيعها في الملأ ليملأ عيون الناس به، وليوهمهم أنه صار من الذين يشار إليهم بالبنان"(شيخ أمين،1986، ص310).

و"لعل أخطر ما يتعرّض له الشاعر في عصور الازدواج اللغوي أنه يضطر في أحيان كثيرة، حين تعجز لغته التعبير عن مشاعره إلى أن ينصرف إلى التلاعب اللفظي بتلك اللغة من جانب، وإلى اصطناع المنطق العقلي من جانب آخر...

هذا هو الشاب الظريف يريد أن يتغزّل فيقول:

رُبَّ طَبَّـــــــاخِ مَلـــــــيحِ فـــــاتر الطـــــرف غريـــــر

مـــــالكي أصـــــبح لكـــــنْ شـــــــــغلوه بالقـــــــــدور

(شيخ أمين، 1986، ص316).

أصبح بذلك الشعر صناعة متكلّفة ابتعدت به عن الشعرية الحقيقية، إذ يتكلّف الشاعر "لزوم ما لا يلزم في طريقة التأليف، من أجل غاية لا علاقة لها البتة بالشعر أو الشاعرية، وإنما هو ضرب من النظم السخيف الملغز، حرص عليه كثير من شعراء العصر العثماني، وهو بهذا يعكس مسخ الوظيفة المتوهمة للشعر في فترة تاريخية كئيبة". (وادي،1995، ص52).

والأمثلة الشعرية السابقة المُشاد بها تنتمي إلى فن بلاغي هو (فن التوجيه) الذي أولع به الشعراء العلماء وهم جلّة شعراء العصر، ولعل كثرتهم تلك تبرر شيوع فن التوجيه بأسماء الأعلام والكتب والمصطلحات العلمية، وهو يشي بشيء من الاستعراض والتفاخر العلمي من لدن أولئك العلماء الشعراء.

من أبرز هؤلاء العلماء الشعراء الذين أولعوا بفن التوجيه ابن حجر العسقلاني من علماء القرن التاسع الهجري. فمن توجيهه بأسماء الأعلام من رواة الحديث قوله:

إِنْ دَامَ ذَا إِنّنـــــــي سَعِيـــــــدٌ يَـــا سَـــعْدُ قَـــدْ فُـــزْتُ بِالنَجَّـــاحِ

عَطـــاءُ روحـــي لَـــهُ شِـــعاري إنَّ ســـــماحَ الهَـــــوى رَبـــــاحِ

(العسقلاني، د، ت، ص 228).

سيقتصر هذا البحث على فن التوجيه بوصفه أنموذجا للمحسّن البديعي المحتفى به؛ لالتباسه بالتورية وعدم وضوحه عند بعض الدارسين، ولأن ثمة من الشعراء المعاصرين من لا يزال يحتفل به، ويشيد بذلك متلقو شعره. وإلى جانب هذا الالتباس ودقّة المسلك تتبدّى علاقة التوجيه بثقافة الشاعر، الذي يكون– غالبا–من العلماء فيتأتّى التوجيه لديه من لدن رغبته في استعراض علمه وسعة معرفته بالأعلام والمؤلفات ومصطلحات العلوم والقدرة على صياغتها بديعيا.

بالرغم من حداثة مصطلح الكيتش نسبيا، فإنه يصلح أداة فاعلة لدراسة الشعر في عصر متقدّم، ولا يقتصر التغاير على العصر، بل إنه يتعدى ذلك إلى أنواع أدبية غير الشعر، فقد استثمر الكيتش كأداة لإضاءة بعض جوانب السرد إلى جانب استثماره في حقول خارج نطاق الأدب كالفن التشكيلي والسياسة والاجتماع.

من يستبطن الإرث الشعري للعصر العثماني الأدبي ويخبُر مصطلح الكيتش كأداة يتأكد لديه مناسبة هذا لذاك، ويرى فيه أداة دقيقة من شأنها تجلية شعر هذا العصر الذي مُني بأحكام عامة سطحيّة مكررة، لم تتأتّ من فحص دقيق لهذا النتاج الشعري، إذ لم يطّلع كثير ممن أطلقها على نتاج ظلّ حبيس المخطوطات، أو اختفى بنفاد الكتب المحققة التي لم تعد متاحة.

3.2 التوجيه: التوجيه فنّ بلاغي دقيق يخفى مسلكه على كثير من الأدباء والدارسين، وعند تتبّع تعريفاته وشواهده نجد أنه يلتبس مع فنون بلاغية أخرى "فهو عند جماعة كالسكاكي، والخطيب والطيبي اسم لمسمى الإبهام، وهو إيراد الكلام محتملا لمعنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر، كالمديح والهجاء وغيرهما، والإبهام عند هؤلاء :اسم مرادف للتورية لا لهذا المعنى". (ابن معصوم 1968، ص144).

وجاء جماعة من المتأخرين فجعلوا الإبهام اسما لإيراد الكلام محتملا لمعنيين متضادين، لأنهم رأوا أن هذا الاسم أليق بهذا المسمى من التوجيه. وجعلوا التوجيه عبارة عن أن يؤلف المتكلم مفردات بعض كلامه أو جمله، ويوجهها إلى أسماء متلائمة من أسماء الأعلام، أو قواعد العلوم، أو غيرها توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي بخلاف التورية. وبهذا يظهر الفرق بينه وبين التورية خلافا لمن أدخله فيها. (ابن معصوم 1968، ص144).

وهذا الحد للتوجيه هو مذهب الشيخ صفي الدين الحلي، الذي جعل للتوجيه حدّا يوضّحه ويحدده تعريف التورية وهي" أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين: قريب وبعيد، فيذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر أن مراده البعيد " وعليه نسج بيت بديعيته، وهي نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن وعلى منواله نسج ابن حجة بديعيته، وكذا الشيخ عبد القادر الطبري، والعلوي". (الحلّي، 1992، ص135).

من يتتبّع المواضع التي ذُكر فيها التوجيه البلاغي قديما وحديثا –سواء في الكتب المختصة بالبلاغة أم الكتب التي تتناول شعر العصر بالدراسة– يتّضح له انعدام الدقّة في فهم المصطلح لدى كثير منهم، فهم لا يميّزون بين التورية والإيهام والتوجيه، إذ نجد في إحدى الدراسات الحديثة للشعر العربي أيام المماليك أنّ "التورية لون من ألوان البديع المعنوي، وإن لم يعن بها القدماء، فقد

زادت وفرة في هذا العصر حتى غدت هدف كل شاعر، وكثر التأليف حولها ودعاها الباغون بأسماء شتى منها: الإيهام والتوجيه والتخيير والإشارة "(يوسف، 2003 ص317).

فالتوجيه عند كثير من الدارسين مرادفٌ للتورية كالإيهام والتخييل والمغالطة المعنوية "إلا أن التورية أولى في التسمية من الجميع لقربها من مطابقة المسمّى؛ لأنها مصدر (ورّيت الخبر تورية) إذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه ولا يظهر غيره". (اللهيبي،2018، ص47) وينحو هذا المنحى من ادّعاء الترادف الدكتور عبد العزيز عتيق. (عتيق،2000، ص122).

وقد يُفرّق بين التورية والتوجيه، فيكون "التوجيه هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين، أحدهما مدح والآخر ذمّ، وهذا يعني أن تتساوى دلالة الكلام فيه على المعنيين المحتملين، وهذا بخلاف التورية التي تعني أن يذكر لفظٌ له معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد، ويراد المعنى البعيد فيورّى عنه بالمعنى القريب أي يستر به، كأنه جُعل وراء القريب، ولذلك يسميها بعضهم الإيهام" (اللهيبي 2018، ص74).

وثمة من يعرّف التوجيه بأنه "إيراد الكلام محتملا وجهين متضادين كالمدح والهجاء ويستشهد بالبيت: خاط لي عمرو خباء ليت عينيه سواء"(فيود،2015 ص189).

وثمة من لم يميّز بينه وبين الإبهام ليورد بيتي بشار الآتيين شاهدا عليه:

خـــاط لـــي عمـــرو قِبـــاء ليـــــت عينيـــــه ســـــــواءَ

فســـل النـــاس جميـــعا أمديـــــــــحًا أم هجـــــــاءَ

وكذلك قول محمد بن حازم الباهلي في الحسن بن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران:

بـــــــارك اللـــــــه للحســـــــن ولبـــــــوران فـــــــي الخـــــــتن

يـــا ابـــن هـــارون قـــد ظفـــرْ تَ ولكـــــن ببنـــــت مَـــــنْ

(الصعيدي، بدون،64/4)، (التفتازاني،2001، ص107).

ويتّضح من تتبّع المصطلح وشواهده في كتب البلاغة وكتب التراجم والتاريخ الشعري ودواوين الشعراء أن التوجيه فنّ قائم بذاته يختلف عن التورية والإيهام لكنه التبس بهذه الفنون لدقّة مسلكه، والفيصل في تمييزه أن تكون المفردة متلائمة مع أسماء الأعلام أو قواعد العلوم بتطابقها مع معنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي بخلاف التورية. ويحتاج ذلك أن يكون لدى الشاعر قدرة على توظيف ذلك في شعره واجتلاب الأسماء التي توافق مرامه، ينبئ هذا الصنيع عن مقدرة خاصة من لدن الشاعر بإدراك المعاني الدقيقة للأسماء بتوجيه دلالاتها بحس لغويّ مائز. ونظرا لهذه الطبيعة المراوغة لهذا الفن جاءت ضبابية فهمه لدى الدارسين في جانب، وعدّ مناط تفوّق لدى شعراء هذه العصور من جانب آخر.

3. الإطار التطبيقي:

1.3 التوجيه بأسماء الأعلام:

1.1.3 التوجيه بأعلام الرجال من أنبياء وخلفاء وملوك وسلاطين وولاة ومشاهير: يأتي التوجيه بأسماء الأعلام في مقدمة ما وجّه به في هذا الفن فيكثر التوجيه بأسماء الأعلام على اختلاف مشاربهم وتعددها، فالشاعر يرى في ذلك إثباتا لمقام العلميّة وسعة الاطلاع.

يمتدح الشاعر فتح الله بن النحاس الحلبي (ت 1052هـ-1642م) القاضي المصري محمد أفندي، فيذكر المصر بمعنى البلد ليوجه به إلى بلاد مصر المعروفة، كذلك يذكر اسم المفعول محمد ليوجه به إلى الممدوح محمد أفندي فيقول:

أفـــي الحـــق أن لا تحمـــد العـــيش وحـامي ذمـار الشـرع فيهـا (محمـد)

(ابن النحاس،1991، ص133).

ولابن النحاس كذلك مادحا أحد الأمراء واسمه مصطفى، فيذكر اللفظ بمعنى الاصطفاء ليوجهه إلى اسم الممدوح:

فصـــار اســـمه الوضّـــاح فـــي النـــاس وضـــاءت بـــه الأحســـاب وهـــي ســـواطع

(ابن النحاس،1991، ص138).

ولمحمد أمين الزللي (ت 1241هـ-1825م) -من شعراء المدينة في القرن الثالث عشر الهجري -مادحا والي مصر محمد علي باشا يذكر التحميد والعلو ليوجّه ذلك لاسم الممدوح، يقول:

ويغـدو لكثـر الحاسـدين (محمـدا) كـــذات أفنـــدينا (علـــيّ) مقـــام

(الزللي،1985، ص140)

وللشاعر جعفر البيتي شاعر المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري موجها بلقب سيدنا موسى وسيدنا إبراهيم عليهما السلام:

لـــيَ قلـــبٌ مـــن الصـــدود (كلـــيمٌ) ضـــمن جسْـــمٍ مـــن الســـقام (خليـــلُ)

(البيتي،13أ).

ولمحمد أمين الزللي في السيد أحمد المغربي التاجر بثغر الإسكندرية موجها بفرع نهر النيل(رشيد):

فلكـــم مظـــاهرُ ســـؤددٍ وشـــمائلٍ تقضـــي بـــأن (رشـــيدَكم) (مـــأمون)

(الزللي، 1985، ص115).

وقد شاع التوجيه بجعفر والرشيد لملاءمة ذلك لمعاني الشعر حتى أصبح تقليدا يستدعيه الشعراء، فهذا عبد الغني النابلسي في بديعيته ينادي جعفر الدمع وهو النهر الصغير، ويوجهه إلى جعفر البرمكي المعروف، ويذكر الرشيد

من الرشد ضد الغي، ويوجهه إلى هارون الرشيد، ويوجّه إلى الخليفة العباسي المأمون بذكره للفظ مأمون المشتق من الأمانة ضد الخيانة، فيقول:

يـا (جعفـر) الـدمع مـا أنـت (الرشـيد) فقـف كـلاّ ولا أنـت (مـأمون) علـى حكمـي

(النابلسي، 1984، ص91).

ولحيدر بن سليمان الحلي (ت1304):

مكرمـات بنشـرها (الفضـل) (يحيـى) لكـــريم لـــولاه مـــات الرجـــاء

لا تقـس (واصـلا) بمـن كـلّ يـوم (واصـــل) منـــه للوفـــود (عطـــاء)

(الحلي،2014، ص575).

ولجعفر البيتي موجّها باسمه الذي أصبح تقليدا شعريا للتوجيه:

وبحـــر مـــن بـــدائع كـــلّ فـــنّ أنـــا فـــي جنْـــبِ ســـاحل ذاك (جعفـــر)

(البيتي،35أ).

ومن التوجيه بأسماء الأعلام أيضاً قول عبد الرحمن بن محمد الحسيني المعروف بابن النقيب (1638-1670م) يهجو:

أرح نـاظري مـن عـابس الوجـه يـابس لـــه خلـــقٌ صـــعبٌ ووجـــهٌ مقطّـــب

أقـــول لـــه إذ آيَسَـــتْنِي صـــفاتُه وإن قيـــل أنّـــي فـــي المطـــامع أشـــعب

متـــى يظفـــر الآتـــي إليـــك بسـؤله ويـــنجح مـــن مســـعاه قصـــد ومطلـــب

ولؤمـك (سـيارٌ) وشـرّك (ياسـرٌ) ووجهـك (عبـاسٌ) وخلقـك (مصـعبُ)

(الحلي،2014، ص607).

وكذلك قوله:

(بخالـد) الأشـواق (يحيـى) الـدجى يعـــرف هـــذا العاشـــق الوامـــق

خـذوا حـديث الوجـد عـن (جعفـر) مـن دمـع عينـي إنـه (الصـادق)

(الحموي،2004، ج2، ص63).

يلاحظ أن التوجيه بهذه الأسماء يصرف ذهن المتلقّي عن طرح الأسئلة حول جمالية الشعر إلى استحضار الأسماء الموجّه بها، وسبر مدى ملاءمتها لذلك، وهذا شأن الكيتش الذي يأنف من طرح الأسئلة ويغيّب الجمالية ليحلّ مكانها منتجا برّاقا يُظنّ أنه شيء ذو بال. ومن جانب آخر فإن اجتلاب هذه الأسماء الرنانة وادّعاء ثمة علاقة بين اللفظين هو جوهر الكيتش.

2.1.3 التوجيه بأسماء الرواة: كثُر التوجيه بأسماء رواة الحديث لمناسبة مصطلح الرواية لمقتضى حال الشعر وتقاطعه معه في عدة أمور، ولما بين رواية الحديث ورواية الشعر من علاقة تتسم بمدارات شتّى، فنقل أخبار الحبيب ومدى صدق هذا النقل ورواية الشوق والحنين والبوح بوسائل منها الدموع والآهات والسهر.

يذكر ابن معصوم بيتين له تحوي توجيها، وهما قوله:

صح عن جوده حديث العطايا مستفيضا ما بين باد وقار

كم (رجاء) فيه روى عن (وفاء) عن (عطاء) عن (واصل) عن (يسار)

(ابن معصوم، 1988، ص183).

يشرح ابن معصوم التوجيه في هذين البيتين، بما يظهر مدى احتفائه بهذا الفن الذي يعدّه علامة إبداع وتفوّق، فبه ينتهي وقوع تمام المقصود، ويشرع في التعريف بهؤلاء الرواة، وكأنه لم يكتفِ باستظهار ثقافته وعلمه عن طريق هذا التوجيه في البيتين، بل يزيد مفصّلا ما يؤكد المنحى الكيتشي لهذه الظاهرة البديعية، فيقول: "فرجاء اسم لعدة من الرواة، ووفاء هو وفاء بن شريح المصري، روى عن رويفع بن ثابت وغيره، وعنه بكر بن سوادة، وزياد بن نعيم وعطاء اسم لاثنين وعشرين راويا، منهم جلة أعلام كعطاء بن أبي رباح، وابن السائب الثقفي الكوفي، وعطاء بن يسار كان من كبار التابعين، وواصل اسم

جماعة من الرواة أيضاً، منهم واصل بن حيان الأسدي، وابن السائب الرقاشي وابن عبد الأعلى، ويسار جماعة، منهم يسار بن زيد مولى النبي(ص) روى عن أبيه وعنه ابنه بلال، ويسار أبو نجيح روى عن ابن عباس وابن عمر فهذه خمسة من أسماء الرواة وقع بها التوجيه مع تمام المناسبة بينها وبين المعنى المقصود". (ابن معصوم،1968، ج1ص147).

ومنه قول العلامة محمد بن علي الشامي من قصيدة يمدح بها والد ابن معصوم:

كـــم للزمـــان ولا أخشـــى بوائقـــه مـن ضـنّةٍ ولعـين الملـك مـن جـود

عـفّ الشـبيبة ميمـون النقيبـة (منـ ـصور) الكتيبـة (مـأمون) المواعيـد

(ابن معصوم،1968، ج1ص148).

وللبيتي:

صـحيحُ حـديثٍ جـاء فـي شـرح (مسـلم) يقـرّر أنّـي يـا (سـعيد) (مسـيّب)

(البيتي،47أ).

والتوجيه بأسماء الرواة كما سائر التوجيه عموما، لكنه يتميّز بخاصيته كدالّة على العلميّة، فمعرفة الرواة ومشاربهم المختلفة دليل علم، وتوظيف علاقة التوجيه هنا ذات منحى كيتشي ففيه صرف للسامع عما عداه من لوازم الشعر.

3.1.3 التوجيه بأسماء القبائل والمذاهب: للشاعر جعفر البيتي من التوجيه بأسماء القبائل، فيذكر بكر الدال على القوة والعنفوان وتغلب الدال على الغلبة والفوز، ويوجه ذلك إلى قبيلتي بكر وتغلب:

دعـوا تركـب العـذّال (بكـر) بـن وائـل علـــيّ فغيّـــي والصـــبابة (تغلـــب)

(البيتي،45 أ).

فبكر ووائل تأخذ السامع إلى رحلة في ثنايا التاريخ القديم، فيبحث إذ ذاك عن العلاقة بين ذاك وتلك، ويبهج عندما تتكشّف له سيما هذه العلاقة، التي لا تعدو لازمة من لوازم الكيتش.

ويذكر محمد يحيى قابل لفظتي مالكي وشافعي من التملّك والشفاعة ليوجّه ذلك إلى المذهبين المعروفين:

أقول له يا (مالكي) إنّ (شافعي) محيّاك فارحم من تشفّع بالبدر

(قابل، ص321).

وكذلك جعفر البيتي في قوله:

فيا (مالكي) يا (شافعي) والذي أنا إليه حليف في الهوى أتمذهب

(البيتي، 46 أ).

لا يعزب عن فهم المتأمّل لهذا التوجيه استثمار الشاعر للمذاهب حيث القدسية من جهة، والتعصب المذهبي من ناحية، والذي يجعل السامع يبحث في ثنايا ذلك عن السياق الذي أتى فيه توظيف هذا المذهب أو ذاك منشغلا عن طرح أسئلة حول مستوى هذا الشعر الجمالي.

4.1.3 التوجيه بأسماء الكتب: تظل الكتب هي الوعاء العلمي الفارق، تنبي معرفة عناوينها وما وراء هذه العناوين عن سعة اطلاع واهتمام بالعلم، وبذلك كان التوجيه بأسماء الكتب الشهيرة حاضرا في هذا الفنّ، ولذلك دلالة لا تخفى لإثبات العلمية للشاعر وإدهاش المتلقّي بهذا الصنيع.

وجّه الشهاب الخفاجي صاحب الريحانة (الشفا) بمعنى البرء و(الإيضاح) من الوضوح و(الإتقان) من الإحكام إلى الكتب المعروفة:

شفى بدرس (الشفا) مرضى درايتنا لمّا أفاد مع (الإيضاح) (إتقانا)

(الخفاجي،1967، ج1 ص240).

وللزللي:

أبـــديت للبلغـــاء معجـــزَ أحمـــد كي يذعنوا لك بالذكا ويدينوا

(الزللي، 1985، ص118).

أبو المعالي الطالوي:

كشـــــافُ أســـــرارِ البلاغـــــة عمـــــدةُ الفـــــتحِ القـــــدير

(الخفاجي، 1967، ج1ص70).

ولجعفر البيتي طالبا استعارة كتاب تذكرة داؤود الأنطاكي:

ولســت أنســى كــلّ مــا حزتُــه لكننـــــي أحتـــــاجُ (للتـــــذكرة)

(البيتي، لو 11ب).

ولابن معصوم:

هــو فـــي الزهـــد والعبـــادة فـــرد وهـو فـي الفضـل (جـامعُ الآداب)

(ابن معصوم، 1988، ص61).

5.1.3 التوجيه بأسماء سور القرآن: يتخذ التوجيه بأسماء سور القرآن جانبا آخر من جوانب الكيتش؛ لما تحمله أسماء هذه السور من قداسة، فإلى جانب الانغماس في فن التوجيه ثمّة إضفاء وهج خارجي للبيت مردّه إلى القيمة والقداسة، وقد شاع ذلك في الفن التشكيلي حيث استغلال دمعة طفل فقير، أو صورة قدّيس، ذات طابع إنساني وقدسي، للرفع من قيمة النّتاج وصرف المتلقّي عن القصور الجمالي والفنّي.

يحشد الشيخ عبد الرحيم العباسي أسماء السور بقوله:

و(زلزلــة) كــادت تهــدّ بعزمهــا أقـــاليمَ لا يبقـــى لهـــا أبـــدا أثـــرُ

و(واقعـة) قـد صـار منهـا (تغـابن) على (الروم) لا تنفك أو يحصل (الحشْرُ)

لقد سئموا وقع (الحديد) فلا يرى لهـــم همَّـــةً نحـــو القتـــال ولا كـــرُّ

(ابن معصوم،1968، ج1ص151).

بالإضافة إلى أنه وجّه بأسماء سور قرآنية، ثمّة خصيصة لهذه الأسماء فهي أسماء ذات دلالة هامة في ضمير المسلم حيث يوم القيامة والحشر.

وقريب من ذلك قوله:

لـي عبـرةٌ فـي (المرسـلات) ومهجـةٌ في (النازعات) ومقلةٌ في (هل أتى)

(ابن معصوم،1968، ج1ص152).

ومثله قول محمد بن عيسى الخالدي:

فـي (النازعـات) غـدا مـن بـاب يعشـقكم و(العاديـات) عليـه مـنكم الحَـدَقُ

وبـ (الحديـد) تلاقـوه إذا انفطـرت أكبـاده وهـو بـ (الإخـلاص) يحتـرق

و(الـذاريات) جفـوني حشـوها أرق و(المرسـلات) علـى الخـدين تسـتبق

(ابن معصوم،1968، ج1ص152).

وقول الآخر:

إذا مـا غـدا مثـل (الحديـد) فـؤاده فـو(العصـر) إن العاشـقين لفـي خسـر

(ابن معصوم،1968، ج1ص152).

يذكر ابن معصوم في (أنوار الربيع) أن للشاعر ابن جابر الأندلسي "قصيدة في التوجيه بجميع أسماء السور مدح بها النبي (ص) وأولها:

فـي كـل فاتحـة للقـول معتبـره حـق الثنـاء علـى المبعـوث بـالبقره

وهي قصيدة طويلة ذكرها رفيقه في شرح بديعيته فلا حاجة لذكرها هنا وعارضها جماعة فما شقوا لها غبارا." (ابن معصوم، 1968، ج1ص151)

ويدل تعليق ابن معصوم أن ثمّة مباراة في هذا الفن بين شعراء العصر ليحكم لابن جابر بتفوّقه عليهم.

ويظهر أن هذا الولع بفن التوجيه قد استمر حتى العصر الحديث الذي نادى روّاد التجديد فيه بتخليص الشعر العربي من هذا الزخرف اللفظي الذي انحرف الشعر فيه عن مساره بسببه قرونا عديدة، إذ نجد أن ثمة من يشترك في مسابقة عام 1979 م /1400هـ نظّمها القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية موضوعها مدح الرسول (ص) بمناسبة مرور 1400 سنة على هجرته، ليحصل على المركز الأول من ألف ومائتين من الشعراء المشاركين شاعر جعل التوجيه البلاغي مرتكزا لإبداعه. فقد وجّه بكل سور القرآن الكريم، منها:

افـــتح كتـــاب اللـــه إن الفاتحـــة فـــتحٌ وبرهـــانٌ وســـبع مثـــاني

بقـــرٌ وعمـــران كظـــلِّ ســـحابة وعلـــى النســـاء موائـــد الـــرحمن

اجعـل مـن الأنعـام قُربـى وارعهـا فـــي ذروة الأعـــراف والوديـــان

(نونية القرآن، 2019).

وهذا الصنيع من لدن الشاعر ولجنة المسابقة والاحتفاء بهذه القصيدة من قبل المتلقين يثبت أن ثمة من يحتفي ويعلي من شأن الشعر الكيتشي ويرى فيه إبداعا وتفوّقا، وهو ما ذكره الباحث في مقدمة هذا البحث الذي جاء ليلفت النظر إلى استمرا ثقافة الفن الهابط الزائف والاحتفاء به.

2.3 التوجيه بقواعد ومصطلحات العلوم: يؤكد ذلك ما يذهب إليه البحث من أن فن التوجيه البديعي يشي بتدثّر شعر هذا العصر بالكيتش وجعله مرتكزا لجذب المتلقي وإيهامه بتفوّق هذا النوع من الشعر المتمظهر بالاستعراض بالعلمية وحشد المصطلحات، فالشاعر يتوسّل بهذا الصنيع ليدخل في ربقة العلماء، فيأتي بلوازمهم ويمتح من قاموس لغتهم العلميّة، والعالم يدبّج هذا الشعر ليجعله ذريعة لأن يوصف بمقدرته الفذّة على صناعة الشعر والبروز في مضمارها.

يذكر ابن معصوم بيتين له يرى أن فيهما نكتة لطيفة، فيعيدنا بذلك إلى دائرة الرواية والرواة بذكر مصطلحاتها:

روى لنـــا المشـــط حـــديثًا عجبًـــا مـــن فرعهـــا الـــداجي كليـــلٍ ألْيَـــل

إذ أرســـــــلته واردا ومسلســـــــلا فاعجـــب لـــه مـــن مرســـلٍ مسلســـل

(ابن معصوم،1968، ج1ص153).

ولعبد علي الحويزي:

بحبّـــك آحـــاد الهمـــوم تـــواترت علـــيّ فـدمعي مسـتفيض بهـا انهمـر

يسلسـل فـي خـدّي مراسـيله التـي يضـعّفها الشـوق الـذي صـحّح الخبـر

(الحسيني الحلّي، د ت، ص71).

التوجيه بمصطلحات العلوم يدلّ على أن تلقي هذا الشعر مقصور على العلماء والمثقفين، وأن العامة قد استغنوا بشعرهم الذي كتبوه بلهجاتهم الدارجة، فتداول هذه المصطلحات بين الشاعر والمتلقي عن طرائق التوجيه بها ابتعد بالشعر عن جماليته ليقترب به إلى النظم التعليمي.

1.2.3التوجيه بالمصطلحات النحوية: لقد عُدّ علم النحو من أفضل علوم اللغة العربية وأقدمها وأشرفها؛ لأنه مفتاح العلوم كلها؛ فهي مفتقرة إليه؛ لأنه وسيلة مهمة لاستقامة اللسان وفهم المعاني، ولا غرو أنْ أكثرَ شعراءُ العصر من التوجيه بمصطلحاته وقواعده، لما وقر في نفوس هؤلاء الشعراء العلماء من تجويد للقاعدة النحوية، واستبطان للوازمها التي حتما ستظهر جليّةً في لغة هذا الشاعر أو ذاك.

ويورد ابن معصوم بيتين لابن الحنبلي وينعتهما باللطف:

ضـممت إلـى صـدري فتـاةً صـغيرةً لهـا سـحْر أجفـانٍ خلـوْنَ عـن الـذمّ

فمـذْ كسـرت أجفانَهـا قلـت إنّهـا علـى الفتح لم تقدر فما لـي سـوى الضـمّ

(ابن معصوم،1968، ج1 ص154).

ويعلّق ابن معصوم على ذلك بأنّ "أحسن ما يقع في هذا الباب ما وافقت ألفاظه صفاتها، كأن يكون الموصوف بأسماء أدوات الإعراب لفظة معربة بها.

ويوجّ الزللي بالمنع والصرف فيقول:

رفقا فكم بالصدّ تنويني وعن (نحو) المحبّة، لست ممّن يصْرفُ

(الزللي،1985، ص110).

وكذلك من بديعية الشيخ عبد القادر الطبري قوله:

قاد الجنائب أغراء موجهة لا صرف فيها ولا نصب لمنجزم

حيث وجّه بالإغراء والصرف والنصب والجزم.

(ابن معصوم،1968، ج1ص176).

وينظم ابن معصوم قصيدة بديعية يمدح بها النبي (ص) ويضمنها جميع أنواع البديع وتقع القصيدة في مائة وأربعة وخمسين بيتا، وبيت بديع التوجيه فيها هو:

رفعت حالي إليهم إذْ خفضتُ وقد نصبْتُ طرْفي إلى توجيه رُسْلِهُمُ

(ابن معصوم، 1988، ص371).

وكما اكتسب التوجيه بسور القرآن الكريم قدرا من القداسة، فقد اكتسى التوجيه بالمصطلحات النحوية هالة مردّها شرف هذا العلم كما ذُكر، كما أن كثرة المصطلحات النحوية أتاحت أمام الشاعر مادّة خصبة للتوجيه الذي سيذهل المتلقي ليبتعد عن الجمالية الحقيقية للشعر.

2.2.3 التوجيه بمصطلحات العروض والموسيقى: التوجيه بمصطلحات العروض والموسيقى له تناسب خاص، إذ هو توجيه بلوازم الشعر، كما أن الشعر والموسيقى بينهما تلازم كبير، يقول الشاعر عبد علي بن رحمة الحويزي:

قلــت لمــن قــد جفــا فأضــحى جســمي مــن هجــره علــيلا

قصّــرت منّــي طويــلَ حــبّ والقصــر لا يلحــقُ الطويــلَ

(الحسيني الحلّي، د ت، 117).

وقوله:

يقــول لــي الألــى جهلــوا مكــاني ببحــرٍ وافــر مــاذا تقــول

فقلــت لهــم كشــأنكم وشــأني مفــاعيلن مفــاعيلن فعــول

(الحسيني الحلّي، د ت، 115).

وتنعكس ثقافة الشاعر جعفر البيتي الموسية على شعره، فالمتصفّح لديوانه يلفيه مليئا التوجيه بمصطلحات علمية شتى أبرزها المصطلحات العروضية؛ إذ نجده يوجّه قصيدة –تقع في واحد وعشرين بيتا–لأحد علماء عصره وينص على ذلك بقوله "وكتبت إلى شيخنا العلامة الشيخ أبي طاهر محمد بن الشيخ إبراهيم الكوراني سنة 1158هـ"، ويؤكد ذلك قضية استعراض الشاعر بمعرفته وثقافته في الأوساط العلميّة:

أنــت يــا كامــلَ الخــلال مديــدَ الأيــ ــدِ فــي الجــود وافــرَ الأفضــال

إن كيســي مــن البحــور خفيــفٌ فيــه طــيٌّ عــن فاعــلٍ وفعــال

وزحــافي عــن بــال ســيدنا الشيــ ــخ عجبــت مــا كــان يومــا ببــالي

لا تكفّــوا طويــل رجــواي فــيكم فقبــيحّ كــفّ البحــور الطــوال

(البيتي، لو10ب).

وللبيتي كذلك قصيدة يستهلها بالتوجيه بأسماء بحور الشعر، فيقول:

وبعــد فشــوقي والســؤال كلاهمــا طويــلٌ مديــدٌ والبســيطُ فــوافرُ

ومنســـرحٌ ودّي لكـــم متقـــاربٌ قوافيـــه فـــي إخلاصـــه متـــواتر

ومجـزوء شـغلي عـن سـواكم مرفّـلٌ وصـــبريَ قـــد دارت عليـــه الـــدوائر

(البيتي، لو59أ).

ومنه قول الشيخ عبد النافع بن عراق:

يـا غـائبين وقـولي حـين أذكـرهم كـم هكذا اغتدي فـي غربـةٍ وفـراق

لـو سـار ركْـبٌ بعشـاقِ اللـوى رَمَـلا نحـو الحجـاز لمـا ذاق النـوى ابـن عـراق

(ابن معصوم،1968، ج1ص173).

ولجمال الدين العصامي المكي مادحا الشيخ عبد النافع بن عراق:

ظَـرُفَ الحجـاز بمقـدم ابـنِ عـراق مـن بعـد مـا قاسـى نـوى العشـاق

فـــاليوم نيـــروزُ الحجـــاز وعيـــدِه إذ صـــام فيـــه وَعَيَّـــدَ ابـــنُ عـــراق

(ابن معصوم،1968، ج1ص174).

ومنه قول الشيخ شرف الدين يحيى بن الشيخ عبد الملك بن الشيخ جمال الدين العصامي، في من اسمه حسين:

أقـــول لمعشـــر العشـــاق لمّـــا بـــدا ركـــبُ الحجـــاز وقـــرّ عينـــي

أمنـتم مـن نـوى المحبـوب فاسـعوا لـــه رَمَـــلا وغنّـــوا فـــي حُســـيني

(ابن معصوم،1968، ج1ص174).

يضاف إلى ما سبق من خصوصية التوجيه بمصطلحات العروض والموسيقى صعوبة هذين الموردين، وقلّة التعاطي لهما، فالعروض وكذلك الموسيقى تحتاج إلى جانب تعلّمهما المدرسي ملكاتٍ خاصة ودربة وذائقة مرهفة.

3.2.3 التوجيه بالمصطلحات البلاغية: بما أنّ البلاغة مناط التفوّق الشعري في هذا العصر، فلا غرو أن يكون الاحتفاء بمصطلحاتها على أشدّه، فالتوجيه بهذه المصطلحات كيتش متعدد الجوانب، فالمصطلح البلاغي الموحي وطريقة التوجيه به، والاستعراض العلمي والشعري بذلك كله يجعله كيتشا بامتياز. من ذلك قول الشيخ شرف الدين العصامي:

رأى سـقْمَ الكتـابِ فمـال عنـه سـقيمَ الجفـن ذو حسـنٍ بـديع

فقلـت لـه فـدتك الـنفس هـلا مراعـاة النظيـرِ مـن البـديع

(ابن معصوم،1968، ج1ص165).

ولعلي بن معصوم:

لـيس احمـرارُ لحاظـه مـن علّـة لكـن دمُ القتلـى علـى الأسـياف

قـالوا تشـابه طرفُـه وبنانُـه ومـن البـديع تشـابهُ الأطـراف

(ابن معصوم،1988، ص300).

ولجعفر البيتي:

مبتـداه خبـرٌ عـن عدْلـه فـي قضـاياه لحـلّ الأرمـل

ومراعـاة نظيـرٍ هـي فـي خـاطر الـدهر لـه فـي الأزل

(البيتي،12أ).

ومن التوجيه في علم المعاني قول ابن رحمة المذكور أيضاً:

إن كـان قـاطعني الحبيب مواصـلا لطريـق زنّـاء مبـاح الأسـفل

فصـناعة الفصـحاء قادتـه إلـى تـرْك الحقيقـة للمجـاز المرسـل

(ابن معصوم،1968، ج1ص165).

وقوله:

أتظـــنّ تنكيـــر اللئـــيم محقّـــرا لـك إن كسـاك الفضـل ثـوبَ عظـيم

لا تخـش مـن تنكيـره فبمثـل ذا يتعـــيّن التنكيـــر للتعظـــيم

(ابن معصوم،1968، ج1ص165).

4.2.3 التوجيه بمصطلحات متفرقة: وجّه الشعراء بمصطلحات لعلوم متفرّقة، لكنها لم تأخذ حيّزا كبيرا من صفحة هذا الفنّ، من ذلك التوجيه بعلم المنطق، مثل قول الحويزي:

وممتنـع علـى المعـروف أضـحى مـن الإمكـان حيـرة كـل عـارف

يفيـد ضـرورة الطـرف المـوالي ويسـلبها عـن الطـرف المخـالف

(الحسيني الحلّي، د ت، ص98).

وقوله:

تجـيء بـزورِ القـولِ ثـم تلـومني عليـه وهـذا مطلـبٌ غيـرُ معقـول

وترجـو احتمـالي مـا وضَـعْتَ علـيَّ مِنْ حـديثِك والموضـوعُ لـيس بمحمـول

(الحسيني الحلّي، د ت، ص114).

ومن التوجيه بأسماء الأدوية للبيتي:

فـامنن بحقـة معجـون النجـاح لنـا وابعث بـها عوضـتا عن حقّة الصّـبر

(البيتي،3أ).

فجعفر البيتي في البيت السابق يظهر معرفته الدقيقة بالطيب والتي اشتهر بها، فيذكر معجون النجاح لا من باب الاستعارة، بل هو فعلا اسم لمعجون معروف في كتب الطب القديم ضمن المعاجين المتداولة. (الأنطاكي، 2015، ص 588).

ومن التوجيه في علم النجوم قول الشهاب محمود في حرّاث:

عشــقت حرّاثًــا مليحًــا غــدا فــي يــدِه المسّــاس مــا أجملــه

كأنــه الزهــرةُ قدَّامــهُ الــ ــثورُ يراعــي مطلــعَ الســنبله

(ابن معصوم،1968، ج1ص167).

ومن التوجيه في علم الهندسة:

ويعدّ التوجيه بمصطلحات علم الهندسة تفرّد يحسب للشاعر، فهو علم يندر تداوله، وليس له حظ العلوم الأخرى كعلوم الدين واللغة والأدب، من ذلك قول الشيخ عبد علي الحويزي:

قلــت هــل تقســمُ لــي جــوهرَ ثغــرٍ أشــتهيه

قــال ثغــري الجــوهرُ الفــر دُ ولا قســمةَ فيــه

(مضر الحلّي، د ت، ص36).

ومن التوجيه في الكتابة قول بعضهم:

غبــار ذنــوبي فــي الرقــاع محقّــقٌ بنســخ الكــرام الكــاتبين ذوي العــدْل

وتوقيــع ريحــاني رجــائي لعفــو مــن ينــادي بثلــث الليــل يــا واســعَ الفضــل

(ابن معصوم،1968، ج1ص170).

كذلك يقول ابن عبد الظاهر:

مفــرد فــي جمالــه أن تبــدّى خجلــت منــه جملــة الأقمــار

كيــف أرجــو الوفــاء منــه وعاملــ ـت غريمــا مــن لحظــه ذا انكســار

فيــه وجــدي محقّــقٌ وســلوّي وكــلام العــذول مثــل الغبــار

فلســاني فــي وصــفه قلــمُ الشِّعْــ ــر ورقِّــي المكتــوب بالطومــار

(ابن معصوم،1968، ج1ص170).

وقد احتفل صاحب كتاب العقد المفصّل بقصيدة للشاعر عبد علي الحويزي –بعد أن أورد له أبياتا كثيرة في فن التوجيه بأشياء عديدة– تقع في ثمانية وعشرين بيتا للشاعر وبرر ذلك بقوله:" وإنّما ذكرت هذه القصيدة بتمامها لما اشتملت عليه من أنواع التوجيه مع حسن السبك وحلاوة الألفاظ وحسن المطلع والمقطع يعرف ذلك بالذوق السليم". (الحلّي، 2014، 617/1).

مطلعها:

قلبي وطرفك منصوبٌ ومكسورٌ كلاهما مطلقٌ منّا ومأسور

قَدْري وقَدُّكَ مخفوضٌ ومنتصبٌ والثغرُ والدمعُ منظومٌ ومنثور

بخفض قدريَ فيك الناس تعرفني وهكذا الحبُّ تعريفٌ وتنكير

أبدى ضروبَ بديعٍ طرفُه، فله في فتيةِ العشق تصريعٌ وتشطير

قد أخلصت كيمياء الحبِّ وجنتَه كأنها للهوى العذريِّ إكسير

لو لم يكن كيمياءً ما تيسّرَ للـ أنفاس والدمعِ تصعيدٌ وتقطير

(يحيى) بـ(جعفر)دمعي فيك (فضلُ) وفا أنا (الرشيد) به والقلب مسرور

يا دمع مقلتي (الكشاف) أنت لقر آن المحبّة تأويل وتفسير

(الحسيني الحلّي، د ت، ص80).

فالقصيدة والاحتفال بها وعدّها تفوّقا شعريا تظهر مدى تعلّق أدباء هذه العصور بالكيتش، ذلك الذي صرفهم عن الشعريّة الأصيلة التي خلّدت شعر العصر الجاهلي وضمنت له الخلود والسيرورة وجعلت هذا الشعر رهين دواوينه ومنتخباته المخطوطة.

4. الخاتمة:

1.4 النتائج: -يؤكد البحث أهمية ونجاعة استخدام طرائق البحث الحديثة لقراءة الشعر القديم وتفسير بعض ظواهره، فطالما تحدث النقاد ومؤرخو الأدب عن الضعف والتدهور الذي أصاب الحياة الأدبية في عصور الدول المتتابعة وخاصة العصر العثماني دون إبراز الأسباب التي تقف وراء هذا الضعف وغالبا ما يرد هذا الضعف إلى أسباب عامة يحكمها التخمين بعيدا عن الدراسة التطبيقية المتعمقة المتأنية؛

-اعتمد البحث على استقراء نصوص وشواهد شعرية متفرقة من حيث الزمان والمكان ليبتعد عن الأحكام النظرية والمعممة التي طالما رُددت لتصف نتاج هذا العصر؛

-عالج البحث قضيته باختيار فن بلاغي غير مستقر لدى كثير من الباحثين مع أن هذا الفن يعدّ في هذه العصور مناط إبداع وتفوّق وشاهد على الشاعر بتبحّره وسعة ثقافته ومطالعاته؛

-من خلال النماذج المختارة حاول البحث إلقاء الضوء على بعض أسباب تدنّي مستوى الشعر في العصر العثماني، ليصل إلى أنّ الاهتمام بالمحسنات البديعية جاء على حساب القيم الجمالية للشعر، وكذلك متطلبات الأصالة التي لا ترى في التزيّد البديعي قيمة ذات بال؛

-كان لكتابة الشعر في العصر العثماني قيمة تضاف إلى رصيد العالم أو المثقف، وتأتي في مقدّمة ما يعرّف به، ويكون ذلك سببًا للإشادة بقدراته الإبداعية في التراجم والمصنفات، أسهم ذلك في كثرة الشعراء وجعل غير المطبوعين منهم يتوسلون بهذه المحسنات كفن التوجيه للحصول على لقب شاعر.

2.4 التوصيات: -حاجة الشعر في هذا العصر إلى مزيد اهتمام من الباحثين، فهو من الكثرة والامتداد الزمني بحاجة إلى تضافر جهود دراسات

متعمقة واعية تعتمد على حفريات رأسية لقضايا مؤطرة جزئية تمثّل مع غيرها فسيفساء يغطي المساحة المطلوبة لنقد شعر هذا العصر؛

-توظيف المناهج الحديثة السياقية والنصية التي من شأنها إبراز الظواهر النقدية ودراستها دراسة تجلّي عن خلفياتها ومآلاتها؛

-تحقيق شعر هذه العصور والذي يقبع جله مخطوطا في المكتبات الخاصة ودور المخطوطات، فذلك من شأنه حفظ هذا الشعر المعرّض للضياع بسبب التلف أو الفقد من ناحية، وإتاحته للدراسين من ناحية أخرى؛

-استخدام مصطلح الكيتش كأداة لرصد فنون بلاغية أخرى زاد الاحتفاء بها كالتاريخ الشعري والجناس المرفّل والبديعيات.

6. قائمة المراجع:

- ابن النحاس، فتح الله، ديوان فتح الله بن النحاس. تحقيق: محمد العيد الخطراوي، (ط1) السعودية: مكتبة دار التراث (1991).
- ابن معصوم، علي، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر. (ط1) العراق: مطبعة النعمان (1968).
- ابن معصوم، علي، ديوان ابن معصوم، تحقيق: شاكر هادي شكر. لبنان: عالم الكتب (1988).
- الأنطاكي، داود بن عمر، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، تحقيق: نبيل شاكر العرقاوي، ط1، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب (2015).
- البيتي، جعفر(مخطوط) ديوان السيد جعفر البيتي، مجمع الملك عبد العزيز، مكتبة عارف حكمة، المدينة المنورة رقم810/62 أدب عربي.
- التفتازاني، مسعود بن عمر، المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي. (ط1) لبنان: دار الكتب العلمية (2001).
- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط1) جدّة: دار المدني (1991).
- جسّام، بلاسم محمد، الفن والقمامة–تبدّل الذوق الجمالي (ط1) لبنان: جامعة الكوفة (2020).
- الحامد، عبد الله، الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين1150–1350هـ. (ط3) السعودية: دار الكتاب السعودي (1993).
- الحلّي، حيدر بن سليمان، العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل تحقيق: مضر سليمان الحلّي (ط1) بغداد: مؤسسة الرافد للمطبوعات (2014).
- الحلّي، صفيّ الدين عبد العزيز بن سرايا، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن الكلام، ط2 تحقيق: نسيب نشاوي. لبنان: دار صادر (1992).

- الحلّي، مضر سليمان الحسيني، حلي الأفاضل وما وصل إلينا من شعر عبد علي بن رحمة الحويزي، جمع وتحقيق وتذييل: بدون معلومات نشر.
- الحموي، ابن حجة، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقي، لبنان: دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة (2004).
- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس. لبنان: دار الغرب الإسلامي (1993)
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ريحانة الألباب وزهرة الحياة الدنيا. (ط1) تحقيق: عبد الفتاح الحلو. مصر: مكتبة ابن تيمية
- الركابي، جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار. مصر: دار المعارف (1997).
- الزركلي، خير الدين، الأعلام. (ط10) لبنان: دار العلم للملايين (1992).
- الزللي، محمد أمين، ديوان محمد أمين الزللي، تحقيق: محمد العيد الخطراوي. (ط1) السعودية: مكتبة دار التراث (1985).
- سعيد، الصافي، الكيتش 2011، (ط1) لبنان: بيسان للنشر والتوزيع (2017).
- سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي. (بدون) مصر: دار المعارف (1971).
- السميري، سالم بن وصيل، جعفر البيتي–شاعر المدينة في القرن الثاني عشر الهجري. (ط1) السعودية: نادي المدينة المنورة الأدبي (2017).
- شيخ أمين، بكري، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني. (ط4)، لبنان: دار العلم للملايين (1986).
- صالح، أروى، المبتسرون (ط1) دمشق: دار النهر (1996).
- الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (بدون) مصر: مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز (بدون تاريخ)

- ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات/ الجزيرة العربية– العراق– إيران (بدون) مصر: دار المعارف (1980).
- عتيق، عبد العزيز، علم البديع. (ط1) مصر: دار الآفاق العربية (2000).
- العسقلاني، ابن حجر (ديون شعره) تحقيق: فردوس نور علي حسين، مصر: دار الفضيلة د، ت.
- العصيمي، لطيفة سعود بركي، التورية بين النص الإبداعي والنسق الثقافي. (ط1) لبنان: الانتشار العربي (2018).
- العطار، مختار، آفاق الفن التشكيلي على مشارف القرن الحادي والعشرين. (ط1) مصر: دار الشروق (2000).
- فيود، بسيوني عبد الفتاح، علم البديع–دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع. (ط4) مصر: المختار للنشر والتوزيع (2015).
- قابل، محمد يحيى (ديوانه) تحقيق: محمد بن راضي الشريف، رسالة دكتوراه، مكتبة جامعة أم القرى، مكة المكرمة (2010).
- كونديرا، ميلان، كائن لا تحتمل خفّته، ترجمة: ماري طوق. (ط3) لبنان: المركز الثقافي العربي (2013).
- اللهيبي، حسين عبد العال، ظاهرة التورية في شعر العصر المملوكي وأثرها في تعميق المعنى. (ط1) سورية: دار تموز ديموزي (2018).
- المالكي، سعيد بن مسفر، أدب الدول المتتابعة (ط1) السعودية: مركز النشر العلمي – جامعة الملك عبد العزيز (2013).
- محمد، محمود سالم، وآخرون، مدخل إلى الأدب العربي في العصر المملوكي. (بدون) سورية: منشورات جامعة دمشق (2019).
- مطلوب، أحمد (ط2) معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها. (ط2) لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

- مكاريك، إيرينا. ر، موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة. ج3 مفاهيم، ترجمة: حسن البنا عز الدين، (ط1) المركز القومي للترجمة، القاهرة (2017).
- النابلسي، عبد الغني، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار– شرح البديعية المزرية بالعقود اللؤلؤية، (ط3) لبنان: عالم الكتب (1984).
- وادي، طه، الشعر والشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر. (ط3) مصر: دار المعارف (1995).
- يوسف، خالد إبراهيم، الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان. (ط1) لبنان: دار النهضة العربية (2003).
- **المقالات:**
- غربي، ويزة، "الكيتش" الرداءة الخلابة بين ميلان كونديرا في روايته "كائن لا تُحتمل خفّته"، وسعيد صافي في روايته "الكيتش2011، المدونة، المجلد 08 العدد 04 ديسمبر 2021 ص 4537– 4552.
- المأمون، عمار، تماثيل الكيتش في سورية، مجلة قلمون، العددان الثالث عشر والرابع عشر كانون الأول ديسمبر 2020، ص433–457.

<u>مواقع الانترنيت</u>:

- تورستن بودتز يعرِّف مصطلح الكيتش، بوابة الوسط، الإثنين 28 يناير 2019 http://alwasat.ly/news/art-culture/234174
- حاوي، برهان (2019) عن " الكيتش " Kitsch في الحياة..والأدب..والفن، 24 يوليو 2019 https://xeber24.org/archives/194261
- الرجب، إيمان (2019) فن التوجيه في شعر ابن حجر العسقلاني، مجلة الكلمة، العدد 146 http://www.alkalimah.net/Articles/Read/20532
- سيد، حسام الدين(2020) مصيدة الكيتش، الجزيرة نت، 24 –12–2020 https://www.aljazeera.net/
- الشروق الجديد، الكيتش في وصف المبتذل والرديء، اليوم السابع، نشر في الشروق الجديد يوم 3–6–2009 https://www.masress.com/shorouk/51046

●شومان، هلال نُشر في June 20, 2007
http://www.hilalchouman.com/?p=81
●لعيبي، شاكر (2015) ماهو الفن الهابط (الكيتش)؟
/https://alantologia.com/blogs/40682
●مجلة الثقافة العمّالية، نونيّة القرآن (2019) https://wcm-edu.com/?p=6907

Sources and references:

- Al-Bayti, Jaafar (manuscript) his Diwan, King Abdul Aziz Complex, Aref Hikma Library, Medina No. 62/810 Arabic literature
- Al-Hamawi, Ibn Hajja (2004) The Treasury of Literature and the Purpose of God, Investigation: Issam Shaqiu, Lebanon: Dar and Library of Al-Hilal, last edition
- Al-Hamawi, Yaqout (1993) A Dictionary of Writers, Instructing Al-Areeb to Know the Writer, investigated by: Ihsan Abbas. Lebanon: The Islamic West House
- Al-Hamid, Abdullah (1993) Poetry in the Arabian Peninsula during the two centuries, 1150-1350 AH. (I 3) Saudi Arabia: The Saudi Book House
- Al-Hilli, Haider bin Suleiman (2014) The Detailed Contract in the Tribe of Al-Majd Al-Mutawa'il, Investigated by: Mudar Suleiman Al-Hilli (1st Edition), Baghdad: Al-Rafed Institution for Publications
- Al-Hilli, Safi Al-Din Abdul-Aziz bin Saraya (1992) Explanation of Al-Kafia Al-Badi'iyyah fi Al-Ulum Al-Balaghah and "Mahasin Al-Kalam", 2nd Edition, Edited by Nassib Nashawi. Lebanon: Dar Sader
- Al-Khafaji, Shihab Al-Din Ahmed Bin Muhammad Bin Omar (1967) Rehana Alba and the Flower of the Life of the World. (I 1) Investigation: Abdel Fattah Al-Helou. Egypt: Ibn Taymiyyah Library
- Al-Lhaibi, Hussein Abdel-Al (2018) The phenomenon of pun in the poetry of the Mamluk era and its impact on deepening the meaning. (1st floor) Syria: Dar Tammuz Demos

- Al-Maliki, Saeed bin Misfer (2013) Literature of Successive Countries (1st Edition) Saudi Arabia: Scientific Publishing Center - King Abdulaziz University
- Al-Nabulsi, Abdel-Ghani (1984) The smells of flowers on the breezes of magic in praise of the chosen Prophet - Explanation of the miserable Badia with pearl necklaces, (3rd floor) Lebanon: The World of Books
- Al-Osaimi, Latifa Saud Barki (2018) The pun between the creative text and the cultural system. (I 1) Lebanon: The Arab Expansion
- Al-Rikabi, Jawdat (1982) Arabic literature from decline to prosperity. (I 1) Syria: Dar Al-Fikr
- Al-Saidi, Abdel-Mutaal (no date) for the purpose of clarification to summarize the key in the sciences of rhetoric (without) Egypt: Library of Arts and its printing press with Jamamis
- Al-Sumairi, Salem bin Wasil (2017) Jaafar Al-Bayti - the poet of the city in the twelfth century AH. (1st floor) Saudi Arabia: Al Madinah Al Munawwarah Literary Club
- Al-Taftazani, Masoud bin Omar (2001) the extended explanation of the summary of the key to the sciences, investigated by Abdul Hamid Hindawi. (I 1) Lebanon: House of Scientific Books
- Al-Zalali, Muhammad Amin (1985) The Diwan of Muhammad Amin Al-Zalali, investigated by: Muhammad Al-Eid Al-Khatrawi. (1st floor) Saudi Arabia: Heritage House Library
- Al-Zarkali, Khair Al-Din (1992) Al-Alam. (10th I) Lebanon: House of Science for Millions
- Daoud Bin Omar Al-Antaki,, Tadhkirat al-albab wa al-jami al-jab al-jab, investigation: Nabil Shaker al-Arqawi, 1st edition, Damascus: The Syrian General Book Organization (2015)
- Dhaif, Shawqi (1980) The era of states and Emirates / Arabia - Iraq - Iran (without) Egypt: Dar Al Maaref
- Fayoud, Bassiouni Abdel-Fattah (2015) Budaiya Science - A historical and artistic study of the origins of rhetoric and Budaiya issues. (I 4) Egypt: Al-Mukhtar for Publishing and Distribution

- Ibn Al-Nahhas, Fath Allah (1991) his collection, investigation: Muhammad Al-Eid Al-Khatrawi, (1st floor) Saudi Arabia: Dar Al-Turath Library
- Ibn Hajar Al-Asqalani, (the debts of his poetry), investigated: Ferdous Nour Ali Hussein, Egypt: Dar Al-Fadila D, T.
- Ibn Masoum, Ali (1968) The Lights of Spring in the Kinds of Budaiya, achieved by: Shakir Hadi Shukr. (I 1) Iraq: Al-Numan Press
- Ibn Masum, Ali (1988) his book, investigation: Shakir Hadi Shukr. Lebanon: the world of books
- Irena R . Makary (2017) Encyclopedia of Contemporary Literary Theory: Approaches, Scholars, Terms.(I 1) Egypt :National Center for Translation
- Jassam, Balsam Muhammad (2020) Art and Garbage - A Change in Aesthetic Taste (1st Floor) Lebanon: University of Kufa
- Kundera, Milan (2013) An Unbearable Lightness Being, translated by: Marie Touq. (I 3) Lebanon: The Arab Cultural Center
- Muhammad, Mahmoud Salem, and others (2019) An introduction to Arabic literature in the Mamluk era. (Without) Syria: Damascus University Publications
- Saeed, Al-Safi (2011) Al-Kitich (1st floor), Lebanon: Bisan Publishing and Distribution
- Sheikh Amin, Bakri 1986) Readings in Mamluk and Othman poetry. (I 4) Lebanon: House of Science for Millions
- Wanted, Ahmed (I 2) A dictionary of rhetorical terms and their development. (2nd floor) Lebanon: Library of Lebanon Publishers
- Youssef, Khaled Ibrahim (2003) Arabic poetry in the days of the Mamluks and their contemporaries from the rulers. (I 1) Lebanon: House of the Arab Renaissance
Al-Attar, Mukhtar (2000) The Horizons of Fine Art on the Approach of the Twenty-First Century. (1st floor) Egypt: Dar Al-Shorouk
Ateeq, Abdel Aziz (2000) Al-Budaiya's Science. (I 1) Egypt: Arab Horizons House
Boniface, Pascal (2013) The False Intellectuals - The Media Victory of Liar Experts, translated by Rose Makhlouf. (I 1) Syria: Ward for printing and publishing

Gabel, Muhammad Yahya (manuscript), his Diwan, King Abdul Aziz Complex, Aref Hikma Library, Al-Madima Al-Munawwarah No. 70/810, Arabic literature

Salam, Muhammad Zagloul (1971) Literature in the Mamluk Era. (Without) Egypt: House of Knowledge

Wadi, Taha (1995) Poetry and Unknown Poets in the Nineteenth Century. (I 3) Egypt: House of Knowledge

- Articles:

- Ammar Almamoun, Kitsch Statues in Syria, Qalamoun Magazine, Issues 13 and 14, December 2020, pp. 433-457
- Gharbi, ouiza (2021) "Kitch" the picturesque mediocrity between Milan Kundera in his novel " The Unbearable Lightness of Being "and Said Safi in his novel "Kitch 2011" Almmudawwanh k Vol 08 N04 Dec 2021.

Electronic references:

Gateway Center, Monday 28 January 2019 http://alwasat.ly/news/art-culture/234174

- Labor Culture Magazine, Potty of the Qur'an https://wcm-edu.com/?p=6907

- Laibi, Shaker (2015) What is kitsch?
https://alantologia.com/blogs/40682/

- Sayed, Hossam El-Din (2020) The Kit Trap, Al Jazeera Net, 12-24-2020
https://www.aljazeera.net/amp/midan/art/cinema/2020/12/24/%D8%D

- Rajab, Iman (2019) The Art of Guidance in the Poetry of Ibn Hajar Al-Asqalani, Al-Kalima Magazine, No. 146
http://www.alkalimah.net/Articles/Read/20532

- Schumann, Hilal http://www.hilalchouman.com/?p=81

- Shawi, Burhan (2019) on “Kitsch” in life, literature, and art, July 24, 2019 https://xeber24.org/archives/194261

-The Seventh Day, Al-Shorouk Al-Jadeed was published in Al-Shorouk Al-Jadeed on 3-6-2009
https://www.masress.com/shorouk/51046

الصّحراء في الرّواية الجزائريّة الحديثة
بين الواقعي والعجائبي

The desert in the modern Algerian novel
Between the real and the miraculous

د. عفاف صيفي♥

د. عمر عاشور♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:012-001-027-0114/33705.10 DOI

تاريخ الاستلام: 25-03-2024 تاريخ القبـول: 31-07-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يتناول هذا المقال حضور الصحراء في الرواية الجزائرية الحديثة من منظورين، منظور خارجي يمثله روائيون لا ينتمون إليها، فيرون فيها فضاء عجائبيا يعالجون من خلاله بعض الإشكاليات عن طريق التأمل الفلسفي ومنظور يمثل رؤية داخلية يمثله جيل جديد من الروائيين ينتمي جغرافيا إلى الصحراء ويرى فيها واقعا معيشيا يتم طرح قضاياه وفق رؤية واقعية أي أن الصحراء تحضر في الرواية الجزائرية الحديثة من منظوريْن تخيليين، الأول عجائبي يرى في الصحراء فضاء سحريا والثاني واقعي يطرح القضايا التاريخية والحياتية لهذا الفضاء.

كلمات مفتاحيّة: الصحراء؛ السرد العجائبي؛ منظور خارجي؛ منظور داخلي.

♥ المدرسة العليا للأساتذة–بوزريعة.

البريد الإلكتروني: saifi.afaf@ensb.dz (المؤلّف المرسل).

♥ المدرسة العليا للأساتذة–بوزريعة.

البريد الإلكتروني: achour.amar@ensb.dz.

Abstract: This article examines the presence of the desert in the modern Algerian novel from two perspectives: an external perspective represented by novelists who do not belong to it, who see it as a wondrous space through which they address some problems through philosophical contemplation, and a perspective that represents an internal vision represented by a new generation of novelists who geographically belong to the desert and see in it A living reality whose issues are presented according to a realistic vision, that is, the desert appears in the modern Algerian novel from two imaginative perspectives: the first is a wondrous one that sees the desert as a space for enjoyment, and the second is realistic and raises the historical and life issues of this space.

Keywords: Desert; miraculous narrative; external perspective; internal perspective.

1. مقدّمة: كيف تمثّلت الروايةُ الجزائريةُ الصحراءَ، خاصة وأن معظم الروائيين الجزائريين لا ينتسبون إليها جغرافيا؟ هل كتبوا عنها كتجربة وجودية معيشة، وبالتالي هي جزء من الواقعي في النص الروائي؟ أم كتبوا عنها في إطار التأملات لتدخل في الجزء التخييلي من الرواية؟ وهو ما يمثل في الحالة الأولى رؤية من الداخل تسمح بطرح تجربة وجودية سرديا، ورؤية من الخارج في الحالة الثانية تدخل في إطار العجائبي والخارق.

وفي هذه الدراسة سنقف أمام نموذج من حضور الصحراء في الرواية، حيث يجسد الروائي أحمد صديق الزيواني الرؤية من **الداخل من خلال روايته** «كاماراد» التي تعالج قضايا واقعية معيشة في الصحراء، قصد إبراز هذا الفضاء باعتباره يمثل هوية سردية وهوية ثقافية وحضارية، هوية بدأت تطفو إلى العلن مع جيل جديد من الأدباء من أبناء الصحراء، علما أن المراجع حول الصحراء في الرواية شحيحة جدا إذا لم تكن نادرة.

2.الصحراء هوية سردية: دخلت الصحراءُ كتيمة جديدة في الرواية مجالَ البحث بمثابة فضاء أوسع للتأملات يسمح بتأويل أو إعادة قراءة معضلات وجودية طرحها فضاء المدينة ولم يعد قادرا على تبرير أو تفسير وجودها، سواء من طرف الروائيين الذين اتخذوا من هذا الفضاء ملاذا هروبا من المدينة أم من طرف أبناء الصحراء (جيل جديد من الروائيين) الذين اتخذوا منها معادلا موضوعيا لمعالجة قضايا واقعهم.

لقد ارتبطت الصحراء منذ القدم بالفقار أي غياب الحياة، وكون الرواية تعد فنا يرصد حركية مجتمع في لحظة تحول اجتماعي أو سياسي، فإن هذه الحركية تغيب في هذا الفضاء، وبالتالي كانت الرواية بنت المدينة حيث الحياة والصخب، لتظل الصحراء موطنا للصمت والسكون تسكنه الأساطير والخرافات، وحول فكرة الفقار التي تحملها الصحراء يرى الفيلسوف الفرنسي **ميشال رو** «إن الفضاء الصحراوي يمثل لا فضاء تكسوه إيحاءات سلبية فهو فضاء الرتابة والسقم لا يتمتع بالجمال والعظمة وهو على عكس الطبيعة» (Michel Roux ،1996).[1]

لم تكن الصحراء في الوطن العربي–الذي يعد جزءا من الصحراء–معادلا موضوعيا لدى روائييها، لكنها تسللت إلى بعض الأعمال بأشكال مختلفة، كان أبرزها استعارتها لتصوير بعض النزعات المصطبغة ببعض ما ترسب من ولع خاص سكبته الرومانسية العربية على الطبيعة. (صلاح صالح،1996)[2] فهي بالنسبة للأدباء وخاصة الروائيين فضاء للتخييل والتخيلات، مما حدا بها أن تصبح تيمة من التيمات المهمة. لكن هناك فرقا بين روايات كتبها أبناء الصحراء فهي تقوم على وصف الواقع ورصده، فتصبح فضاء يحكمه الوضوح يثير القلق والتخوف من المستقبل، وروايات كتبها زائرون للصحراء يرونها فضاء للخوارق والعجائبي منظورا لها من جهة التأمل. فضاء يلفه الغموض

وتحكمه الأسرار ليمنح متأمله مزيدا من الشعور بالاستكانة والطمأنينة وكل ما يتعلق بعالم الروح والروحانيات.

لكن الرواية العربية الحديثة والمعاصرة، التي ظهرت ما بعد عصر العولمة وتحولاته الرهيبة، وجدت في الصحراء فضاء يمثّل نوعا من الأصالة المنشودة عثرت فيه على هويتها الخصوصية، لتقطع الكثير من الوشائج مع الرواية الغربية شكلا ومضمونا، وهي وشائج فرضتها سنن احتذاء الرواية العربية بالرواية الغربية مع المؤسسين الأوائل (ميرال الطحاوي،2008)[3]. فمع الروائي الليبي إبراهيم الكوني والأجيال اللاحقة، بات فضاء الرواية يشكل فضاء أساسيا للتخييل والإبداع، فضاء يعبر عن تجربة وجودية وليس فضاء يحضر عبر التخيلات والتأملات فقط.

أما الصحراء في الرواية الجزائرية فباتت فضاء مركزيا منظورا إليه من جهة الهروب منه (واقع يكتبه روائيون من أبناء الصحراء)، ومن جهة أخرى تعد فضاء منظورا إليه من جهة الهروب إليه (تأملات يطرحها روائيون من خارج الفضاء). فقد ظلت الصحراء في مخيال أدباء الشمال فراغا تملؤه الزوابع فضلا عن عدم ثقة أبناء الجنوب من الروائيين بأنفسهم، وهذا ما ترك الرواية الجزائرية، لا تلتفت إلى الصحراء إلا مؤخرا، رغم أن أول رواية في تاريخ الأدب الجزائري كانت كان فضاؤها صحراويا وكتبها كاتب من الصحراء وهي رواية «مريم بين النخيل» للكاتب محمد بن الشيخ من بشار(1905-1938) التي نشرها بالفرنسية (Myriem dans les palmes) سنة 1936، وكذلك «ملحمة راهبة في الصحراء L'Odyssée d'une religieuse au Sahara» للكاتب زايد بوفلج (1909-1993) من عين الصفراء وقد كتبها أيضا بالفرنسية، وهي قصة حقيقية عاشها الكاتب سنة 1949، في مدينة عين الصفراء بالجزائر.

3. الصحراء... معضلات وتأملات: إن الأزمة الأمنية خلال التسعينات وما فرضته من تحولات عميقة مست البنى الفكرية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، وما صاحبها من مخاطر دفعت بروائيين جزائريين بالاحتماء بالصحراء كملاذ فرارا من الموت، فكانت موطنا لتجارب حياتية وتخيلات وتأملات فكرية وجدت طريقا لها إلى عوالمهم السردية. وهكذا شكلت الصحراء تيمة لدى الروائيين الجزائريين على اختلاف مشاربهم اللغوية (عربية، فرنسية). وربما هذا الالتفات إلى الصحراء كتيمة هو ما شجّع أبناءها من الأدباء إلى التغلب على خجلهم والكتابة عن هذا الفضاء وزرع الروح فيه سرديا.

أ-رؤية من الخارج: سحر العجائبي: ويمثل هذا التصور الروائيون الذين لا ينتمون جغرافيا إلى الصحراء، وبالتالي فهي بالنسبة لهم تدخل في إطار العجائبي والغرائبي ولا تعبر عن تجربة معيشية، ومنهم:

•الطاهر جاووت: (1954-1993) حيث كتب سنة 1987 "اختراع الصحراء/l'Invention du désert ". طرح من خلالها أزمة الهوية التي برزت في ظل الصحوة الإسلامية التي أفرزتها التعددية السياسية مطلع تسعينات القرن الماضي بالجزائر. فعالج بعض القضايا التي كان يصعب التحدث عنها آنذاك.

•رشيد بوجدرة: كتب رواية «تيميمون»، حيث فر من الشمال هروبا من تهديدات الجماعات الإرهابية ليجد في الصحراء مستقرا يمنحه حالة من الهدوء والتأمل، ففي هذه الواحة بعيدا عن صخب المدن وأصوات الرصاص والمتفجرات طرح بوجدرة في هذه الرواية تساؤلات وجودية في الفلسفة والتصوف. فجاء الفضاء متلبسا بلبوس الحيرة والعجب، والرهبة والجمال والسحر والخوف والعجائبية، وتلك هي حقيقة فضاء الصحراء في النصوص الروائية العربية (حبيب مونسي،2001).[4]

•إبراهيم سعدي: كتب سنة 2015 «بحثا عن أمل الغبريني» وتلتقي هذه الرواية مع رواية «تيميون» لبوجدرة في أن الشخصية الرئيسية تفر من الشمال هروبا من العمليات الإرهابية.

•محمد ديب: (1939–2004) كما جسّد الروائي في روايته «الصحراء بدون منعطف/Le désert sans détour» تيمة الصحراء بمسحة سريالية وخلفية غنوصية عندما ماثل بين الواقع ومآل الأوضاع المتوترة في جزائر العشرية السوداء، ليعيد للصحراء صورة التيه والضياع والوحل ورمزية اللامعنى والخوف والموت.

•السعيد بوطاجين: «أعوذ بالله» في هذه الرواية التي نشرها سنة 2007 وظف السعيد بوطاجين فضاء الصحراء منطلقا من علامات تاريخية وسياحية ودينية ليتساءل عن جدلية الإنسان مع الكون والوجود. وكانت الصحراء له بمثابة موطن للأسرار والخوارق يعيش فيها الإنسان والجن جنبا إلى جنب مما يسمح بإعطاء تفسيرات غيبية لبعض القضايا وخلق أساطير تعد تفسيرا لقضايا سياسية ودينية معقدة (طابوهات).

•عز الدين ميهوبي:(اعترافات–اسكرام) في هذه الرواية التي نشرها سنة 2004، تحدث فيها عن مدينة تمنراست بشكل تنبؤي استشرافي، وما سيطرأ في هذه المدينة المعولمة من تحولات اقتصادية واجتماعية وفنية وإعلامية في آفاق 2004، ساحبا تلك التحولات على العالم بأسره.

ب–رؤية من الداخل:

التجربة والواقع: ظل أبناء الصحراء إلى وقت قريب، يتهيّبون الكتابة عن عوالم أمكنتهم، إما بسبب قلّة الجرأة، أو عدم الثقة أدبيا بأدواتهم الفنية،

•مليكة مقدم: وهي طبيبة تعود أصولها إلى مدينة بشار هاجرت إلى أمريكا وهي تكتب بالفرنسية، نشرت سنة 1993 روايتها (الممنوعة/L'interdite)

حيث وازنت بين قساوة عالم الحيات والأفاعي وقساوة القهر الممارس ضد الأنثى في المنازل في هذه الصحراء التي قضت فيها طفولتها وبداية شبابها.

•**عبد الحفظ بن جلولي:** كتب سنة 2013 «على الرمل تبكي الجراح» وهي رواية تطرح التحديات التي تواجه القصر (تجمع سكاني) في ظل زحف العولمة وما يطرأ عليه من تحولات، سواء مادية تمس المكان أم اجتماعيات تتعلق بتغييرات طرأت على العادات والتقاليد.

•**حاج أحمد صديق الزيواني:** كتب سنة 2013 روايته الأولى «مملكة الزيوان» التي رصد فيها عبر ذاكرة الصبي وسيرة الشاب اليافع تحولات منطقة توات اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا والوضع القهري للمرأة، مبرزا بتركيز عال جمالية المعالم الجغرافية والاجتماعية وحتى الروحية، حيث عاد للماضي البعيد لهذه المنطقة/الصحراء محاورا أساطيرها ورموزها وحتى رمالها، ليكشف عالم الأجداد الذي كانت تحكمه التعاويذ والرقية والتمائم. فكانت الرواية تصويرا جغرافيا وتصويرا روحيا أيضا لحياة القبيلة التي تعيش تحت سطوة المقدس من طرق في اللباس وعادات للزواج.

ثم أصدر سنة 2015 روايته الثانية «كاماراد، رفيق الحيف والضياع» وهي أولى رواية في الأدب الجزائري تكسر النمطية في الكتابة عن الصحراء، كما تجاوزت التيمات التقليدية إلى إنتاج نمط جديد تمّ فيه تقويض النسق الصحراوي المهمش، والانفتاح على هامش آخر هو الجوار الإفريقي الموغل في مآسي الانقلابات والحروب الأهلية والفقر والأوبئة، والحالم بالعبور إلى الضفة الأخرى من خلال الصحراء الجزائرية، ويدخلنا في تجربة أخرى من غواية السرد الذي يتلبس الأسماء والأشياء والشخصيات والمكان والمغامرة، هذه الرواية تؤسس لعهد جديد، ليس فقط، لمتخيّل الصحراء، بانخراط أبناء الصحراء في كتابة الرواية، وتقويض سلطة نسق الكتابة الشعرية التي ظلت الثقافة الصحراوية مكبّلة بها، بل تجاوز الأنساق السابقة في الكتابة عن الصحراء

وخلق وعيًا آخر ينفتح على الآخر، لتأكيد الذات التي ترى وتعي وتتفاعل وتطرح أسئلة جديدة، أهمها السؤال الوجودي المرتبط بظاهرة الحرقة أو الهجرة السرّية التي يمارسها الأفارقة عبر الصحراء الجزائرية، بحثا عن الخلاص عبر مغامرة تراجيدية ليصنع من هذه المغامرة نسيجا سرديا مختلفا وكونا سرديا مبهجا(الصديق حاج أحمد الزيواني،2015).[5]كما كتب سنة 2021 رواية أخرى بعنوان "منّا: قيامة شتات الصحراء" تطرح واقع التوارق بعد جفاف السبعينات وترحالهم في الصحاري الإفريقية بحثا عن الماء واستغلالهم من طرف القذافي في حروبه وفي طموحاته نحو تنصيب نفسه ملكا للتوارق.

•**عبد القادر ضيف:** «تنزروفت» (2015): تنزروفت الذي تحمله الرواية عنوانا هو تلك الصحراء في عمق الجنوب الغربي، صحراء خالية تنعدم فيها الحياة، لكنها تحافظ على أسطوريتها، فقد قيل إن من يموت فيها تبقى جثته "محفوظة" في غياب البكتيريا، حيث أن طيارا فرنسيا سقط هناك بطائرته سنة 1933، ولم يعثر عليه الدرك الفرنسي إلا قبيل استقلال الجزائر يوم 11 فيفري1962، كانت جثته كاملة كأنه هلك قبل مدة قصيرة.

•**جميلة طلباوي:** «الخابية»، هذه الرواية الصادرة سنة 2014 تعكس سمات النص الذي يهتم بتيمة الصحراء، من الناحية المكانية والناحية الزمانية **أيضاً** وفق خطاب يتجه إلى الآخر القريب والبعيد، من هنا كانت الكونية ظاهرة توجهت من خلالها الروائية لتنقل الحياة بكل تفاصيلها للمرأة البشارية، وهي بذلك تعمل على رصد أمنيات البسطاء من الناس تلامس من خلالها جمالية لا متناهية في الحوار الذي قدمته للمتلقي بين الشخوص والذوات التي أدارت مشاهد الرواية، في نسقية لا يمكنك الفصل فيها بين التراث المادي واللغة التي اكتسبت العصرنة لمواكبة الأحداث، في صراع بين الأنا التي تريد إحضار الماضي بكل ما يحمله من رموز للأشياء ولغة للأمكنة التي تغيرت عبر الزمن

لكنها تظل الهاجس القوي للبعض. كما كتبت حول الصحراء «وادي الحناء»:2017 و«قلب الإسباني»:2018.

أما في روايتها «وادي الحناء» التي أصدرتها سنة 2017 فهي رواية تمثل ذاكرة المكان الصحراوي وتاريخه وحكاياه بمسحة من الحنين والخوف من المسوخ وعاديات الزمن وكواسر الثقافات الزاحفة على القيم والرموز والعلامات والهوية المكانية. رواية غاصت في البيئة الصحراوية راسمة ملامح مجتمع له خصوصية الزمان والمكان، فللمكان في رواية «وادي الحناء» طعم خاص ونكهة خاصة ودلالة خاصة، إذ يبدأ المكان من مغازلة المتلقي واستدراجه إلى رحابه لاحتوائه والانفراد به من عتبة العنوان (وادي الحناء)، فالمكان هنا بقدر ما هو عميق وسحيق وممتد بل ومخيف تضمر ذاكرته الخوف من مجهول قد يستيقظ في أية برهة، غير أن هذا الوادي المخيف ما لبث أن فاض بالحناء فهو أشبه بوادي عسل أو لبن صاف يغترف من حياضه السعداء، فالعنوان يوحي بالاتساع وامتداد الأفق والامتلاء يختزل بتكثيف شديد حكاية إنسان في علاقته بمكان ذي خصوصية جغرافية وبشرية وطبيعية ألا وهو الصحراء التي من معانيها القحل والقحط والسراب والخراب، إلا أن للحياة فيها على الرغم من صعوبتها مذاقا خاصا وسرا خاصا كمذاق الحناء وسر الحناء في أيادي العذارى رمز الفرحة وأيقونة الحب والجمال والفرح (حسن بوحسون،2017)[6].

•**بوفاتح سبقاق:** الإعصار الهادئ 2007 الذي تحدث في وروايته «الإعصار» عن صحراء تقرت موظفا بواقعية مسميات الشخوص والأماكن.

•**نوار ياسين:** «صحاري السراب»2017 يريد الكاتب ياسين نوار لروايته أن تشكل عالما أسطوريا ساحرًا واقعيا بلمسات الخصوصية السردية العربية، بعيدا عن صخب الرواية الغربية وأجوائها المدنية والعصرية والتكنولوجية، وكأني به يعود إلى إنسانية الإنسان وجلال المعنى الكينوني/ الوجودي، أو هو يريد أن يقرأ الراهن العربي بعيون تراثية رمزية. ولا يمكن أن نحدد بالتدقيق الصحراء

التي يتحدث عنها النص، ففيها كل ملامح الصحراء العربية، من دون ذكر لدولة محددة، ومن دون مكاشفة لبعض العناصر الثقافية والمجتمعية التي قد تساعد القارئ في معرفة الدولة التي توجد فيها صحراء الرواية، فملامحها متوفرة في كل دولة/مملكة عربية، ومن ثمة فرمزيتها وملابساتها تصدق على كل إنسان عربي، وعلى كل مجتمع عربي، وعلى كل خطاب رسمي عربي عبر التلميحات السردية والإشارات الدلالية بطبيعة الحال الفني–الفكري...

•**عبد الله كروم:** له حول الصحراء «الطرحان»2022 حول عملية التجنيد الإجباري التي فرضتها فرنسا على الأهالي أثناء الاستعمار ثم رواية «غرنوة»2023 وهي رواية ذات بعد إفريقي حول جرائم التفجيرات النووية التي قامت بها فرنسا في الصحراء الجزائرية، وهذا البعد الإفريقي يكاد يكون منسيا في وعينا الوطني وتطرح الرواية ضرورة الانفتاح عليه كبعد استراتيجي.

4.الزيواني... تيمات جديدة:

أ–هوية المكان... ومكان الهوية: يعد المكان مكونا من مكونات الرواية، هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض. فالبراعة في توظيف المكان في الرواية قد يكشف عن« شبكة العلاقات التي تربط الأشخاص بالمجال المعيشي ارتباط، وجود وانتماء وهوية» (**حبيب مونسي،2001**)[7]، وقد كان للمكان حضورٌ قويٌ في رواية «كاماراد» وهو شرط من شروط اكتشاف الآخر للذات ونجد أنّ الفضاء بأمكنته المختلفة عنصر ضروري لتحديد معالم الهويّة، فرديّة كانت أم جماعيّة، فالذات تنكشف في الفضاء مهما تنوع وتعدد في الرواية. فالمكان يبقى دائما يمثل الأخلاق، وكأنّ الشخصية في هذه الرواية تذهب للشمال لتقرأ ذاتها في مرآة الآخر. كما أنه المكان يعبر عن هوية الآخر وعن الصراعات والصدامات التي تحدث عند التقائه بالآخر المشابه له والذي بدوره يتحول إلى ذات تبحث عن هويتها في ظل تغيير المكان الأصلي له وما تسفر عنه الرحلة.

وقد تعددت الأمكنة في الرواية وشكلت همزة وصل بين بداية رحلة البطل ونهايتها، من حيG مكلي بمدينة النيجر وصولا إلى حدود سبتة الإسبانية. فحيG مكلي الذي عدَّه الكاتب" أفقر الأحياء بالعاصمة نيامي النيجر، هو مكان بداية تشكل أحداث الرواية فيصور لنا واقع الحياة في هذا الحي وأنه السبب في قرار هجرة مامادو ورفاقه انطلاقا منه وصولا إلى عين قزام وآخر نقطة في الحدود الفاصلة بين المغرب وإسبانيا، وهذه أهم الأمكنة التي مرّ عليها في تجربته هذه والتي تمثل فضاء الصحراء:

●**مدينة تمنراست:** جاء في الرواية أن هذه المدينة «طالما هي تجمع لمجتمعات إثنية مختلفة افريقية زنجية وطارقية، تفاصيل المكان تشبه G مكلي ونيامي وكل بلاد الله بإفريقيا" (الصديق حاج أحمد الزيواني،2015)[8]، كما يصور لنا أماكن تجمع ليكاماراد وما تتوفر عليه من قيم سلبية من تزوير الأموال والمخدرات وبيوت الدعارة وغيرها من الأعمال المشبوهة، فيوجد بتجمع الليبيراليين "جماعة مختصة بتزوير النقود والعملة المحلية واليورو» (الصديق حاج أحمد الزيواني،2015)[9]، وهو عبارة عن مكان مشبوه ونقطة حمراء عند الأمن فحتى هم لا يستطيعون الدخول إليه، خوفا عن أنفسهم لذا وجد الكامارايون ضالتهم هناك. فهذا الآخر برغم تغييره للمكان وجد نفسه دائما مهمّشًا وينظرون إليه نظرة احتقار لا لشيء آخر سوى لأنه كامارادي، إلا أنه تحمّل كل شيء في سبيل الخلاص، هذا الآخر الذي يبحث عن ذاته الحقيقية رغم كل الزيف الذي يحمله ورغم انسلاخه من كل المبادئ التي كان يسير عليها في "نيامي" فالواقع الذي همّشه جعله يسعى لإبراز ذاته وهذا عن طريق كسب المال عبر ممارسة كل الأعمال المشبوهة والممنوعة.

●**مخيم تهقارت الشومارة:** في هذا المخيم تباع جوازات السفر المالية المزورة، ناهيك عن المخدرات التي كان يبيعها الرفاق بتلك الأحياء وانتشار بيوت الدعارة. وقد قام"مامادو" بترويج العملة الصعبة المزورة بالمدينة مقابل

الحصول على المال من أجل شراء جواز سفر مزوَّر من هناك ليضمن انتقاله في ولايات الجزائر من دون مساءلات الشرطة له.

●**مدينة أدرار(روما ليكاماراد):** تعد سوق اليد العاملة الكامارادية، كل المقاولين يأتون إليها بحثا عن الرجل الأسود الإفريقي للمساعدة بأثمان بخصة عرفت في الرواية بحي"ابني واسكت" الذي يعد ملجأ آمنا للأفارقة، وقد عمل مامادو بطل الرواية في ورشات بناء مقاولين بالمدينة للحصول على المال لاستكمال رحلته لمدة أيام قليلة فقط. وفي هذا المكان يتجلى استغلال الآخر الأسود له في العمل بمبالغ زهيدة.

●**مغنية(مالطا ليكاماراد):** ذهب مامادو إلى مغنية بتلمسان، رفقة رفاقه الكاماردیين وهدفهم الوحيد هو التسلل بين حدودها وصولا إلى الجارة المغربية بمدينة وجدة المغربية والتي أطلقوا عليها اسم(قبْرص ليكاماراد) وصولا إلى(جزيرة لامبيدوزا ليكاماراد) بمدينة الفيدق قبالة سبتة الإسپانية، لاجتياز السلك الحديدي إلى جنة النعيم في أوروپا.

ب–ثنائية الشمال والجنوب: تبدو الشخصية الإفريقية ذات خصوصيات متفردة في مقابل خصوصيات قومية أخرى، وهذا نابع من معطيات تاريخية وسياسية قديمة تحت ظل العنصرية من خلال المستعمرات الأوروپية في إفريقيا التي عملت على طمس هوية الرجل الأسود واعتباره التابع الأبدي للرجل الأبيض، فهل يرضى الرجل الأبيض التنازل عن عرشه ويمد يده للرجل الأسود ويوحّد الرؤى معه؟ وإن فعل هل تكون هذه المصافحة نابعة عن قرار نفسه وهل ينتصر على ثقافته القائلة بالعكس؟ وهذا ما سنحاول استخراجه من رواية كاماراد:

لقد جسّد الزيواني في الرواية ذلك الحوار بين الشمال والجنوب، حيث يطمح سكان الجنوب الإفريقي –مامادو– إلى الهجرة نحو الشمال الأوروپي هروبا من جحيم أوطانهم فيما يطمع سكّان الشمال الأوروپي– المخرج الفرنسي جاك بلوز

– في الهجرة نحو هذا الجنوب المنسي من أجل الاستثمار في معاناة الأفارقة وترجمتها إلى أعمال سينيمائية يحققون بها السّبق الفني عند العودة إلى بلادهم.

•نظرة الأوربي لإفريقيا تنّم عن ذات مُتعالية تعيش في رفاهية فاخرة فهو لم ير إفريقيا بعيون إفريقية وإنما بعيون أوربية ساخرة فالجنوب ما هو إلا مطمع فنّي يحقق به هدفه المنشود رغم أن الحياة فيه منبوذة «ففي فترة العلاج التي دامت ستة أشهر كاملة، اغتنم المداوي الفرصة، بحث بوسائط (ميديا) المعرفة عن أفقر دولة إفريقية، تصلح أن تكون أرضية لبطله، حفر كثيرا...في كل مرة كانت سعادة دولة النيجر هي المرشحة بامتياز... لربمّا كانت دهشته أكبر مما توقع عندما وجد هذه الأخيرة لا تصّنف كأفقر دولة على مستوى إفريقيا فحسب وإنّما على مستوى العالم...سرّ كثيرا بهذا الصيد ما جعله يستعجل حصص الشفاء من مُطّببه..» (الصديق حاج أحمد الزيواني،2015.[10]

•من هنا بدأت رحلة جاك بلوز إلى أفقر دولة في إفريقيا بحثا عن قصص الهجرة السرية نحو أوروبا حاملا في يده كتابا بعنوان "جوانب من الحضارة الإفريقية" على أنه كان مولعا بالثقافة الإفريقية فهل يؤثر هذا الكتاب فيه ويغيِّر نظرته تجاه الآخر؟ باعتبار نيجيريا مستعمرة قديمة لفرنسا؟.

•كان الرجل الأبيض ينظر إلى مطاعم نيامي نظرة دونية مقارنة بمطاعم باريس «في اللحظة التي ذهب فيها النّادل بالطلبات، خزر بلحظ العين في أنحاء المطعم (طاولاته، كراسيه، أكوابه، موسيقاه لا تدنو حتّى إلى التصنيف الرابع من مطاعم الشانزيليزيه» (الصديق حاج أحمد الزيواني،2015)[11]... هذه المشاهد تعكس التباين الكبير بين الشّمال والجنوب ونظرة هذا الأجنبي للآخر الإفريقي.

ج–ثنائية العبد والسيّد: إن اختيار الحاج أحمد الزيواني لشخصية فرنسية في الرواية لم يكن عبثا وإنّما لعلاقة فرنسا بالمستعمرات الموجودة بإفريقيا والأثر

الكبير الذي تركته في هذه الدول حتى بعد استقلالها وهذا ما صرّح به في إحدى المقابلات التليفزيونية (الصديق حاج أحمد الزيواني،2013)[12]، وهنا يَطرح بشكل واضح جدلية العبد والسيّد. ويتضح لنا من خلال الرواية أن مقصد المخرج كان شخصيا فهو لم يكن يريد إزالة الستار عن واقع إفريقيا وحال شبابها المزري بين الفقر والقمامة وإنما يبحث عن خلاص له يُرجع له هيبته في مهرجان" كان" الفرنسي.

-علاقة مامادو وجاك بلوز الفرنسي تعيد فتح ملف التاريخ الاستعماري إذ يظهر الإفريقي موضع التابع الأبدي للرجل الأبيض بل نجده يبيع قصّته بثمن بخس ويقدم له بعض التنازلات التي تجعله يطمئن أن صورة الإفريقي التي يحملها في مخيّلته مازالت لم تتحوّل بعد، إذ يعتبره مجرد هامش وطريقا معبدا لنجاحه، وهو في نظره مجرّد موضوع لفيلمه حتى ينال السعفة الذهبية، فأكبر حلمه السير على البساط الأحمر في فرنسا وبالتالي وجد في مزابل إفريقيا الوجه الحقيقي للقصة التي يبحث عنها.

-يبدو جليا في الرواية أن هذا الفرنسي هو صاحب السلطة وهو الآمر والناهي «أخرج مسجله الصوتي الصغير، ديكتافون ومفكرته الفاخرة، وضعها على الطاولة، استلّ قلما مذهّبا من جيب قميصه السماوي وقال للكمارادي الحراق: إحك يا مامادو: فطفق مامادو يسرد حكايته» (الصديق حاج أحمد الزيواني،2015)[13]. فالمحرك الحقيقي لقصة مامادو هو فعل الأمر (إحك) الذي أطلقه المخرج الفرنسي ومنه بدأت قصة الفتى الإفريقي، فهذا المخرج سيدفع له أموالا مقابل ذلك، وما على السارد إلا التعمّق في السرد والتدقيق في كل شيء عاشه في طريقه «إن أنت حكيت لي التفاصيل الخاصة برحلتك نحو الجنة الموعودة بمحطاتها وأهوال أحداثها السِجال... فإني أعدك بمفاجأة لا تقدّر بثمن.... ها هي 5000 فرنك سلفًا فوق الحساب» (الصديق حاج أحمد الزيواني،2015)[14] وقد وافق على ذلك كيف لا والمال جاءه من رجل أبيض

يقدّسه «لا تقلق مون باطرون، سأسردها لك ليس بالتفاصيل كما طلبت فحسب، إنما بتفاصيل التفاصيل...» (الصديق حاج أحمد الزيواني،2015).[15]

–تبرز خلف شخصية جاك بلوز صورة ذلك الأوروبي الذي مازال يتعامل مع الرجل الأسود على أنه شخص غير ناضج وساذج وهذا ما نلاحظه في آخر الرواية، إذ بعد انتهائه من السرد سلّمه هدية تمثلت في آلة التصوير الخاصة به وطلب منه أن يقوم بإخراج شريط وثائقي عن حياة البؤس في نيامي ينقل من خلاله معاناة أبناء حيّه وأبناء نيجيريا بصفة عامّة إذ يقول «بإمكاني أن أغدق عليك المال مون كاماراد كما توهمت، لكنه سيزول مع مرور الأيام، هناك مثل صيني يقول: لا تعطنيي السمكة بل علّمني كيف أصطادها. أجل سأعطيك نصيبا من المال لستر أحوالك مع ما يمكن أن تحتاجه خلال التصوير والتنقل والمصاريف» (الصديق حاج أحمد الزيواني،2015).[16]

5.خاتمة: إن ما يكتبه اليوم روائيون جزائريون ينتمون جغرافيا إلى الصحراء يمنحهم عوالم سردية غير نمطية كما يمنح الرواية حقلا تجريبيا ينفتح على بعدنا الإفريقي المغيب في تفكيرنا أو الذي نمارس نحوه نوعا من النكران هروبا من ذاتنا بفعل ذلك الهوس الذي تسرب لنا تجاه الآخر غير الإفريقي.

إن ما يكتبه الحاج أحمد الزيواني هو تأثيث جديد لفضاء الصحراء في الروايات الجزائرية بعيدا عن تلك الهندسات التي كانت تراه فضاء أسطوريا تلفه مسحات وسحنات من العجائبي والغرائبي تصل به حد الأسطورة، فأضحى فضاء واقعيا ترسم حركيات شخصيات تعيش فيه تجربة وجودية واقعية.

إن الصحراء في روايات الزيواني وجميلة طلباوي ولحبيب السائح وعبد الله كروم والسائرين في هذا الفلك الجديد لم تعد مجرد مكان ترسمه حركة الشخصيات أثناء الحدث وهو يحدث، بل صارت هي البطل في الرواية وتؤدي دور البطل والمكان معا محكومين إلى زمن أزلي، مما يجعل الصحراء هي

الرواية كلها، فروايات «الخابية»، «وادي الحناء»، «قلب الإسپاني» لجميلة طلباوي، ثم «مملكة الزيوان»، «كامارد»، «منا» للزيواني، وكذلك «الطرحان»، « غرنوة» لعبد الله كروم، ليست روايات تكتب عن الصحراء بل هي روايات تكتب الصحراء، باستحضار المكان والزمن والشخصيات، وكأن هؤلاء يريدون إنطاق الرمال والفيافي ليزرعوا فيها الحياة، مثلما فعل إبراهيم الكوني وعبد الرحمن منيف وخليل النعيمي، فصارت الصحراء الجزائرية التي تشكل 84 بالمائة من مساحة الوطن هوية ثقافية، وليست مجرد مكان أسطوري يقصده السياح المهوسون بالبحث عن العجائبي والغرائبي، فالصحراء اليوم بأقلام روائييها فضاء واقعي يطرح مشاكله وتاريخه عبر نظرة عميقة ملؤها التأمل الذي تمنحه شساعتها، وليس مجرد كتابة تبحث عن التسلي والمتعة. فإذا كانت الصحراء قديما تعد منبت الشعر العربي فإنها اليوم تسهم في إبداع روائي متميز، لتجعل من الرواية شعر عصرنا الحديث، مما يعني وجود خيط رفيع ممتد بين الشعر والرواية.

6. قائمة المراجع:

1–بوداود وذناني: فضاء الصحراء والسرد السياحي في الرواية الجزائرية: رواية تيميمون لرشيد بوجدرة نموذجا (2017): (https://www.asjp.cerist.dz/en/article/95355) Le 01/06/2021

2–حسن بوحسون(2017): رواية (وادي الحناء) للكاتبة جميلة طلباوي بين الطابو والحلم (2017). مجلة مسارب الالكترونية: ttps://massareb.com/?p=11078: يوم 2021/05/25

3–حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية). منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001.

4–الصديق أحمد الزيواني: حوار مع فرانس 24. يوم 18–03–2013 على 15:10 سا.

5–الصديق حاج أحمد الزيواني: كامارد رفيق الحيف والضياع. فضاءات للنشر والتوزيع. الأردن. 2015.

6–صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء. منشورات وزارة الثقافة. دمشق. 1996.

7–ميرال الطحاوي: محرمات قبلية/المقدس وتخيلاته في المجتمع الرعوي روائيا. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. 2008.

8- Michel Roux : Le Désert de sable. L'Harmatton.Paris. 1996. p10

7. الهوامش:

1-Michel Roux: Le Désert de sable.

L'Harmatton.Paris. 1996.p10.

2-صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء. منشورات وزارة الثقافة. دمشق. 1996. ص211.

3-ميرال الطحاوي: محرمات قبلية/المقدس وتخيلاته في المجتمع الرعوي روائيا. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. 2008. ص28.

4-بوداود وذناني: فضاء الصحراء والسرد السياحي في الرواية الجزائرية :رواية تيميمون لرشيد بوجدرة نموذجا(2017): (https://www.asjp.cerist.dz/en/article/95355) Le 01/06/2021.

5-الصديق حاج أحمد الزيواني: كاماراد رفيق الحيف والضياع. فضاءات للنشر والتوزيع. الأردن. 2015. ص 230.

6-حسن بوحسون(2017): رواية (وادي الحناء) للكاتبة جميلة طلباوي بين الطابو والحلم(2017). مجلة مسارب الالكترونية: ttps://massareb.com/?p=11078: يوم 2021/05/25.

7-حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية). منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001. ص71.

8-الصديق حاج أحمد الزيواني: كاماراد. ص15.

9-نفسه: ص24.

10-نفسه: ص32.

11-نفسه: ص31.

12-الصديق أحمد الزيواني: حوار مع فرانس 24. يوم 18-03-2013 على 15:10 سا.

13-الصديق حاج أحمد الزيواني: كاماراد ص32.

14-نفسه: ص31.

15-نفسه: ص32.

16-نفسه: ص 360.

المجلس الأعلى للغة العربية

المراسلة : مجلة اللغة العربية - المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرنكلين روزفلت الجزائر - ص.ب 575 - ديدوش مراد - الجزائر
الهاتف 23.48.72.79 (213)00 الناسوخ 23.48.72.62 (213)00

madjaletalarabia@gmail.com
asjp.cerist.dz

دار النشر و التوزيع
0550.97.70.76
0795 31 30 38